Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

الإِستبداد في مصر القديمة

Despotism in Ancient Egypt

العبودي, سحر خليف صخي

إشراف: الدكتور الأستاذ الدكتور أ.د سعدون عبد الهادي برغش الامير

جامعة واسط –

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/203

https://doi.org/10.31185/uowasit-47

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

الإِستبداد في مصر القديمة

رسالة تقَّدمت بها الطالبة
سـحـر خـلـيـف صـخـي العـبـودي

إلى مجلس كلية التّربية للعلوم الإِنسانية في جامعة واسط
وهي جزء من متطلبات شهادة الماجستير
في التاريخ القديم

بإِشراف
الأستاذ الدكتور
سعدون عبد الهادي برغش الامير

٢٠٢٤م ١٤٤٥هـ

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾

صدقَ اللهُ العليُّ العظيم

(الزخرف، ٥١)

الإِهــداء

إلى اطفالي الأعزاء

أَنتم الشَّمعة التي أضاءت لي طريقي في اللحظات الحالكة، والأمل الذي يحدوني للوصول الى هذه اللحظة، لهذا اهدي رسالتي لكم، فأنتم لستم سبب إلهامي فقط، ولكن أنتم جزءٌ لا يتجزأ من نجاحي

الباحثة

شكر وتقدير

أتقدّم بأرقى مشاعر الشكر والاعتراف بالجميل، إلى أستاذي المشرف الاستاذ الدكتور (**سعدون عبد الهادي برغش**)، فقد كان مرشداً قبل أن يكون أستاذاَ ومشرفاً، وكان موجهاً منذ أن كان البحث فكرة، وقد كان متابعاً ومدققاً من طراز فريد، وقارئاً مدققاً بإمعانٍ شديدٍ، حتى استوفى البحث شكله النهائي، فله مني أجمل عبارات الشكر والامتنان.

ويشرفني أيضاً أن أشكر جميع أساتذتي الفضلاء في السنة التحضيرية الماجستير، لما قدموه لي من نصح وارشاد نحو التقدم في طلب العلم، ومن واجب الاعتراف بالجميل أن أتقدم بالشكر **للأستاذ الدكتور فاضل كاظم حنون، وأيضا اتقدم بعظيم شكري وامتناني وعرفانا للأستاذ الدكتور اسراء مهدي مزبان**، التي كانت خير معين في مرحلة دراسة الماجستير.

ويدعوني واجب الاعتراف بالجميل أن أتوجه بجزيل الشكر والامتنان الى **الاستاذ المساعد وسناء حسون في جامعة الموصل/ كلية الاثار، قسم الحضارة** ومن دواعي سروري أن أسجل بفائق الشكر والعرفان الى جد اطفالي **الحاج ترف القريشي الراعي الابوي والى زوجي** الذي كانت له لمسات فنية في اتمام رسالتي، وفي معرض الثناء بالجميل لا يفوتني ايضا أن أقدم بالشكر والعرفان الى **اختي نغم** التي كانت سنداً طيلة ايام الدراسة، فجزاهم الله خيرَ جزاءِ المحسنين.

الباحثة

إقرار المشرف

أشهدُ إنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ﴿الاستبداد في مصر القديمة﴾ التّي تقدمت بها الطالبة (سحر خليف صخي العبودي) قد جرى تحت اشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط وهي جزء من متطلّبات شهادة الماجستير في التاريخ القديم.

المشرف:

المرتبة العلمية: استاذ دكتور

سعدون عبد الهادي الامير

مكان العمل: كلية التربية للعلوم الإنسانية

جامعة واسط

التاريخ: ١٨ / ٤ / ٢٠٢٤

بناءاً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع

الاستاذ المساعد

احمد بشار جمعه

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / / ٢٠٢٤

إقرار المقوم العلمي

أشهد إني قد قومت الرسالة الموسومة (الاستبداد في مصر القديمة) التي تقدمت بها الطالبة (سحر خليف صخي العبودي) في كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات شهادة ماجستير آداب في التاريخ القديم، وقد وجدتها صالحة من الناحية العلمية.

التوقيع

الاسم:

اللقب العلمي:

مكان العمل:

التاريخ: / / ٢٠٢٤

إقرار المقوم اللغوي

أشهد إني قد قومت الرسالة علمياً الموسومة ﴿الاستبداد في مصر القديمة﴾ التي تقدمت بها الطالبة (سحر خليف صخي العبودي) في كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات شهادة ماجستير في التاريخ القديم، قد تم تقويمها من الناحية اللغوية بإشرافي وأصبحت بأسلوب علمي سليم خال من الأخطاء اللغوية والتعبيرات غير الصحيحة.

التوقيع

الاسم:
اللقب العلمي:
مكان العمل:
التاريخ: / /٢٠٢٤

قرار لجنة المناقشة

نشهدُ نحنُ أعضاء لجنة المناقشة قد اطّلعنا على هذهِ الرسالة الموسومة بـــــــ ﴿الاستبداد في مصر القديمة﴾ التي تقدمت بها الطالبة (سحر خليف صخي العبودي) وناقشناها في محتوياتها وفيما لهُ علاقة بها ونعتقد أنّها جديرة بالقبول لنيل شهادة ماجستير في التاريخ القديم وبتقدير ( ).

التوقيع
اللقب العلمي: استاذ
الاسم: محمد فهد حسين
الصفة : رئيساً
التاريخ: / / ٢٠٢٤

التوقيع
اللقب العلمي:أستاذ
الاسم: عبد الرزاق حسين حاجم
الصفة : عضواً
التاريخ: / / ٢٠٢٤

التوقيع
اللقب العلمي: استاذ
الاسم: فاضل كاظم حنون
الصفة : عضواً
التاريخ: / / ٢٠٢٤

التوقيع
اللقب العلمي:
الاسم: سعدون عبد الهادي
الصفة: مشرفاً وعضواً
التاريخ: / / ٢٠٢٤

صُدِقت من مجلس كُلية التّربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

الأُستاذ الدكتور
محمود حمود عراك القريشي
عميد كُلية التّربية للعلوم الإنسانية
التاريخ: / /٢٠٢٤

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية القرآنية	أ
الاهداء	ب
شكر وتقدير	ت
المقدمة	١-٣
التمهيد: مفهوم الاستبداد وجذوره	٤-١٣
الفصل الأول: الاستبداد الاجتماعي	١٤-٥١
المبحث الأول: الاستبداد الاسري والقبلي	١٤-٣٢
اولاً: الاستبداد الاسري	١٤-٢٥
ثانياً: الاستبداد القبلي	٢٥-٣٢
المبحث الثاني: استبداد الطبقات الاجتماعية	٣٣-٣٧
الفرعون	٣٨
الطبقة العليا	٣٩-٤٢
الطبقة الوسطى	٤٢-٤٥
الطبقة الدنيا	٤٥-٥١
الفصل الثاني: الاستبداد الاقتصادي	٥٢-٥٣
المبحث الأول: الطبيعة الاستبدادية للفكر الاقتصادي ومظاهره	٥٤-٦٨
المبحث الثاني: اشكال الاستبداد الاقتصادي ومظاهره	٦٩-٧١
اولاً: الفئات العاملة	٧٢-٧٩
ثانياً: الضرائب	٧٩-٨٣
ثالثاً: السخرة	٨٣-٨٦
الفصل الثالث: الاستبداد الديني	٨٧-٨٩
المبحث الأول: استبداد الالهة ضد الالهة	٩٠-٩٣
المبحث الثاني: استبداد الالهة ضد البشر	٩٤-١٠٣

المحتويات

المبحث الثالث: محاولات كسر الاستبداد الآلهي	١٠٤-١٠٨
المبحث الرابع: استبداد الكهنة	١٠٩-١١٨
الفصل الرابع: الاستبداد السياسي	١١٩-١٢٣
المبحث الأول: الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية القديمة	١٢٤-١٢٩
المبحث الثاني : الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الوسطى	١٣٠-١٣٦
المبحث الثالث : الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الحديثة	١٣٧-١٤٨
الإستنتاجات	١٤٩-١٥٠
المصادر والمراجع	١٥١-١٦٣
Abstract	A-B

المقدمة

المقدمة

تعد حضارة مصر القديمة واحدة من أعرق حضارات الشرق الأدنى القديم، إذ أسهمت تلك الحضارة في تطور الانسانية وتقدمها وجادت بمنجزات في مجالات متعددة أسهمت الكثير من الدراسات في تسليط الضوء عليها، وبيان قدرة وبراعة المصريين القدماء الذين حققوا تلك المنجزات. وعملوا على تسخير الإمكانيات التي جادت بها بيئتهم والاستفادة منها قدر استطاعتهم على ذلك، وتبقى جوانب أخرى بحاجة الى مزيد من الدراسة بغية الوقوف عليها بصورة أفضل ومنها موضوع رسالتنا الموسومة (الاستبداد في مصر القديمة) الذي وقع الاختيار عليه للوقوف عليه ودراسته بشكل مستفيض.

تكمن أهمية الدراسة في محاولة كشف جانب من جوانب النظام السياسي في مصر القديمة، الذي نعتقد أنه لم يأخذ القدر الكافي من الدرس والتحليل، لاستجلاء حقيقة الاستبداد في مصر القديمة، والعوامل التي أدت اليه فضلا عن الجوانب التي شملها.

تمثلت مشكلة الدراسة في محاولة ابراز الطبيعة الاستبدادية للنظام السياسي في مصر القديمة في ظل الدراسات الكثيرة التي ركزت على الجوانب الإيجابية مقارنة بالجانب الذي نحن بصدد دراسته.

أمَّا فرضية الدراسة فتقوم على أن الاستبداد سمة من سمات النظام السياسي في مصر القديمة مورست في مجالات متعددة سياسية واقتصادية واجتماعية وتركت أثرها على المصريين القدماء.

اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي لإيراد الشواهد التاريخية التي تبين الممارسات الاستبدادية فضلا عن المنهج التحليلي عند اقتضاء الحاجة لذلك.

جاءت الدراسة على أربعة فصول تحدثنا في **الفصل الأول** منها الاستبداد الاجتماعي، وفيه مبحثان، الاول الاستبداد القبلي والاسري والمبحث الثاني: استبداد الطبقات الاجتماعية.

امَّا **الفصل الثاني**: فتناول الاستبداد الاقتصادي وقسم على مبحثين ايضاً، درس الاول: الطبيعة الاستبدادية للفكر الاقتصادي المصري القديم اما المبحث الثاني فتناول: اشكال الاستبداد الاقتصادي ومظاهره.

فيما بين الفصل الثالث عن الاستبداد الديني عن طريق اربعة مباحث، الاول: استبداد الالهة ضد الالهة والثاني: استبداد الالهة ضد البشر و الثالث: محاولات كسر السيطرة الآلهية ، فيما تناول المبحث الرابع: استبداد الكهنة.

تطرق **الفصل الرابع** الى الاستبداد السياسي عن طريق ثلاثة مباحث، تناول الاول: الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية القديمة، واوضح الثاني: الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الوسطى، امَّا المبحث الثالث :فتحدث الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الحديثة.

أمَّا الدراسات السابقة التي تناولت الاستبداد فلعل من أبرزها رسالة الماجستير الموسومة (الاستبداد في الفكر العراقي القديم) للباحث (محمود نعميه العابدي) التي أفادتنا في كيفية تناوله لموضوع الاستبداد، ورسالة ماجستير ايضاً للباحث (قاسم خضر قاسم) المعنونة (شخصية الفرعون في القران) التي تناولت شخصية الفرعون المصري من وجهة نظر دينية عن طريق القرآن الكريم تحديدا، متغافلة المكتشفات الآثارية، تماشيا مع عنوان الدراسة، واطروحة الدكتوراه (الاستبداد بالحكم وآليات مواجهته) للباحث صالح الدين شرقي، جامعة الحاج لخضر باتنه في الجمهورية الشعبية الجزائرية .

كما أفادتنا بعض الأبحاث العلمية التي تناولت جانباً من جوانب الموضوع منها بحث الباحثة (جيهان السيد سعد الدين) كلية الآداب / جامعة عين الشمس/ مصر

(الاستبداد والحرية لدى حكماء الفكر مصر القدامى وفلاسفة اليونان)، وكذلك الباحث (احمد انور) (جدولة الخضوع والثورة عند المصريين القدامى) دراسة تاريخية، مجلد ٤٤ ، حوليات عين الشمس، وم.م (بشير حميد) تحت عنوان (الطغيان في القرآن)،كلية العلوم الاسلامية ، جامعة الانبار، وبحث ايضاً (د. وسناء حسون) المعنون (اهمية الدم الملكي في انتقال العرش في مصر) جامعة الموصل / كلية الاثار، قسم الحضارة .مجلد ٨. العدد ٣٠، سنة ٢٠١٢.

اعتمدت الدراسة على عدد من المصادر العربية والمترجمة، وكذلك المصادر الأجنبية منها (موسوعة مصر القديمة) لسليم حسن، وكتاب برهان الدين دلو(حضارة مصر والعراق التأريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي) وجميس بريتشارد (نصوص الشرق الادنى القديمة من العهد القديم). وكتاب نعيم فرح (موجز تاريخ الشرق الادنى) وكذلك المؤلف ابراهيم احمد رزقاته (حضارة مصر والشرق القديم)، واحمد صادق سعد مؤلف كتاب (تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي. و اريك هورنونج (ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد) ونيقولا جريمال مؤلف كتاب (تاريخ مصر القديمة)، و يان اسمان(مصر القديمة تاريخ الفراعنة على ضوء علم الدلالة الحديث).

وفي الختام لابد من القول ان دراسة ظاهرة الاستبداد في مصر القديمة ليس هدفها اظهار الجوانب السلبية للحضارة المصرية القديمة بقدر كونها محاولة للوقوف على حقيقة مهمة وجدت في الحضارات القديمة ولا زالت موجودة في أماكن متعددة من العالم الا وهي ظاهرة الاستبداد.

الباحثة

التـــمهـيـــد

.....

التـــــمهـــــيد

مفهومُ الإستبداد وجذروهِ

اولا: مفهوم الاستبداد :

أ- الاستبداد لغة: - هو غرورُ المرءِ برأيهِ وعدم تقبل النصيحة أو الاستقلال في الرأي وفي الحقوق المشتركة [١]، والاستبداد بالشيء التفرد بهِ [٢] والاستبداد هو اسمٌ لفعلِ (استبد) يقوم بهِ فاعل(مستبد)[٣].

ب - والحاَكِمُ الطَّاغِي: - الظَّالِمُ، الْجَبَّارُ الْمُتَجَبِّرُ، مَنْ يَحْكُمُ بِقَسْوَةٍ وَعُنْفٍ، ومستبد بحكمه واهم ما يتصف بهِ الطاغوت او الطغاة هو المكر واستغلال الناس الضعفاء والاستخفاف بأفعال الناس واقوالهم.[٤].

ومن المعلوم ان للقيادات الروحية والسلطات الدينية دورٌ فاعلٌ في ترسيخ هذا المفهوم في نفوس الناس حتى يتقبلوها ويرضخوا لظلم الظالمين ومثال ذلك الفراعنة وتأثيرهم في شعوب مصر من ظلم وبطش[٥]، ونجد من ذلك أن الفراعنة وصلوا الى مبتغاهم من إذلال الناس والبطش بهم والتحكم في مقدراتهم إذ كان للكهنة دور في التضليل لعقول الشعب [٦].

وأن الاستبداد يبدأ بفكرة تتحصن داخل منظومة فكرية تمنحه المدد والديمومه، وأن وجود الاستبداد هو نتيجة صراع الحياة الطبيعي ليأخذ منحنى باطش من قبل فرد على الجماعة محاولاً بسط سطوته وقهره عليه[٧] ، كما أن المستبد منغلق على نفسه ومستكفٍ بذاته وفي حديث علي ابن ابي طالب عليه السلام: (كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقا فاستبددتم علينا) كما يقال استبد بالأمر يستبد به استبداداً اذ انفرد به دون غيره[٨]. وقد ذكره الجواهري

---

١ - الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٠، ص١٥

٢ - ابن منظور، لسان العرب، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج٣، ص٨١

٣ - انيس، إبراهيم واخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ج١، ٢٠٠٥، ص٤٢

٤ - بشير، حميد عبد، الطغيان في القرآن(الفرعون) انموذجاً، (بحث منشور) ،المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الإسلامية ،الرمادي،٢٠١٢، ص ٦١٣-٦١٧ -

5- Black, A. (2016). *A World History of Ancient Political Thought: Its Significance and Consequences*. Oxford University Press.

٦ - الخليلي، الشيخ العلامة احمد بن حمد، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط ١، ٢٠١٣، ص١٤

٧ - لبيب، سامي، استبداد الحكام العرب هو منتج طبيعي لتراث وتربة دينية خالقة وحاضنة ومعتنيه، مقالة، قناة الحوار المتمدن، ٢٠١١\٢\٢٢

٨- مبارك، زهير فريد، اصول الاستبداد العربي، رسالة ماجستير/ كلية الآداب/ برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة / جامعة بيروت، ٢٠٠٧، ص٣٠

في الصحاح إذ قال (استأثر فلان بالشيء أي استبد به)[١]، فالاستبداد لغة هو الانفراد بالشيء فيكون الانفراد بالحكم استبدادا به [٢].

إذ أن الحاكم المستبد هو الشخص المنفرد بالحكم وحده لايأبه لإحد غيره ، يصدر قرارته واهوائه لا يشرك أحد في حكمه أيضا لا يسمح لإحد أن يسأله وحده له الحق في مسألة الناس عما يفعلون [٣].

ومن المسببات للطغيان هي ما تبدأ بالمال والحياة المترفة إذ كثرة المال وبطر الحياة وترفها يساعد على طغيان الشخص وبالحقيقة المترفون لا يهتمون سوى بملذات الحياة وأيضا للسلطة دور كبير في ظهور الطغيان إذ أن الشخص المسؤول يتجاوز الحد المقبول في السلطة في الإمر والنهي ومن امثلة ذلك تجاوز الطاغية ووصوله مرحلة ادعاء الربوبية كونه طغى ويترتب على طغيان السلطة ظلم الناس[٤].

ثانيا ـ الاستبداد اصطلاحا

يعد الاستبداد على مستوى العالم هو أعلى مراتب النفي الذاتي إذ يعيق التقدم عن طريق القمع المتجسد في الذات وأيضا يصادر حرية الأفراد تحت مسميات عديدة تبريرية لذا فان الاستبداد يعد الجمود بجميع صوره الفكرية والابداعية والانتاجية [٥].

وأيضا يعرف الاستبداد هو تصرف شخص أو مجموع اشخاص في حقوق ومصير الأقوام بدون خوف [٦]، وقد عرَّفته الموسوعة السياسية الاستبداد: بأنه نظام أو حكم معين ينفرد بالسلطة دون الخضوع لقانون أو قاعدة وعدم الاهتمام إلى آراء المحكومين [٧].

ان الحاكم المستبد غالبا ما يرافقه شعور بأنه فوق القانون والشعب وان الشعب خدم وعبيد له يسيرهم وفق ما يشاء وهذا هو الواقع الذي كان تعيشه الشعوب، فالحاكم كان يشعر

١ - أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين (الصحاح تاج اللغة وصحاح) – بيروت/ ج٢، ص٤٤٤

٢ - الرضا، علي عبد، الاستبداد السياسي والديني وحدة في الاهداف والاساليب، (بحث منشور)، مجلة النبأ، العدد٣٦ ، السنة الخامسة ، ص١٩

٣ - جعفر، نشأت، القران والثالوث والاستبداد، الصفصافة النشر،٢٠١٥، ص١٦

٤ - بشير ،حميد عبد، الطغيان في القرآن(الفرعون) نموذجا،(بحث منشور)،المؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الإسلامية ،الرمادي،٢٠١٢، ص ٦١٣-٦١٧ -

٥ - مبارك، زهير فريد، اصول الاستبداد العربي، رسالة ماجستير، ص١٣

٦ - الرضا، علي عبد، الاستبداد السياسي والديني وحدة في الاهداف والاساليب ، ص١٤

٧ - الكيالي ،عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ب ت ،ص١٦٦

بأنه مالك هذه الاوطان وما عليها من سكان وخيرات وهو دائم الاستعداد في ان يضحي بكل شيء من اجل الحفاظ على موقعه [١].

وقد انقسم فلاسفة الفكر منهم من يدافع عن الحاكم المستبد ومنهم من يدافع عن حرية المحكومين واخرين يدافعون عن الاثنين معا. وقد وجد افلاطون مع مجموعة فلاسفة ان الحاكم المستبد هو العقل ينفذ ما هو الصالح لمواطنيه ويجب ان يطاع ويعد دافع افلاطون عن العقل الانسانية وجعلوا له السيادة الكاملة [٢].

ثالثا ـ مفهوم الاستبداد:

يشير إلى حالة الانفراد بالأمر والأنفة عن طلب المشورة وقبول النصيحة، والمستبد هو من استقل برأيه غروراً واستعلاء، وهو المنغلق على نفسه المستكفي بذاته الاستبداد ظاهرة قديمة ومستمرة في التاريخ وله أشكال وأنواع عديدة، ويمكن تعريفه بصورة عامة بأنه الانفراد بالأمر والأنفة عن طلب المشورة أو عن قبول النصيحة، إذ ينبغي الطلب أو القبول فإذا كان الأمر متعلقا بمصلحة الفرد نفسه فإن الاستبداد يأتي على الأغلب تعبيراً عن غرور المرء بنفسه، أو عن عدم قدرته على الانفتاح والتبادل أو عن إرادته كتم حقيقة عن غيره، وإذا كان الأمر متعلقاً بتدبير مصلحة جماعية معينة فإن الاستبداد يعني التصرف المطلق في شؤون تلك الجماعة بمقتضى المشيئة الخاصة والهوى وفي هذه الحالة لا يبعد معنى الاستبداد عن معاني التعسف والتحكم والاستعباد والسيطرة التامة». ان هنالك تشابها في الانظمة الاستبدادية التي شهدها العالم طيلة العصور القديمة والحديثة عن طريق طرق سياسة الحكام وعلاقتهم مع افراد المجتمع وعلاقة مساعديهم ودورهم في تعميق الاستبداد [٣] .

إنَّ من اهم صفات المستبد (التكبر والطغيان والعظمة والمتعة بقهر الشعوب وإذلالها وعدم مشاورة اصحاب الرأي والخوف الدائم من الانقلاب والثورات) أغلب هذه الصفات ساعدت على ظهور شخصية المستبد وعلى مر التاريخ عانت الشعوب ومنذ القدم من

١ -الجبوري، مصلح خضر، جذور الاستبداد والربيع العربي، الاكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الاردن،ط١ ،٢٠١٤، ص١٦

٢ - سعد الدين، جيهان السيد، الاستبداد والحرية لدى حكماء الفكر مصر القدامى وفلاسفة اليونان، بحث منشور حوليات ادأب عين شمس، المجلد ٤٥، عدد يناير- مارس٢٠١٧ ، ٣٩٤

٣ - الجبوري، مصلح خضر، جذور الاستبداد والربيع العربي، ص ١٠

.....

الاستبداد ومن الحكام الذين تولوا السلطة المطلقة بحجة النظرية الإلهية التي تقدس الحاكم والفرعون وغالبا ما يواجه الاستبداد بثورات كما في الثورة الاجتماعية في مصر القديمة [١].

تفقد الحرية نتيجة الاستعباد ، والاستعباد هو أحد مظاهر أو اذرع الاستبداد وهي على عدة أنواع مثل (التسلط والجبروت والظلم والأبوة والدين) إلا أن الانسان يظل يبحث عن الحرية من الحكومات المتسلطة [٢].

وأنّ كلمة المستبد مشتقة من الكلمة اليونانية (despotes) التي تعني رب الأُسرة أو سيد المنزل أو السيد على عبيده ثم خرجت من النطاق الأسري إلى النطاق السياسي الذي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه مماثلة لسلطة الأب على أبنائه أو عبيده، إذ تعتبر سلطة أخلاقية وتتطلب الاحترام للأباء والخضوع لهم إما السلطة السياسية فتتطلب طاعة القوانين [٣].

عن طريق التعاريف السابقة للاستبداد نستنتجَ أن الاستبداد أو الحاكم المستبد يتصف بعدة نقاط منها :-

أ- الانفراد بالحكم. فالحاكم المستبد لا يسمح بذوي الاختصاص بالتدخل واعطاء المشورة والنصح

ب - عدم الالتزام بالقانون فالحاكم المستبد لا يخضع للقانون فقط القانون ينفذ على عامة الشعب

ج - تولي السلطة بطرق غير قانونية عن طريق تغير الدستور والتزوير وعدة طرق اخرى

لذا أُعرف الاستبداد بصوره الأخيرة (هو **الحاكم المستبد او السلطة المستبدة التي تتولى بطرق غير شرعية واحيانا شرعية بعدم مشورة الآخرين وعدم الخضوع للقانون)**

وبتالي ذات نتائج غير مرضية على المجتمع.

---

١ - شرقي، صالح الدين، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته دراسة مقارنة بين الفكر السياسي الاسلامي وانظمة الحكم العربية المعاصرة، (اطروحة دكتوراه)، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،ص٣٤

٢ - الحافظ ، منير، عصاب الحرية، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٢، ص٣٦٢

٣ - انور، احمد ، جدلية الخضوع والثورة عند المصرين ، ص ٢٠

.....

رابعا- الاستبداد الشرقي

طرح بعض المفكرين الغربيين آراء قد لا تكون دقيقة حول ارتباط الاستبداد بالشرق فأرسطو على سبيل المثال يرى (أن الشرق هو موطن الاستبداد بسبب شعوبها كونها تميل الى الاستبداد لأنها عبيد الطبيعة) وأيضا أيده في ذلك المفكر الفرنسي مونتسكيو صاحب نظرية (الفصل بين السلطات ومؤسسها)إذ يصف الاستبداد الشرقي هو قدر صعب التخلص منه إذ أن الحاكم هو دائم الاستناد على الدين في حكمه وبذلك يتكمن من الاستبداد في حكمه وأما هيغل الذي وافق هذه الأفكار(أن الشرق دائمة الحكم المستبد إذ يقوم النظام الشرقي على حاكم واحد له مطلق الحرية في إدارة بلاده كما في استبداد الابُ لابنه رغم أن لديه بعض الحقوق لذا تصبح طاعته واجبة كونه أب للجميع أما كارل ماركس الذي وافق الفكرة وأطلق على الاستبداد الشرقي (نمط الانتاج الإسوي) [١].

إنّ الكاتب د. حسين الهنداوي يذكر في كتابه أنه ليس هناك استبداد شرقي أو استبداد غربي وإنما هناك سلطات استبدادية تتضارب مع جوهر الانسان (الحرية) وان مسميات الاستبداد المتنور والعادل وغيرها ماهي الإ مسميات فارغة لا تخفي وجود الطغيان والظلم في النظام المعني [٢].

إنَّ مراحل تنوع وتطور مفهوم الاستبداد الشرقي هي عدة مراحل لكن التي تخص صلب الموضوع الاستبداد الشرقي هي

أـ النظرية الاغريقية التي تدعي أن أساس الحكم المطلق للحاكم أو الملك هي العبودية الفطرية إذ ينظر الملك ألى ذلك بأنه حق مشروع.

ب ـ نظرية العصور الوسطى المتأخرة والتي نصت على أن الاستبداد هو نوع حكم ملكي أو طاغية تميز بإساءته للحكم [٣] .

الاستبداد الشرقي هو ايضا النظام ما قبل مرحلة الرأسمالية أو الاقطاع وهو ممارسة الحكم والطغيان والتسلط موجود في تاريخنا منذ القدم أي منذ عهد الفراعنة في الحضارة المصرية القديمة وحتى الامبراطورية العربية [١].

---

١ -عبد الفتاح، سيف الدين، مقالة، تفكيك مقولة الاستبداد شرقي، صفحة العربي الجديد،١/ ابريل/ ٢٠٢٢

٢ - الهنداوي، حسين، استبداد شرقي ام استبداد في الشرق، ط١، ٢٠١٦، المدى للنشر، ص٧٦

٣ - مكاوي، عبد الغفار، تجارب فلسفية، مؤسسة الهنداوي للنشر، ٢٠٠٨، ص٢١٧

خامسا- انواع الاستبداد

لقد تميز الاستفراد بالحكم والاستعباد والتسلط والسيطرة في شؤون الناس والتحكم بخيراتهم بأسماء مختلفة مثل التفرد والتسلط والاستبداد والطغيان والشمولية وغيرها في اشارة الى نظام حكم مستبد استخدم القوة والعنف في أدارة شؤون الدولة [٢].

أ - الطغيان ويعرف الطاغية بأنه يقهر الناس ويأكل حقوقهم ولا يبالي ما يأتي ما يدل على تجاوز الحد المعقول إذ ان الطاغية لا حدود له وهنا الفرعون تجاوز حدود العقل فأدعى الالوهية وغالبا ما يصل الطاغي للحكم عن طريق الدسائس والحيلة ويرتبط الطغيان بالحكم الاستبدادي ويتميز الطغيان عن الاستبداد بالقهر والجبروت والظلم [٣].

ب - تعد الدكتاتورية هي نظام سياسي او انفراد الحاكم المستبد بسلطات الحكم دون الرجوع إلى الشعب أو المشاركة من الأخرين وأن الدكتاتورية لا تخضع إلى الرقابة بكل مظاهرها لذا تعد الرقابة السياسية منعدمة لهذا الجانب وتعتبر تركيز السلطة بيد شخص واحد أو حزب أو هيئة مستبدة وأيضا يتولى المستبد الدكتاتور السلطة عن طريق الانتخابات وهذا منذ العصر التي تلت العصور القديمة عادة تكون انتخابات ل مدّة محددة إلا أن الحاكم المستبد يستحوذ على السلطة ويستمر فيها بدون عذرٍ قانوني شرعي يتيح له الاستمرار في الحكم وأيضا ضد رغبة الشعب [٤].

ج - الشمولية: أو النظام الشمولي هو نظام يعمل على حصر السلطات السياسية بيد الحاكم الواحد بشكل مطلق إذ يحق له إصدار القوانين والتشريعات بما يخدم سلطته ويعزز وجوده أي سلطة مركزية تتفرد في صياغة القرارات وبالتالي تكون جزءاً من السلطة المركزية السياسية وقد تم تسمية مثل هكذا سياسيات بالأنظمة الشمولية [٥].

إن من أهم صفات الحاكم المستبد أن تُجمع بيده جميع السلطات ويتدخل في كافة جوانب المجتمع لذا تُعد الشموليةُ صفة معبره عن مكنون الحكم الفردي وخلاصة القول أن الحكم الفردي المستبد يجمع في طياته الكثير من النظم السياسية ذات طبع الاستبداد والطغيان التي

---

١ - نعمة، اديب ، الدولة الغانمية والربيع العربي، دار الفارابي للنشر، بيروت/ لبنان، ٢٠١٤،ص٨٨

٢ -محمد، وليد سالم، النظم السياسية العربية (اشكاليات السياسات والحكم)، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ٢٠٢١،ص ١٤

٣ - شرقي، صالح الدين، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته دراسة مقارنة بين الفكر السياسي، ص ٣٢-٣٤

٤ - شرقي، صالح الدين، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته دراسة مقارنة بين الفكر السياسي، ص ٢٩

٥ - الجبوري، مصلح خضر، جذور الاستبداد والربيع العربي، ص٨١

لا تستند الى دستورٍاو قانون متمثلة في شخص أو حكم معين لا يشاركه في الحكم شخص اخر يأخذ جميع الصفات المطلقة التي تمثل كل أشكال الحكم التسلطي [١].

ح ـ السلطوية: يمكن تعريف النظرية السلطوية بكونها فكره تستند الى أن الحقيقة لا تنبع من عامة الناس ولكنها تُخلق في أذهان الحَّكام والملوك بمعنى أن الفكر الانساني حكر على طبقة معينة لها الحق في الملك دون الطبقات الأخرى وأيضا تعني عدم قدرة الشعب في حكم البلاد وأن الملك يكون منفردا في ادارة الدولة [٢].

ومن اهم صفات الشخصية السلطوية هي عدائية تجاه الأشخاص أقل منزلة منها وتعاملهم بذل واحتقار وأن السلطويين غالبا ما يعانون من التربية القاسية التي تعكس آثارها على أفراد الشعب المحكوم [٣].

إنّ العلاقات السلطوية سواء كانت في البيت أو المؤسسة الدينية أو السياسية السائدة إذ تتحكم في مصير الإنسان ومستقبله فلا يستطيع الفرد أن يغير من أشكالها أو يؤثر فيها [٤].

إن مفهوم التسلطية هو مفهوم حديث يعني الاحتكار الكامل لمصادر القوة والسلطة في المجتمع فتسير امتداداً لمعنى الاستبداد القديم مع ملاحظة آثار الحكم الذي ينشأ من شروط الحياة المعاصرة وهو يدل على الهيمنة والتسلط في المجتمع ويتفق مع الاستبداد في الانتشار بالحكم دون وجه حق أو سند قانوني أو سياسي فالنظام السلطوي يقوم على انفراد نخبة معينة بالحكم لها حاكم أعلى يتمتع بسلطات واسعة ويفرض هذا النظام نفسه على الشعب ويفرض قيودا على الحريات السياسية والاقتصادية [٥].

هكذا تبدل وظيفة السلطة من الجانب الأمني حتى يصل إلى اقصى درجاته لدى السلطة غير المنطقية ولدى السلطة الفرعونية وسلطة السلطات، إلا أن هذه السلطات المستبدة تجعل من هواها سلطة ومن أفكارها الطريق الصحيح ومن أساليبها طريقة مثلى [٦].

---

١ ـ محمد، وليد سالم، النظم السياسية العربية (اشكاليات السياسات والحكم)، ص١٥

٢ ـ السماسيري، محمود ، فلسفات الاعلام المعاصر (قراءة في ضوء المنظور الاسلامي)، ط١، ٢٠٠٨، امريكا المعهد العالمي للفكر الاسلامي، ص٤٩

٣ ـ خضر، شيراز محمد، علم النفس التعصب والتحييز، ط١، ٢٠٢٢، ص١٩

٤ ـ ميلود، ولد الصديق ، الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مكتب الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٥، ص٧٦

٥ ـ فوكه، سفيان، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة، مقالة، مركز المجدد للبحوث والدراسات

٦ ـ عبد الفتاح، سيف الدين، هوامش على الظاهرة الاستبدادية، مقالة، موقع الهربي الجديد، ٢٤/ مايو/٢٠١٩

إنّ السلطة في العصور القديمة هي سلطة مطلقة ليس عليها قيود أو شروط محددة وكانت العلاقة بين الحاكم والشعب هي قوة حتمية وكان الحاكم يستمد سلطانه من القوة التي يفرضها على الجمهور فكلما كان قويا كان أكثر سلطانا وثباتا ولم يخضع الحاكم لشروط أو قانون فكان يدع الأشياء دون حسيب أو رقيب [١].

والسياسة بمفهوم سلطة الحاكم وبناءاً على هذا الاعتبار تعرف السياسة أنها سلطان أو سلطان ونفوذ وفي هذا الصدد يذكر لا زويل و كابلان أن علم السياسة كفرع من فروع المعرفة و البحث التجريبي هو دراسة تشكيل السلطان والمشاركة فيه باعتبار أن السلطان معناه فرض إرادة على إرادة سواء كان ذلك باستخدام أساليب إقناعيه أو إجبارية، ويذكر هارولد لا زويل أن دراسة السياسة هي دراسة النفوذ وذوى النفوذ وإن لعلم السياسة ظروفاً وشروطاً، في حين أن فلسفة السياسة تبرر تفصيلات وتعدّ السياسة علماً يعطى اهتماما خاصا بدراسة السيادة ونظرية السلطة العامة وكيفية نشأة الدولة والنظريات المختلفة في ذلك، وكعلم يمكنه التفرقة بين السيادة أو السلطة المطلقة التي تتمتع بها الدولة فقط أمّا المجموعات الأخرى فلا تتمتع إلا بسلطة محدودة أو تستمد سلطتها من سلطة الدولة، ويجب الحذر التام من الخلط بين مفهوم السياسة من جانب وعلم السياسة من جانب آخر .فعند الحديث عن علم السياسة لا يعني ممارسة الحكومة تتم على يد علماء، فالساسة والحكام كثيراً ما يتخذون قراراتهم على أساس الرأي وليس على أساس معرفة معينة، فالسياسة كما يقال في كثير من الأحيان

" فن ولعل أقدم الاتجاهات و أكثرها تقليدية في تعريف علم السياسة هو ذلك الذي يركز على دراسة الدولة والوحدات المتفرعة منها"[٢].

سادسا: مخاطر الاستبداد

للاستبداد مخاطر عدة وتحديدا مخاطر الاستبداد السياسي والديني إذ لم يكن بينهما فرق وهما حسب قوله أخوان ابوهما التغلب وأمهما الرئاسة قريبان لدرجة كبيرة قابلة بإذلال

١ - شرقي، صالح الدين، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته دراسة مقارنة بين الفكر السياسي ، ص ٤٠-٤٢

٢ - أبو السعد ،رشا عبد الرؤوف على أبو السعد، " الأسطورة السياسية فى مصر القديمة ووظائفها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآثار المصرية، جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم الآثار المصرية،، كلية آثار الفيوم، ٢٠٠٤، ص٣١

الناس[1] إذ أن هذا التقارب والترابط يجر عامة الناس للالتباس وعدم الفرق بين الأله المعبود وبين المستبد المطاع بالقهر[2].

إنَّ الاستبداد يمثل في السلطة والسلطة تمثل الدولة في مفهومها الحداثي ببعد الالهة الميثولوجية القديمة لدى الشعوب القديمة إذ رأى الفلاسفة الكبار أمثال هيجل وماركس وغيرهم أن الدولة والسلطة تصبح محط للقوى المتصارعة من النفوذ والسلطة والمال ونتيجة السلطة التي تكون فيها الدولة مستبدة تصبح في نمو متزايد لا رجعة منه ولا مهرب للمواطن منها [3].

أيضا من عوامل ظهور المدينة التجارية هو نشوء البرجوازية التي تتكون عادة من عدة صفات اهمها العسكرية والاستبداد والتي تتطلب حماية الملكية الخاصة وديمومتها وغياب الملكية الخاصة ساعد على ظهور الاستبداد [4].

إنَّ التخلف الذي ينتشر في العالم ليس سببه النقص المادي وليس عدم وجود كفاءات بشرية مؤهلة لحكم البلاد وإنَّما السبب الرئيسي هو فساد أنظمة الحكم وتسلطها واستبدادها في الملك وعدم التفكير في صالح الشأن العام إذ لا تضع الرجل المناسب في المكان المناسب بل تطلق عنان الفاسدين وأصحاب المصالح ليديروا شؤون البلاد والعباد [5].

يعد الكواكبي أن الاستبداد السياسي والديني أخطر أنواع الاستبداد وأصل كل مظاهر التخلف التي تنهش في جسد الدولة أو المملكة والكواكبي بدوره يحمل رجال الدين مسؤولية استمرار الاستبداد كونهم يشرعنون أفعال الحاكم الجائرة إذ يستبيحون وجوب طاعة الظالمين ،دفعا للفتنة وقد غيروا في أصول الدين وجعلوه مناسباً لآراء الحاكم وسلطته لذا لابد من الدفاع عن حقوق الانسان وكرامته وعدم استعباده أو الاستبداد بمصائره لذا يعد

1- Beck, K. A., & Joshi, P. V. (2010). On Tyranny. *New England Journal of Political Science*, *5*(1), 3.

٢ - دراسات شرق اوسطية، مجلة فصلية محكمة، مركز دراسات الشرق الاوسط بالتعاون مع المؤسسة الاردنية للبحوث والمعلومات، العدد (٧٥)، ٢٠٢٠، ص٦٢

٣ -غانم، ابراهيم بيومي، ميراث الاستبداد، القاهرة نيو بوك للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٨، ص٢٨

٤ - فخر الدين، صقر ابو، الدين والدهماء والدم واستعصاء الحداثة، فكر ودراسات ، المؤسسة العربية للنشر، الاردن، ٢٠٠٧،ص٤٣

٥ - ابو داود، السيد، الامة في مواجهة الاستبداد، ط ١، ٢٠١١، مكتبة جزيرة الورد للنشر، ص ٣

الاستبداد نقيض للطبيعة البشرية الطامحة للحياة والحرية ويعد العلم هو سلاح ضد الاستبداد فالجهل يساعد على استمراره [١].

إمّا في ما يتعلق بتاريخ مصر القديمة جدير بأن يذكرهُ المصريون ويفتخرون به حكمت البلاد المجاورة لها في فترات محددة وليس كل الوقت واستطاعت أن تمد سلطانها على مناطق البحر الأبيض المتوسط وقد مر عليها أشكال الحكومات والسياسات التي اغلبها اتصف بالطغيان والاستبداد وعُرف في حقبة زمنية معينة باسم الاستبداد أو الطغيان الفرعوني [٢].

قامّت الدولة لأول مره في تاريخ البشرية في العراق ومصر في آنٍ واحدٍ وأن الدولة اقيمت لحماية الانسان وحماية المجتمعات الصغيرة آنذاك إذ كانت بسيطة التشكيل دون تعقيد لكن بمرور الوقت تحولت الدولة مع استبداد الملوك بالحكم والنفوذ فبدأت بسلب حرية الانسان [٣] وستناول بالتفصيل موضوع الاستبداد في مصر القديمة.

[١] - طليمات، جليل، عن الاستبداد والمستبد، مقاله، جريدة المغرس العلمية ،٢٠١١/٧/١٣
[٢] - هيكل، محمد حسين ، تراجم مصرية وعربية ، الهنداوي للنشر والتوزيع ،٢٠١٢، ص١٢
[٣] - ذو الفقار، علي، اول ثورة في التاريخ ، مقالة، منشور في الموقع قربة: أغسطس :٢٠١٩

الفصـــل الاول
الاســتـــــبـــــداد الاجـــــتمـــــاعي

المبحث الأول: الاستـبداد الأَسـري والقبـلي
المبحث الثاني: استـبداد الطبـقات الاجتـماعية

المبحث الأول

الاستبداد الأُسري والقبلي

اولا: الاستبداد الأُسري

مصر بلد ذو حضارة من أعرق حضارات العالم، مرت عليها دول ذات انظمة حكمٍ مختلفة كانت مصر خلالها مع العدل مرة ومع الظلم والاستبداد مرة أخرى، قدمت هذه الحضارة نصوصا حضارية واضحة عن طبيعة المجتمع الفرعوني فالإله(رع) إله الشمس حينما حكم مصر آنذاك أخضع أهلها لقانّون يزعم أنّهَ جاء به من السماء[١]، ويقوم أساسه على الحق والعدل والصدق، وأوجب هذا القانّون عدم التفرقة بين رجل مهم وآخر من أصل متواضع وعدم إيقاع عقوبة غير عادلة ومساعدة الضعيف وعدم جواز القتل[٢].

ومصر الفرعونية تدل على الكلمتينّ اللتينّ تناقض الخير والشر بجميع المعانّي ومن كافة النواحي ففي الكثير من الأحيانّ تترجم كلمة (ازفت) بمعنى ذنب وظلم [٣].

كانت الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الحجري القديم إذ الأسرة ذات نظام الأمومة وهي سيادة الام المطلقة وأيضا الانتماء على صلة الرحم والانتساب إلى الأم وفي العصر الحجري الحديث ومعرفة الزراعة واستئناس الحيوان والاستقرار في قرى وادي النيل ساد نظام الأسرة الأّبوية ورابطة الدم بين أفراد الأسرة من جهة الذكور والخضوع لسلطة الأب أو الأخ الأكبر وله حق الاعتراف ببنوة أبنائه أو انضمام شخص للأسرة كالتبني أو بيع أحد أفراد الأسرة نتيجة فقر أو ديون [٤].

مع بداية العصر الحجري الحديث يبدأ من (4000) حتى(10000) ق.م، وزال نظام الأمومة في مصر القديمة ليحل محله نظام سيادة الأب ولكن رغم ذلك ظلت

1- Yoyotte, J. (1981). Pharaonic Egypt: Society, economy and culture. *General history of Africa, 2*, 112-134.

٢ ـ .م. د. فرات محمود ميران، حقوق الإنسان في الحضارات القديمة الاخرى، مفردات المحاضرة الثالثة، مادة حقوق انسان . ص٢

٣ ـ خميس ، هدى رجب ، حجاج النزعات الإلحادية في مصر القديمة وعلاقتها بمفهوم الـ ازفت ،مجلة كلية الاداب جامعة الفيوم ،الانسانيات والعلوم الاجتماعية ، مجلد ١٤،ع ٢، ٢٠٢٢ ،ص١٠٤٢.

٤ ـ العبادي ، محمود انعيمه خليفة ،الاستبداد في الفكر العراقي القديم ، رسالة ماجستير(غيرة منشور)، جامعة واسط ، كلية التربية،٢٠٢٠، ص ٢٧

بعض ملامح نظام الأمومة سائداً في حياة وتقاليد المجتمع في مصر إلى نشوء دولة العبودية إذ نلاحظ أنّ الفرد يكنى باسم أمه وليس باسم أبيه ويرث أحيانا عن جده والد امه إلا أنّه في الواقع أصبح فيما بعد الرجل في مصر سيد الأسرة ويحق له اتخاذ بعض الاجراءات القاسية والتسلطية [١].

تعد المرأة في ذلك الوقت هي المكتشف الأول للزراعة وتدجين الحيوانّ وظهرت أول معبودة آلهة أنّثى صورت للناس وبذلك كانت المتحكمة في الإنّتاج والدين[٢]، ولكن بفعل تغيرات عدة انسحبت سياسة السلطة الأمومية وتحولت للرجل وذلك بسبب الطبيعة البيولوجية للمرأة والمتمثل بتخصيص الأعمال المنزلية والعناية بالأولاد وضعف مقدرتها البدنية مقارنة بالرجل وبالتدرج انتُزعت جميع أنّواع الزعامة من المرأة إلى الرجل [٣].

أنّ أولى المراحل التي عُرفت عن المصريين هي الصيد وتلتها الزراعة وبذلك تكون هناك مساحات خاصة لرعي الأغنام والزراعة فبدأت الصراعات فيما بين الأفراد أو الجماعات الصغيرة فتطلب الأمر وجود نظام اجتماعي لكل مجموعة سكانية يتولى الدفاع عن حقوقها فظهرت الحاجة إلى زعيم يقبض زمام الأمور وأنّ النظام الأساسي في مصر منذ العصور القديمة الشيخ أو السيد الذي تلتف حوله الحاشية وله احقية الأمر والنهي والحكم بين المتخاصمين والدفاع عن المنطقة إذ كان ينظر إليه الناس أنّه المنقذ والمحسن ومن أقوال بعضهم (أنّه قدم الخبز للجائع وأقام العدل ولم يتحدث إلا بالخير) إنّ هذا المستوى من العدل والأنّصاف كان يقوم به حاكم الاقليم إلا أنّه في الواقع يتميز بالظلم والضرب أطناب ولم يستطع الفقير أنّ يدافع عن نفسه وأنّ كل ما ذكر كان شائعاً في مصر القديمة في عصور الاضمحلال والظلم [٤].

---

١ - فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي ،الاقتصادي، الثقافي)، دار الفكر للنشر، ص ٦٢

2- Watterson, B. (2011). *Women in ancient Egypt*. Amberley Publishing Limited.

٣ - العبادي، محمود انعيمه خليفة، الاستبداد في الفكر العراقي القديم، ص ٢٧

٤ - سير و.م فلندرز بتري، حياة اجتماعية في مصر القديمة، ت حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم، ط١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٢١، ص ٢٧

إنّ المجتمع المصري قد وصل إلى التنظيم قبل تأسيس الأسرة الأولى بزمن طويل إذ تذكر الدراسات أنّ مصر والعراق أول مجتمع في تاريخ البشرية عرف نظام الدولة إذ أنّ وادي النيل هيأ لسكانه التسلط على كل موارد الدولة اللازمة للتقدم الإنساني لدرجة بدأت الجماعات المحلية تتوحد على شكل تدريجي، ومنهم من يتولى سلطة الأمر والنهي [١].

بدأ الاستقرار وعرفت الزراعة وتدجين الحيوان وشيدت المساكن الأولى وبناء أول قرية كما عرفت الحضارة المصرية القديمة استخدام النحاس والكتابة، وظهور الوحدات الاقليمية وقيام الممالك المحلية واختفاء نظام العشائر وظهرت الحاجة إلى التعاون من أجل الحماية وتبادل المنفعة المشتركة في القرية ثم المدينة [٢] .

عن طريق الاكتشاف التاريخي للزراعة في مصر القديمة أثبت التاريخ البشري أنّ النساء المصريات القديمات هن أمهات الحضارة وإليهن يعزى العمل في الزراعة وقد رمز لهن بالإلهة (نوت) آلهة السماء وآلهة الحكمة (أيزيس) وآلهة العدل (ماعت)[٣].

وتشكل النواة الأولى هي الأسرة وهي أساس الحياة الاجتماعية في حضارة مصر القديمة[٤]، وكان الرجل هو المسيطر على الأسرة والشخص الرئيسي فيها، على أنه كان يعتمد كثيرا على زوجته وأولاده في زراعة الأرض واستنبات غلاتها وتربية حيواناته نظرا لما تحتاج إليه فلاحة الأرض من الأيدي العاملة، وتختلف ملكية الأرض باختلاف مساحة الأرض التي كانت كل أسرة تقوم بزراعتها، واختلاف عدد الأيدي العاملة التي كان يتسنى لها استخدامها ، ومقدار المحصول الناتج ،كانت الأسر تتفاوت فيما بينها في الثراء، وفيما يترتب عليه من جاه ونفوذ

١ـ أبو طالب ،صوفي حسن، صوفي حسن ابو طالب، (مبادئ تاريخ القانون)، دار النهضة العربية، ١٩٦٣، ص ٤٢٤

٢ ـ الانصاري، ناصر، المجمل في تاريخ القانون المصري، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨، ص٣٠

٣ ـ (ماعت) تصور الاهة ماعت في هيئة فتاة شابة تضع على رأسها ريشة نعام وهي العلامة الهيروغليفية المستخدمة عند كتابة اسمها ان ماعت هي رمز الحقيقة والعدالة وهما فضيلتان لاتنقسمان وضروريتان في حسن تدبير امور المجتمع والعالم الذي الههما المصري القديم. ينظر: الفراعنة في مملكة مصر (زمن ملوك الالهة) ،تأليف ،كلير لالونيت ،ت ماهر حويجاتي ، ط ١ ،٢٠١٠ ، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية.

4- Frood, E. (2010). Social structure and daily life: Pharaonic. *A companion to ancient Egypt*, *1*, 469-490.

وسلطان وهكذا نشأت الملكية العقارية للأسرة، ونشأت معها الفوارق الاجتماعية بين الأسر وكانت الأرض وما تنتجه من حاصلات هي أهم العوامل التي أدت إلى ذلك التفاوت[١].

اوضحت الدراسات التاريخية أنّ المرأة المصرية كانت تحظى بمكانه عالية في المجتمع، وكانوا ينسبون إليها الوليد أو الرضيع، وهذا يدل على مدى استبداد الأمومة. إلا أنّ الصراعات الدموية إطاحت بفلسفة الحق والعدل للآلهة المؤنثة (ماعت) والأم المصرية وحلت مكانها فلسفة القوة المسلحة، إذ استطاع الفراعنـــــــة والملوك الاقطاعيون أنّ يسلبوا الشعب المصري حقوقه باسم الإله الحاكم أو الفرعون الأكبر ويبدأ الاستبداد ومشواره [٢] .

يظهر أنّ استبداد الأم في مصر منذ بدء تكوينها يرجع إلى ظهور الإلهة (حتحور)[٣]، والتي ترمز إلى السماء إذ مصدر الخير للبشرية وبرزت الأمومة كسمة أساسية تقرب للأذهان احتضانها للشمس فتصبح (حتحور) الأم الحنونة لظاهرة كونية طبيعية [٤].

إنّ مع بداية العصر الحجري الحديث زال نظام الأمومة في مصر القديمة ليحل محله نظام سيادة الأب ولكن رغم ذلك ظلت بعض ملامح نظام الأمومة سائدة في حياة وتقاليد المجتمع في مصر الى نشوء دولة العبودية اذ نلاحظ أن الفرد يكنى بأسم أمه وليس بأسم أبوه ويرث أحيانا عن جده والد أمه إلا أنه في الواقع أصبح الرجل في مصر سيد الأسرة ويحق له اتخاذ بعض الاجراءات القاسية والتسلطية[٥].

وبعد بروز شخصية الأب واستبداده وتسلطه فسر علماء النفس أنّ ما تعرض له الأب في طفولته من العقاب القاسي والعنف المطرد في أغلب الأحيان من قبل أسرهم

١ ـ رزقاته، ابراهيم احمد واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم ، دار مصر للطباعة،١٩٥٨، ص٦٧
٢ ـ نوال السعداوي ،قضايا المرأة والفكر السياسي ،مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع ، ص١٧٧
3- Youngkin, M. (2016). Bound by an English Eye: Ancient Cultures, Imperialist Contexts, and Literary Representations of Ancient Egyptian Women. In *British Women Writers and the Reception of Ancient Egypt, 1840–1910: Imperialist Representations of Egyptian Women* (pp. 1-33). New York: Palgrave Macmillan US.
٤ـ الزحلاوي ، نجلاء حبيب، تطور الفكر الانساني، مصر، مكتبة مدبولي ، ٢٠١٤،ص٤١٦
٥ ـ فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الادنى ... ، ص ٦٢

أو من المجتمع ولد لديهم كبت للمشاعر وبالتالي ترجمها في مرحلة الكبر والنضج بسلوك تعصبي ضد الآخرين، وفيما يرى آخرون أنّ النزعة نحو الاستبداد والتسلط ليست شيئا مكتسبا وأنّما هو نابع من الطبيعة الإنسانية نفسها والتي تحوي أيضا نزعة نحو العبودية والخضوع فالشخص المستبد هو الذي تتغلب لديه النزعة الاستبدادية على باقي النزعات في طبيعته الإنسانية [١].

إنّ الاستبداد الذكوري تجاه النساء منذ القدم منتشر في أغلب المجتمعات وهو تسلط الرجل إذ العنف والضرب (جسدية، لفظية، جنسية، اقتصادية، نفسية) ضد الزوجة إذ يعد التسلط بما فيه العنف نمطاً من أنّماط السلوك البشري هو عبارة عن فعل يتضمن ايذاءاً الاخرين مصحوباً بالتوتر وانفعالات حادة بفعل عدائي وهجومي الغرض منه محاولة السيطرة أو اخضاع المقابل أو التأثير عليه [٢] .

نتيجة تسلط الرجل في حياة الزوجة يحق له تنفيذ عقوبة الحرق وهي حية إذا ارتكبت الزنا إذ وردت وثيقة[٣] من مصر القديمة وهي تنفيذ اشد العقوبات في المرأة الزانية وهي الحرق في حين لا يُشمل الرجل بذلك وأيضا وجُدت وثيقة من عهد الدولة الوسطى (2100- 1788 ق. م) تتحدث عن اسطورة ترجع إلى عهد الملك خوفو أحد ملوك الدولة القديمة (أنّ النساء الزانيات يتم حرقهن في المحارق ونثر رماد أجسادهن في النهر) في حين أنّ الرجل لا يعاقب بهذا الشكل والسبب الفوارق بين المرأة و الرجل وسيادته [٤].

١ـ العبادي، محمود انعيمه خليفة، الاستبداد في الفكر العراقي القديم ، ص ٣٤

٢ - عبد الوهاب، ايمان، انعكاس الوضع الحالي على العلاقات الاسرية (العنف ضد الزوجة)، بحث منشور ،مجلة دراسات موصلية ـ٢٠٠٧ - العدد ١٧ـ،ص ١٤٧

٣ - يطلق المؤرخون على هذا العصر الذي يبأ ببداية الاسرة الثالثة وينتهي بالأسرة السادسة عدة مسميات منها عصر الاهرام والعصور المنفية نسية لاستقرار ملوكها في العاصمة منف واستمرت ما يقارب اربعة قرون من ٢٧٠٠ـ٢٣٠٠ ق م ، ينظر : محمد سعد الله في تاريخ مصر القديمة ، الاسكندرية ،٢٠٠١، ص٨٩

٤ـ احمد عبد، نسرين، عبد الرحمن، يونس عبد الرحمن، عقوبة الحرق بالنار في قوانين بلدان الشرق الادنى القديم ، (بحث منشور) ، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٨٠ لشهر كانون الاول ـ ٢٠٢١ ، ص ١٢٢

في الأساطير المصرية القديمة كان (Apep) عبارة عن شيطان بهيئة ثعبان يمثل قوى الفوضى والموت والاضطراب وكان العدو اللدود للنظام، يتضح هذا التأويل في النفوس الضعيفة من مدّة المملكة الوسطى (2000 - 1650 ق.م) بما في ذلك كتاب الموتى وكتاب البوابات [١].

ترك فراعنة الدولة القديمة آثارا عمرانية تشهد على قوة سلطانهم واستبدادهم وهي الاهرامات المصرية[٢] التي لاتزال قائمة منذ أكثر من أربعة الالف سنة بشكلها الأولي الذي لم يتغير إلا قليلا، وما دفع فراعنة مصر وأشرافها الاغنياء على تسخير طاقات المجتمع في بناء هذه القبور الفخمة هو اعتقاد المصريين القدماء بأنّ حفظ جثة الفرعون بالتحنيط ووضعه في مسكن أبدى لا تطاله يد الأنسان يضمن الخلود لروحه[٣].

يعد عصر الاهرام(2650- 2190 ق.م) الذي تميز ببناء اهرامات كبيرة جدا من الحجارة تتطلب أيدي عاملة تقارب مائة ألف عامل يستبدل كل ثلاثة أشهر بنفس العدد من العمال واستغرق البناء سنوات طوال اي ما يقارب عشرين سنة في إنّجاز الهرم وقبل منها عشر سنوات لنقل الحجارة بعد نحتها بين النيل والهرم، كل ذلك إدي إلى استنزاف اليد العاملة من أبناء الشعب [٤].

عصر الأهرامات المتمثل بالأسرة الثالثة والملك زوسر الذي بنى أول الاهرامات في سقارة هو عصر تطور الفنون والعمارة الدينية من جهة[٥]، وبداية لاستغلال جهود اغلب الرعية لغرض بناء اهرامات الاسرة الثالثة التي يبلغ عدد ملوكها الذين

---

١ ـ محمد ،محمد كذلك ، السحر في مصر القديمة ، ٢٠٢٢، ص٩٨

2 -Romney, N. (2021). *Dynasties of Egypt: Decoding the Origins of the Greatest Pharaohs and their Legacy of Monuments*. DTTV PUBLICATIONS.

٣ ـ فرح ،نعيم ، موجز تاريخ الشرق ...، ص ٦٧

٤- حسن، علي ابراهيم، الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة، دار الكتب المصري،٢٠١٩، (بدون صفحة)

5- Strouhal, Eugen, et al. "Identification of royal skeletal remains from Egyptian pyramids." *Anthropologie (1962-)* 39.1 (2001): 15-24.

حكموا مصر هم ستة ملوك وأول ملوكها زوسر (جسر) اي المقدس وقد دام حكمه (29) عاماً، وتعد الأسرة الثالثة هي مرحلة انتقالية من العهد العتيق إلى المملكة القديمة [١].

ويشكل هذا البناء الضخم الذي قام على أساس الاستبداد الفرعوني ثروة (خوفو) التي بلغت مبلغا عظيما[٢]، والقسوة المنقطعة النضير التي استعملها الفراعنة في استعباد الشعب لإقامة مدفن هائل، والواقع أنّه إذا كان المقابر العظيمة التي أقامها الفراعنة تمثل المجهودات التي بذلتها آلاف النفوس البشرية، وإذا كنا لم نر أية معارضة ملموسة للآلام التي لا حد لها التي قاساها العمال[٣].

والواقع أنّ صبغة الفرعون الاستبدادية كانت مؤسسة على طبيعته الإلهية، وقد برزت هذه الظاهرة في قوته السياسية والإدارية، وذلك أنّ الأسرات الأوزيرية وديانة عبادة الشمس كانتا الأساس الذي تُبنى عليه معتقدات القوم، ومنهما نشأت نسب الملك إلى أصل إلهي وأبديته حسب عمله الدنيوي[٤].

بدأ عصر الفوضى والاضطراب في مصر القديمة في نهاية الأسرة السادسة إذ أنّتهز الشعب الفرصة وقام بثورة اجتماعية طاحنة امتد أمدها اكثر من قرنين من الزمن كانت البلاد تحت عبء كبير من الخراب والفوضى إذ زال سلطان الفرعون وضرب النظام والقانون عرض الحائط وساد الخوف وانتشر القحط وفي هذا العصر المظلم ظهر كتاب (**تحذيرات نبي)** يعد أهم المصادر الأدبية في ذلك العهد ويرجع إلى الأسرة (9-10) إذ يصف الوضع المأساوي في البلاد في أول انقلاب اجتماعي في آخر عهد الدولة القديمة إذ تصف البلاد بالبؤس والتخريب وتشريد الموظفين وغيرهم [٥].

---

١ - علي، رمضان عبده ، تاريخ مصر القديم، (القاهرة: دار نهضة الشرق ، (٢٠٠١)، ج١، ص٤٦٥

2- Schoch, Robert M., and Robert Aquinas McNally. *Pyramid quest: Secrets of the Great Pyramid and the dawn of civilization*. Penguin, 2005.

٣ - حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة، ٢٠١٢ - ص١٦٤-١٦٥

٤ - حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة،ج٢، ص١٦٧

٥ - حسن، سليم ، موسوعة مصر القديمة، ج١ ، مؤسسة الهنداوي للنشر، ١٩١٩، ص ٢٩٨

عن طريق الأساليب التي اتبعها النظام الفرعوني في إخافة المجتمع وكسر شوكته هي عقوبة الحرق لكل من يقف بوجه النظام أو يوقف العمل في المناجم الملكية، كذلك تستخدم هذه الطريقة ضد الخصوم السياسيين ممن كانوا يخططون للتآمر على البلاد والسلطة الحاكمة [١].

ونتيجة التسلط والظلم برزت ظاهرة الاستبداد في مصر القديمة عن طريق المناظر والنصوص المنقوشة على جدران الاهرامات، والتي تظهر التسلط الذى ينقسم إلى تسلط بدنى ولفظي هذا بالإضافة إلى محاولة التوصل إلى الأسباب التي أدت إلى شيوع هذه الظاهرة وخاصة في فترات الضعف إذ الانهيار الداخلي والأزمات الاقتصادية وضعف السلطة المركزية المتمثلة في الملك، وتتضح سمات هذا العنف بصفة خاصة في مناظر التدقيق مع العاملين في حسابات الدولة القديمة، وفي نصوص التحقيقات الرسمية مع سارقي المقابر الملكية في عصر الرعامسة، ففي فترات الضعف لجأت السلطات الحاكمة إلى القمع الأمني للسيطرة على الأمور مما أدى إلى شيوع هذه الظاهرة، والحقيقة أنّ المصري القديم استخدم العنف بكافة أنّواعه، ولم يخجل من تسجيل ما يعبر عن مظاهر هذا العنف في صورة نص أو منظر[٢].

تدهورت أوضاع الفلاحين الأحرار في مصر القديمة نتيجة تراكم الديون وازدياد الأيدي العاملة وسوء أحوال الكادحين بسبب قوة العمل وقلة أجور العاملين[٣]، وهذا بدوره أدى إلى تدهور وتوتر العلاقات بين المالكين والمحرومين بين المسُتعَبدِين والمسُتعبِدِين حتى حدث الانفجار والاصطدام الذي أدى إلى سقوط المملكة المصرية القديمة [٤].

١ـ احمد عبد، نسرين، عبد الرحمن، يونس ، عقوبة الحرق بالنار ،ص ١٢٤

٢ - محمد، جيهان رشدي، ظاهرة العنف في مصر القديمة من الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد ١٥، ٢٠١٢، ص٥٣

3 - Ansari, H. (1986). *Egypt: The stalled society*. State University of New York Press.

٤ - دلو، برهان الدين،(حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي)، الفارابي للنشر والتوزيع،١٩٨٩،ط١، ص١٣٩

بدأ الضعف يدب في المملكة نهاية الأسرة السادسة عندما بدأ حكام الأقاليم في التخلص نهائيا من سلطة وسيادة الملك عن طريق عدة أمور:.

١ـ استأثروا بالسلطة وجمعوا الثروة لأنّفسهم حتى كانوا يقدرون الضرائب كيفما شاءوا.

٢ـ اكتسبوا حق توريث المقاطعة لأبنائهم.

٣ـ صار للكثير منهم حاشية تنافس حاشية الملك في الأبهة والعظمة.

٤ـ أصبح كل منهم القائد العام لجيشه والرئيس الأعلى لكهنة اقليمه وللمحاكم القضائية وقلدوا الملك بكثير من ضروب الملكية.

٥ـ صار الناس يحلفون باسم حاكم الاقليم بدلاً من اسم الملك.

٦ـ اعتمدت الدولة في مرحلة الضعف على الجنود المرتزقة [١].

من المعروف عن طريق عصر الثورة الاجتماعية تسببت الفوضى والمجاعة في شيوع حالة عامة من السخط وعدم الرضا، وقد عبر ايبور(الحكيم التاريخي) عن حالة الكفر لدى البعض في تلك ال مدّة عن طريق ما قاله :

"(انه عصر الازفت الشر والفساد). (؟)":

"لو علمت أين يوجد الإله لقدمت له قربانا".

وهنا يبرز ايبور مدى التخبط الفكري الذي ساد في البلاد كنتيجة طبيعية لشيوع الازفت المتمثل في الشر والفساد، حتى أنّ هناك من شكك في وجود الآلهة صراحة. بل والأكثر من ذلك أنّ أقوال ايبور قد احتوت نقدا لاذعا لشخص الملك واتهمته بأنّه سبب المتاعب التي لحقت بالبلاد إذ قال:

"لديك الحكمة والبصيرة وأسباب العدالة، ولكنك تركت الـ ازفت يتوغل في البلاد.." [٢].

ايضا كان للمرأة دور كبير إذ لم تستعبد لرجل فقد شاركت مع العبيد في المقاومة ضد الطغيان الفرعوني [١].

١ ـ حسن، علي ابراهيم، الحضارة المصرية ...، (بدون صفحة)

٢ ـ خميس، هدى رجب ، حجاج النزعات الإلحادية في مصر القديمة وعلاقتها بمفهوم الـ ازفت، ص١٠٤٤

من أهم الشواهد التاريخية على الاستبداد في مصر القديمة والتي ترجع أحداثها إلى عصر الدولة الوسطى والتي تعرف **بقصة الفلاح الفصيح**[٢]،[٣].

والتي تتحدث حول رجل من أهل القرى غادر قريته ليبتاع بضاعته في العاصمة وفي الطريق تعرض له شخص في السلطة واستولى على بضاعته ودوابه بالقوة فسعى القروي إلى المسؤولين طالبا المساعدة وأنّصافه من الظلم وأنّدهش المسؤولون من فصاحته وقد جاء في البردية على لسان القروي يخاطب الملك " **يا مولاي اقطع دابر اللصوصية واحم البائسين وارحم المساكين، ولاتكن اعصارا يطيح بمن جاء يشتكي ظلامته .. ، قل الحق وات العدل فالعدل قوة والحق شيء عظيم ،فكلاهما راسخ رسوخ الجبال الشوامخ ...، شكوت امري اليك ، فلم تصغ إلى طلبتي صممت اذنك عن شكواي فأنّي ارفع امري منك إلى اله الاموات** " [٤].

لذا كان المصري القديم يرى أنّ الموت هو السبيل الوحيد أو أمر فاصل بينه وبين الحاكم فكان يرى الموت ينقله إلى مكان يحق له مواجهة الإله ويبث الشكوى له طالما لاأحد يسمع شكواه كما في النصوص التالية الي يقف المشتكي مخاطبا الحاكم

"هاك أنّي أقدم دفاعي اليك ولكنك لا تسمعه

سأذهب واقدم دفاعي بسببك إلى أنّوبيس "

فالعدالة التي كان يبتغيها الفلاح في موازين الحكومة والتي رفع ظلامته إليها مرارا صارت تجد مكانها بشكل نهائي في التبرئة في عالم ما بعد الموت [٥].

ايضا من أهم الأعمال الأدبية التي وصفت الوضع في البلاد في عهد المملكة القديمة أبأنّ مدّة الضعف والفوضى والانحلال بالإضافة إلى **نصائح الحكيم ايبور**[١].

---

١ ـ نوال السعداوي، قضايا المرأة والفكر السياسي ،ص٨٤

2- Fisher, L. R. (2015). *The Eloquent Peasant*. Wipf and Stock Publishers.

٣- قصة الفلاح الفصيح وهي تسع شكايا تقدم بها الفلاح الفصيح الى الملك الحاكم بعد ان قام احد النبلاء بالاستيلاء على دوابه وبضاعته وهي تظهر مدى ضعف الدولة واختلال الامن، ينظر الى كتاب رب الثورة وعقيدة الخلود في مصر القديمة، القمني، سيد، رب الثورة (اوزريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة) ، مؤسسة الهنداوي للنشر، ٢٠١٧، ص ٢٨ـ٢٩

٤ ـ زناتي، محمود سلام ، **حقوق الانسان في مصر الفرعونية**، ط ٥ ،٢٠٠٨، ص ١٢٧

٥ ـ الدلفي، نجم عبيد مرعيد ، **الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين** ، (رسالة غير منشورة)، جامعة واسط ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠٢٢ ، ص ٢٧٧

وقصة الفلاح الفصيح التي ذُكرت سابقا وايضا **(توجعات نفر رحو وتنبؤاته)** وهي تصور حال البلاد البائس والأمل في التخلص من الوضع المزرى بوجود ملك عادل يحكم شعبه بالعدل لا بالقهر والاستعباد ويظهر من **(اغنية العازف على الهارب)** وهي مجموعة أبيات شعرية توضح الصراع الاجتماعي الذي بدأ في نهايات الدولة القديمة [٢].

ومن الرموز التاريخية التي تبين استبداد وسلطة الفرعون أقرانه بالأسد وهو دليل على السلطة المسيطرة الماسكة بزمام الأمور وايضا التمساح الذي يرمز إلى الجشع الذي يصيب الحاكم أو الموظف فيولد لديه نوعاً من الاستبداد والتسلط [٣].

لقد أدى استمرار الاستبداد في الحضارة المصرية القديمة إلى أفرزا القيم السياسية والاجتماعية السلبية والايجابية معاً والتي تمثلت في الرضوخ والخنوع والطاعة والامتثال والاستسلام والهروبية والانسحابية واللامبالاة في مقابل قيم ايجابية مثل قيم الثورية والتمرد والاقتحام والتصدي والمبادرة والجرأة والشجاعة وهذه الجدلية جعلت المصري في موقف المتفرج حتى تغيير الحال أو موقف المستضعف أمام السيد الجبار لكي ينال أكبر نصيب من الاسلاب بأقل مجهود [٤].

وخلاصة القول أنّ ملكات مصر القديمة بصفة عامة وملكات الدولة الحديثة بصفة خاصة كان لهن أهمية كبيرة بسبب دورهن في تقليد وراثة العرش، مما استلزم معه أن يحملن ألقاباً عديدة تعكس سلسلة نسبهن إلى الأسرة المالكة ومشاركتهن في الوظيفة الملكية، احتلت الزوجة الملكية العظمى التي تعد أنقى الزوجات دما مكان الصدارة بالنسبة لزوجات الملك الأخريات، كذلك فأن الأم الملكية شغلت مكانة

١ـ الحكيم *(ايبور) يعرف ايضا بالعجوز الحكيم وقد اشتهر بإصدار التحذيرات او النصائح التي عرفت بنصائح الحكيم ايبور وقد اعتقد المؤرخين ان هذا الحكيم قد عاش في اواخر عهد الملك (بيبي الثاني) اخر ملوك الاسرة السادسة في الدولة القديمة او في العصر الذي تلاه المسمى بالعصر المتوسط الاول وهي مقالات ادبية رائعة تصور الحالة السياسية والاجتماعية التي وصلت اليها البلاد كما ترسم صورة للحاكم الصالح الذي تمناه الناس في ذلك العصر ، حتى ان الجماهير حفظت اراء العجوز (ايبور) عن ظهر قلب ، وسجلوها على البردي الذي وصل بعضه الى عصرنا تحت ما يعرف اصطلاحا ببردية (ليدن) . ينظر الى كتاب رب الثورة اوزريس ، ص ٢٨

٢ ـ القمني، سيد، رب الثورة (اوزريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة ، مؤسسة الهنداوي للنشر، ٢٠١٧ص٢٩

٣ ـ الدلفي، نجم عبيد، الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين، ص٣٠٨

٤ ـ أنور، احمد، الاستبداد: جدلية الخضوع والثورة عند المصريين، دراسة سوسيو- تاريخية، (بحث منشور) مجلة حوليات عين الشمس، مجلد ٤٤،يناير/ مارس، ص١٣

مرموقة في تقليد أو نظام وراثة العرش، كما تمتعت بالتقدير والاحترام من الجميع، ولقد روعي في زواج الملك عدة اعتبارات لعل من أهمها زواج الأخ والأخت أو ما يعرف بالزواج المقدس والذي اقتصر على العائلة الملكية، ولابد من الاشارة إلى أنّه قد حدثت في أحيان عديدة؛ لأسباب سيذكرها الدارس في حينه خروج على التقاليد بشأن وراثة العرش، وفى ظل تلك المفاهيم برزت ملكات كان لهن دورهن الكبير في عصر الدولة الحديثة [١].

ثانيا: الاستبداد القبلي

تعرف القبيلة بأنّها شكل مجتمع مصغر أو جزء من المجتمع وتتكون من الرجال والنساء وهم أقرباء عن طريق المصاهرة أو الولادة يسعى النظام القبلي في السيطرة على إقليم واستملاك موارده وأمنه ثم محاولة استثماره بشكل جماعي أو فردي فينشأ لديهم دافع الحماية لهذا التكوين حتى بالسلاح وغالبا ما يكون للقبيلة اسم خاص بها تعرف به لهذا فإنّ القبيلة، هي تكوين اجتماعي يمثل مرحلة من مراحل تطور المجتمعات الإنسانية نحو التحضر تحت سلطة تقوم على النسب أو المصاهرة وتستند على الاعراف والتقاليد التي مثلت مرحلة انتقالية نحو تكوين الدولة التي تعتمد على التشريعات والقوانين المشتقة من تلك الاعراف والتقاليد [٢].

ولابد من ذكر بدايات الانسان والجماعات إذ تميز بالقنص ثم تطور وعرف الزراعة وتدجين الحيوانات كالكلب والخنزير وصاروا على شكل جماعات كانوا يجهلون البناء فيعيشون في الكهوف والمغارات فكانوا رغم عددهم المجموعة لا تتجاوز (20 او 30) شخصا يملكون أرضا مجاورة لغيرهم من الجماعات وهذه الجماعات كان يترأسهم شخصا يتميز بالقوة الجسمانية ، ثم بعد ذلك تطوروا واصبح برباط خرافي هو أنهم جميعا ينتسبون إلى توتم(طوطم)[٣] وهذا ما ذهب اليه

١ ـ سعد الله،محمد علي،مختار، محمد جمال الدين ، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع – اسكندرية، ١٩٩٨، ص٣٥

٢ ـ أ.موريه دفي، نشأة النظام الاجتماعي وتطوره من العشائر الى الامبراطوريات، القاهرة، دار الكرنك، ١٩٦١،ص٣٦

٣ ـ الطوطم اوالعشيرة الطوطمية توتم Totem واحد هو عبارة عن حيوان أونبات أو جماد تعتقد الجماعة أنها تناسلت منه ولذلك يشتركون في حمل اسمه ويجعلونه موضع العبادة والتقديس ويحرمون صيده وذبحه وأكله. ،

مجموعة من الباحثين، وإنَّ الانسان الأول عاش في جماعة أكبر من الأُسرة وأصغر من القبيلة وبالتالي فأن هذه العشيرة سبقت القبيلة وبذلك مهدت لوحدة سياسية واجتماعية واقتصادية قائمة بذاتها ومستقلة عن غيرها ساعدت على إبراز شخصية من أبناء العشيرة لتولي زمام الأمور [١].

سبق القول إن القبيلة أصبحت الوحدة السياسية في المجتمع منذ أواخر عصر القوة وأنها حلت بالتدريج محل الجماعة الصغيرة ومع الزمن، ونتيجة لممارسة الزراعة وازدياد الاستقرار في الأرض وتطور الديانة - أصبح شيخ القبيلة واسطة بينها وبين الآلهة فازدادت قوة شيخ القبيلة وتوطدت سلطاته، وكانت الحروب المستمرة بين القبائل طلباً للغنائم أو سعيا لكسب أرض جديدة لمواجهة تزايد السكان سبباً فعالاً في ارتفاع مستوى تنظيم القبيلة وتدعيم سلطات زعيمها تمتع زعيم القبيلة بعدة سلطات يمارسها بمعاونة شيوخ العشائر، وأهمها: يعد الكاهن الأكبر لقبيلته وممثلا لقبيلته لدى آلهتها، وفي زمن الحرب هو الزعيم الحربي دون منازع سواء نظمت جيوش القبيلة على أساس أن كل عشيرة تقدم عدداً من القادرين على حمل السلاح أم على أساس أن حيازة نصيب معين من الأرض يتضمن تقديم عدد مناسب من الرجال لأداء الخدمة [٢].

لقد كان العصر الحجري الحديث ذو الطبيعة الخالية من الاستغلال إيذانا ببداية ثورة في الاقتصاد ونظم المجتمع أي حدوث الانقلاب الزراعي وأنّ هذا التحول الذي رافقه تطورات وتغيرات كانت بداية لاستبداد واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وبداية الاستبداد الذي تمثل برؤساء القبيلة أو شيوخها [٣].

ينظر الى ابو طالب ، صوفي حسن ، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ،ص ٣٠والعشيرة الطوطمية تتكون من مجموعة من الأفراد لا تربط بينهم وحدة الأصل أو الدم، كما هو الحال في الأسرة والقبيلة وانما تربط بينهم صلة روحية تقوم على أساس خُرافي، هو اعتقادهم بأنهم ينتمون جميعاً إلى طوطم مقدس، والطوطم هو حيوان أو نبات أو جماد ترى العشيرة فيه مثلها الأعلى ورابطة قرباها وعلة وجودها، وتحيطه بهالة من القدسية فتقيم له الطقوس وتتوجه إليه بالشفاعات ينظر تاريخ القانون ، صاحب عبيد الفتلاوي، ص٢٠

١ ـ الفتلاوي، صباح عبيد ،تاريخ القانون ، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع ،١٩٩٨، ص٢٤

٢ ـ ابو طالب ، صوفي حسن، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية ،دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ،٢٠٠٦ ص٨٠

٣ ـ ارونولد هاوزر، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ت: فؤاد زكريا ،مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢ ص٤٥

إدارة زعيم القبيلة الأعمال الزراعية كما كان له وظائف دينية هيمن بها على القبيلة مما زاد من سلطته الاقتصادية والسياسية، وبعدما أتاح الاستقرار لتلك لقبائل بتدجين الحيوانات وتربيتها بأعداد كبيرة لتضمن إمدادها الدائم باحتياجاتها الغذائية من لحوم وألبان، ومع تطور أدوات العمل الزراعي ونجاح عملية تنظيم الري النهري، خرج المصريون من حياة الاكتفاء الذاتي وحصلوا على فائض الإنتاج ما أدى لحدوث تطورات هامة في حياة المشاعات القبلية القرى الزراعية تمثلت بانفصال الرعاة المزارعين عن الفلاحين المستقرين، وكان هذا أول انقسام اجتماعي للعمل الاجتماعي[١].

خُلق الوازع التنظيمي لرسم العلاقة بين الجماعات البدائية، الذي بدونه سيزداد العدوان والظلم أكثر فأكثر على أن استعمال القوة لم يكن مقصوراً على العلاقات بين الجماعات المختلفة

حسب وإنَّما كان يعد كذلك الأساس الذي تدور حوله العلاقات بين أفراد الجماعة الواحدة ففي داخل إطار الجماعة نجد أن النظام العقابي كان يقوم على أساس الانتقام الشخصي أو الثأر، فكان كل فرد يثأر لنفسه إذا ما وقع عليه أي اعتداء، أما خارج دائرة الجماعة فقد ظلت القوة هي الوسيلة الوحيدة التي تحسم كل نزاع بين الجماعات المختلفة مهما كان نوعه، وهي التي تحمي الحق بل وتخلقه لأن تقدير الحق أو الواجب مبني على قوة الخصم أو ضعفه، دون تفرقة في ذلك[٢].

تؤدي الحروب بين القبائل المتجاورة بعد الاعتماد على الزراعة إلى هزيمة إحداها وخضوعها للقبيلة المنتصرة واحتلال أرضها فتتسع رقعة الأرض وتنتقل سلطات زعيم الجماعة المهزومة الى الزعيم المنتصر، ويصبح أبناء الجماعة المنتصرة فئة متميزة عن بقية السكان، وظهور الدولة بهذه الصورة شائع لدى الشعوب التي يغلب عليها طابع الرعي، وبعد استقرارها تعتدى على الأراضي المجاورة لها، ولذلك

١ ـ جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري منذ بداية عصر الاسرات حتى نهاية عصر المملكة الحديثة (٣١٠٠-١١٠٠ق. م) رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية الآداب / قسم التاريخ / جامعة تشرين/ سوريا،٢٠١٩، ص٢٩

٢ ـ الفتلاوي ، صاحب عبيد ، تاريخ القانون ، ،ص٢٨

كانت الرابطة التي تربط بين أبناء هذه الدولة هي وحدة الخضوع لسلطة الملك المنتصر وليست رابطة القرابة كما كان الحال من قبل، ومن ثم قيل بأن القوة هي الأساس الذي قامت عليه فكرة الدولة وبقاؤها رهين بقوتها، ويقوم الدين بدور مساعد في توطيد سلطة الدولة، فالانتصار في الحروب يعد بمثابة حكم أصدرته الآلهة لصالح المنتصر والإقامة الدائمة في ظل سلطة مركزية واحدة تؤدى بالتدريج إلى اندماج القبائل في بعضها وسيادة إحدى اللغات بينها وانتشار عبادة عامة واحدة يشترك فيها الجميع هي عبادة ديانة الملك المنتصر والدولة التي تنشأ بهذا الشكل لا تسمى باسم الإقليم الذي تعيش فيه بل باسم الشعب المنتصر ويعد الملك ملك للشعب وليس فقط للإقليم، ويقتصر التمتع بالحقوق السياسية على أبناء القبيلة المنتصرة، وظهور الدولة بهذه الصورة واضح في تكوين الدويلات[١].

وأخذت الجماعات البدائية طابعاً عشائرياً قبلياً في مصر قبل ظهور الكتابة ومع تفسخ العلاقات القبلية اخذت تتوضح في مصر الجماعات الفلاحية (القرى) القائمة على علاقات الجوار وليس العلاقات العشائرية كما أخذت تتفتت أملاك العشيرة إلى ملكيات صغيرة زراعية خاصة موزعة بين الأفراد نتيجة تطور قوى الانتاج، وإنّ هذا التطور ادى إلى نشوء عدد من الاقاليم الصغيرة (42 اقليم) وبعد ذلك كونت هذه المقاطعات مملكة الشمال ومملكة الجنوب [٢].

ونتيجة لتطور المشاعات العشائرية إلى مشاعات إقليمية ظهر المجتمع الطبقي الأول، ويطلق علماء التاريخ الأوروبيون على لحظة تحول المجتمع المشاعي البدائي إلى مجتمع طبقي اسم (الثورة المدنية)، التي نتج عنها نشوء الدولة بمساعدة عاملين أساسيين المساواة بين طبقات المجتمع، وكان لابد من وجود جهاز قمع لضبط الفئة المستغلة نشأ مع نشوء المجتمع الطبقي تمثل بـ الدولة التي تشكلت في مصر القديمة في صيغة نوم (أقاليم)، وبدأت بوادر العمل الزراعي الذي تطلب في وادي النيل جهداً جماعياً منظماً لتحويل القوة التدميرية لفيضان نهر النيل إلى قوة إنتاجية، وثانيا

١ ـ ابو طالب ، صوفي حسن، تاريخ النظم القانونية والاجتماعية، ب ت ، ص٨٢
٢ ـ فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق، موجز الشرق الادنى القديم، ص ٦٣

ظهر تنظيم الدولة كضرورة من ضرورات التنظيم الاجتماعي للعمل الزراعي، وضبط الفئة العاملة المستغلة يعد عاملاً أساسياً في نشوء المدنية والسلطة الإدارية في مصر القديمة [١].

وتحديداً في المدّة التي يطلق عليها حضارة جزرة من حوالي (3400- 3200 ق.م) كانت مقسمة سواء في الوجه القبلي أو الوجه البحري تكونت (من المدن الحضارية النواة) كانت كل وحدة من هذه الوحدات يتزعمها رئيس أو شيخ ولها إله معين يتم عبادته داخل هذه الوحدة أو المقاطعة، وهذه المقاطعات تتلاحم أو تنفصل نتيجة ضعف الدولة فيسود فيها الفوضى أو الاضطرابات السياسية والاجتماعية [٢].

وفي عصر جزرة المتأخر (3400 ق.م) ظهر نمط حكم سياسيَّ تمثل في تطلع طموح أُمراء حكام الجنوب في التوسع على الأقاليم الأخرى في مختلف انحاء وادي النيل في الوقت الذي كان رئيس القبيلة يمثل كل ما للقبيلة من قوة وحيوية إذ أنه كان مسؤولا عن الحياة المادية لأفراد قبيلته كذلك كان مؤيداً من قبل الآلهة وبذلك يكون مهيميناً على قوى الطبيعة [٣].

لقد ظل هذا النظام الاجتماعي (الامتزاج بين الدين والدنيا) قائماً في حياة المصري القديم وبعد أنّ تمكنت القبائل القوية بعد صراع أنّ تضم لها القبائل المجاورة التي تعد أضعف منها قوة وبعد صراع مع الاقاليم الصغيرة من اجل الفوز بحكم الأقليم وتحولت إلى صراع شديد واخذوا يتناوبون على الحكم قرونا طويلة واستطاع حكام الجنوب المصريون القدامى من أنّ ينالوا الانتصار أكثر من أسلافهم في تحويل ذلك النظام القبلي إلى حكومة منظمة [٤].

١ - جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري منذ بداية عصر الاسرات حتى نهاية عصر المملكة الحديثة (٣١٠٠-١١٠٠ق. م)، ص٣١

٢ - سيريل الدريد، الحضارة المصرية، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة- ١٩٩٦)، ص٨١

٣ - سيرج سيبزون، كهان مصر، (ت)، زينب الكردي، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة / ١٩٧٥)، ص ٣٦.

٤ - سيرج سيبزون، كهان مصر، ص ٣٧

لقد كان للحكومات المحلية مجالس (نبوت) وقد كانت هذه المجالس تضم أبرز أهل مناطقها وتكون لديها وظائف إدارية وقضائية وقد كانت هذه الوحدات أو الاقاليم هي المفاتيح لحكم هذه المجتمعات تنظيم العلاقة فيها [١].

وقد تكونت مصر القديمة منذ أقدم العصور من جزأين (مصر العليا ومصر السفلى) هناك فوارق عدة بغض النظر عن شكلهما الخارجي من أهمها اختلاف في النواحي الدينية والنواحي السياسية إذ كان لكل منهما مصالحه الخاصة وقد قسم إلى (اثنين واربعين إقليما) (22) في الوجه القبلي و (20) الوجه البحري، ولابد من ذكر أنّ هذه الأقاليم هي ليست كبيرة بالحجم أو المساحة وإنّما أشبه بالدوائر الإدارية غالبا ما جاورها اراضٍ زراعية تمكنها من الاستفادة اقتصاديا [٢].

لقد تميزت المملكة المصرية القديمة بإنجازات عن طريق تطبيق الحكومة المركزية التي أتاحت للملك اختيار موظفيه ومعاونيه، أيضا تعد هذه المركزية واحدة من أفضل المدنيات المنظمة التي عرفها العالم القديم، وقد دلت آثار وكتابات هذا العصر على ظاهرتين بارزتين تخص الملوك وهي (المبالغة والسلطان) في سلوك هؤلاء الملوك والقوة التي استخدمت في تطبيق أحلامهم ومشاريعهم [٣].

كانت الملكية تمثل المؤسسة المركزية والبؤرة الرئيسية للقوة والنفوذ في المجتمع المصري وأنّ الملك يمثل السلطة على الارض ومركز أو نظام الاستقرار مقابل الفوضى، وهو النظام الاجتماعي مبني على أساس عقائدي(ديني)، والمثالي لمبادئ (ماعت) هدفه تحقيق العدل وهي تقابل مبادئ (آزفت)[٤]المرتبطة بالعالم خارج مظلة الاخلاق والإنسانية [١].

---

١ ـ مختار، محمد جمال الدين، لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية، مجلد ١،٢٠١٣، ص٩٣

٢ـ ادولف ارمان، هرمان واركنه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٧،ص١٠

٣ ـ الخفاجي، علي مزهر، مصر القديمة بين نظام الحكم المركزي ونظام الحكم اللامركزي، (بحث منشور)، مجلة الآداب، المجلد ٢٠١٦، العدد ١١٩ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦) ،ص٣١٣

٤ ـ تعنى كلمة *(ازفت) في مصر القديمة الظلم والفوضى والذنب والخطأ والشر ، ولقد وردت الكلمة لأول مرة في متون الأهرام في أحد النصوص ، على النحو التالي:(قل الكلام، يا أوزير ... أن جب لم يذنب يرتكب الإزفت) مع وريثه الحقيقي وأكد البعض أن تلك الكلمة تشمل الشر بكافة صوره، وبالتالي يصعب التعبير عنها بمعنى واحد فقط، وهناك كلمة أخرى تستخدم للتعبير عن الكذب والظلم أوجرج grg، لكن كلمة ازفت كانت كلمة الباطل

وكان الملك يعد الراعي الأول في الناحية السياسية والاجتماعية ومن أهم واجباته توفير الأمن والاستقرار والطمأنّينة لهذا المجتمع كونه يرأس أعلى مؤسسة تشريعية وتنفذية في البلاد ،فضلاً عن توفير الغذاء عن طريق مشاريع الري اللازمة للزراعة وإن اهمالها ينذر بالمجاعة ،وأيضا الاهتمام بالجيش إذ كان الملك في مصر القديمة يقود الجيش بنفسه، ومن مظاهر التسلط أنّ جميع الانتصارات التي كان يحرزها الجيش تنسب له [٢] .

وتزداد سلطة الملك في مصر القديمة حتى تأخذ طابعا استبداديا حتى أنّ كلمة ملك أصبحت مقدسة لا يحق لأحد أنّ ينطق بها بصوت مسموع [٣].

وإنّ فرعون مصر لم يكن يدعي الألوهية بمعنى أنّه هو خالق هذا الكون ومدبره أو أنّه له سلطانا في عالم الاسباب الكونية وإنما كان يدعي الألوهية على شعبه المستذل بمعنى أنّه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه وأنّه بإرادته وأمره تمضي الشؤون وتقضى الأمور وأنّ الناس في مصر يعبدون فرعون ليس بمعنى تقديم الشعائر التعبدية له فقد كان لهم آلهتهم وكان الفرعون له آلهته التي يعبدها [٤] .

إنّ المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادتهم ويحكمهم بهواه لا بشريعتهم فيحدد الكواكبي فئات معينة من الاستبداد هي:-

أ- استبداد النخبة الذين يحكمون باسم السلطة الدينية ويأثرون على عقول الناس.

و *هي الاكثرانتشارا، وبما أن الإلحاد هو أحد الشرور فلم يكن له اصطلاح خاص، ومن ناحية أخرى مثلت كلمة ازفت المصطلح المقابل لمفهوم الماعت في مصر الفرعونية : فيما الكلمتان اللتان تشملان تناقض الخير والشر بجميع المعاني ومن كافة النواحي، ففي الكثير من الأحيان تترجم كلمة أزفت بمعنى ذنب وخطيئة، ينظر حجاج خميس، هدى رجب ،النزعات الالحادية في مصر القديمة وعلاقتها بمفهوم ال ازفت، مجلة كلية الاداب جامعة الفيوم ، مجلد ١٤،عدد٢، ٢٠٢٢، ص١٠٤٢

١- جون بينيز واخرون، الديانة في مصر، (ت) محمود ماهر طه، سلسلة مصريات، القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب ،٢٠١١، ص١٦٩

٢ - سعد الله، محمد علي، تطور المثل العليا في مصر القديمة الناشر مؤسسة شبا الجامعة، (الاسكندرية١٩٨٩) ،ص٤٥

٣ - فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق...، ص ٦٥

٤- قاسم خضر، قاسم توفيق ، شخصية فرعون في القران الكريم، رسالة ماجستير (غير منشورة) في التفسير بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس / فلسطين ، ٢٠٠٣ ، ص١٤

ب- استبداد المال وما يجري من ظلم اجتماعي يكون محمياً بقلاع الاستبداد السياسي ويعد الاستبداد السياسي والاجتماعي هو الأخطر والأكثر ضررا للإنسان [١].

وإنّ إغفال المجتمع لوسائل تثبيت النظام الذي يريده الفرعون المرتبط بشخصية فرعون المرتبط بالنظام السائد في حياة الناس وجودا وعدما، وعلى اساس هذا الفهم أدت سياسة الاستغفال إلى استخفاف الطغاة بالجمهور وهي سياسة معلومة متبعة فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل السبل المعروفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها ولا يعودوا يبحثوا عنها حتى تتطبع نفوسهم بالمؤثرات المصطنعة، ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك ويلين قيادتهم وكلما طال الزمن على هذا الحال اصبح المرض مزمنا والتخلص منه عسيرا مما يتطلب المزيد من الجهد والاجتهاد للتخلص من الآثار التي أوجدها الفرعون وأمثاله في حياة الناس وهي آثار تدميرية [٢].

استعمل المصريون ضد المتسلط أساليب خفية (الكسل والتخريب) أو رمزية (النكات والتشنيعات)، وهذا خلف ازدواجية في العلاقة رضوخ ظاهري وعدوانّية خفية، ومارسوا أيضا اسلوب السيد المتسلط نفسه وخاطبوه بلغته نفسها الكذب والخداع والتضليل، وهي اللغة التي يخاطب بها المتسلط المصريين وايضا كانت لهم (المصريين) أساليبُ أخرى للمقاومة السلمية مثل هجر الاراضي، وإحراق وتخريب المحاصيل، أيضا الاساليب العنيفة مثل التمردات والانتفاضات والثورات [٣]

١- انور، احمد، الاستبداد: جدلية الخضوع والثورة عند المصريين، دراسة سوسيو- تاريخية،(بحث منشور)، ص ٢٢

٢- بشير، حميد عبد، ، الطغيان في القران ـ فرعون انموذجا، ص٦٢١

٣ - ا انور،احمد، الاستبداد: جدلية الخضوع...، ص ١٣

المـــبحث الـــثانـــي

استبداد الطبقات الاجتماعية

يعد مفهوم الطبقات الاجتماعية من اهم الموضوعات التي يعالجها علماء الاجتماع، بل من جانب الفلاسفة ودعاة الاصلاح الاجتماعي ايضاً لاهتمامهم الواسع بدراسة مسائل المجتمع وبنائه من الناحية العلمية والتي تشمل محور مهم فيه الطبقة والتدرج الطبقي إذ أنّها ظاهرة اجتماعية تقوم على مقومات اجتماعية وثقافية واقتصادية معينة إلى جانب الاجراءات والتنظيمات التي يضعها المجتمع عن طريق بناء القوة والسلطة فيه، ويكاد لا يخلو منها أي تنظيم اجتماعي أنساني سواء كان في المجتمعات البدائية التي قد لا تظهر فيها الفوارق الطبقية بين الأفراد بنفس الدرجة من الوضوح التي تبدو عليها في مجتمع المتمدين، أضافة إلى ما طرحه التطور في مجال العلم والتكنلوجيا من نتائج اجتماعية واقتصادية وما صعب ذلك من مشكلات عديدة بعضها جديد على خبرة الإنسان الطويلة وعلى نوع تفكيره، فأصبحت مادة دسمة لدراساتهم وابتعادهم عن تفسير التدرج الطبقي عن طريق الخصائص السيكولوجية والبيولوجية للأفراد والجماعات [١].

يقصد بالمجتمع الطبقي هو التفريق بين فئات المجتمع فأوجدت الطبقات بين الناس على اساس عائلي أو قبلي أو جنس أو لون لا يحق للأنسان أنّ يغير لونه أو طبقته وأيضا هو مجتمع يتوارث الناس فيه مقاماتهم دون جهد فمن كان أبوه من طبقة النبلاء أو الأشراف فهو مميز ومن كان أبوه مستعبدا فهو عبداً منذ الولادة، وهو مجتمع يقوم على العداوة والبغضاء بين الناس يولد صراعاً داخلياً بين طبقات المجتمع فكانت سياسة الفرعون هي ان يقرب فئة ويستذل أخرى إنّ بسبب هذا هو سياسة الفرعون التسلطية والدكتاتورية [٢].

مما يدل على الطغيان بين طبقات المجتمع والتسلط ومظهر الأبهة هو أنّ الفقراء من الفلاحين يسكنون بيتاً مصنوعاً من سعف النخيل والبوص يتكون من طابق واحد

[١] ـ د. فرات محمود ميران، حقوق الإنسان في الحضارات القديمة ..، . ص٢
[٢] ـ قاسم توفيق قاسم خضر، شخصية فرعون في القرآن، ص١٦٦

ليس به من الأثاث سوى حصير وآنية من الفخار ووسائد من القماش والقطن أو الجلد والقش في حين يسكن الغني في منزل من طابقين أو قصر يضم عدة غرف وجدران منزل الغني محلاة بالنقوش والاثاث والفراش [١].

عن طريق دراسة الطبقات في المجتمع المصري القديم يلاحظ وجود عديد من الوظائف والمناصب والمهن التي أصبحت أو انحدرت إلى أبنائهم بالوراثة وذلك عن طريق سلطة الأب أو الجد في تعليم المهنة إلى ابنائه أو احفاده وهكذا تنتقل الحرفة بين أفراد الأسرة من جيل إلى آخر على مدى قرون [٢].

ومن الواضح أنّ قضية التمايز بين الافراد على أساس ما يقومون به من أدوار موجودة في كل المجتمعات، وبالتالي نجد هناك تقييماً متميزاً لهذه الادوار مما يجعل بعض الأدوار أكثر أهمية وقيمة من غيرها، ويجعل افراداً بعينهم ينالون نصيباً وقدراً اكبر من تقدير المجتمع نظراً لأهمية الادوار التي يشغلونها، ونتيجةً لهذا تظهر فكرة المركز بوضوح، نتيجة اختلاف درجات التقدير الاجتماعي للأدوار الاجتماعية التي يقوم بها أفراد المجتمع، وبالتالي تظهر فكرة الترتيب الطبقي جامدة وثابتة لعدة قرون بينما تتغير باستمرار في مجتمعات أخرى، وهذا الاختلاف والتنوع الواسع في أنساب الترتيب الطبقي (التدرج الطبقي) بين المجتمعات، مع التأكيد أنّ نسق الترتيب الطبقي هو أحد الأنساق البنائية في المجتمع والتي تتشكل شكلاً ومضموناً بالصورة العامة لبناء المجتمع وبطابع الثقافة السائدة، وتخضع بالتالي لعوامل التغير التي يخضع لها المجتمع لتسير في نفس الاتجاهات التغييرية التي يمر بها المجتمع ككل[٣].

بسبب النظرة الاستكبارية التي ميزت فرعون ومن حوله فأنّهم رأوا كل من سواهم حقيرا ولم يروا العظمة والكبرياء الا لأنّفسهم فنظروا إلى غيرهم نظر الملوك إلى

[١] ـ حسن، علي ابراهيم ، الحضارة المصرية ....، ب ص
[٢] ـ سير و.م فلندرز بتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ... ، ص٤٤
[٣] ـ م. د. فرات محمود ميران، حقوق الإنسان في الحضارات ..، ص٢

العبيد في الارض وأنّ هذا الاستكبار هو الذي أسس الطبقات في ظل شخصية فرعون أي سبب في ظهور الطبقية في المجتمع المصري القديم. [١].

هناك تفسيران حول الصراع الاجتماعي في الدولة القديمة منهم من يرى أنّه مدّة من الفوضى والظلام وانفلات عرى الأمن والاتجاه الآخر يرى ثورة طبقية حقيقية قام بها الشعب ضد مضطهديه تحت الظلم الاجتماعي والامتيازات الطبقية التي جثمت على الصدور قرونا طويلة قبل الثورة [٢].

وفي مصر ظهرت تشكيلة واسعة من الأحوال التي كان فيها الأفراد على درجات متفاوتة فمنهم تابع وخاضعون للسلطة، ومنهم الاقنان والخدم، ومنهم عبيد إذ عرفت مصر نظام الرق وطبقته بصفة خاصة على الغرباء الذين يُجلبون لمصر من أسرى الحرب أو من أسواق النخاسة كما طبقته على المصريين المستضعفين الذين يفقدون حريتهم بعد رهن أموالهم، وأنّفسهم للأثرياء أما نظام التبعية والسخرة الذي كان أساس العمل الاجتماعي الاقتصادي في مصر القديمة فقد طُبق على عامة المصريين بدأت تظهر في أواخر عصر المملكة القديمة بداية عصر الانتقال الأول نقوش تصور الوجيه ممسكاً بعصا يؤدب بها الفلاح أو جباة الضرائب يسحبون الفلاحين على وجوههم إلى قصر السيد ليلقوا جزاء تقصيرهم في دفع ما عليهم من أموال[٣].

في مملكة مصر القديمة لم يكن للأفراد حقوق مستقلة عما يناط بهم من أعمال كلها مخصصة لخدمة الفرعون والحكومة، ثم خدمة سيده المباشر سواء كان شخصا أو مكانا مثل المعبد فإذا تعارضت رغباته الشخصية مع رغبات من يخدم فنادرا ما كان ينعم بالنصر، لم يكن الوضع في الحقيقة هو العدالة وأنما تجاهل الضعفاء والبسطاء ولكن واقع الامر في مجتمع مثل المجتمع المصري القديم كان له كم من الاعتبارات مما يجعل الحقوق القانونية للأفراد تخضع للعرف أكثر مما تخضع للقانون[٤].

---

[١] ـ قاسم توفيق قاسم خضر، شخصية فرعون في القرآن، ص٢١

[٢] ـ القمني ،سيد ، رب الثورة (اوزريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة) ،ص ٤٤ـ٤٧

[٣] ـ جري ، كاتيا صباح ، تطورات بنية المجتمع المصري... ، ص ١٣٩

[٤] ـ ت .ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة ...، ص٧٣

ولقد استخدم رجال الأمن أساليب عنيفة ومتنوعة مع مقدمي الحسابات ومن هذه الأساليب استخدام راحة يد رجل الأمن لإجبار مقدم الحسابات على الانحناء نصف انحناءة أثناء السحب كنوع من الإذلال، ويعد منظر مقبرة نفرو كاحي بسقارة من بداية عهد وني وسرع من الأسرة الخامسة من أروع الأمثلة على مدى قسوة وعنف رجال الأمن، إذ يمسك أحدهم مقدم الحسابات من رقبته ويجره سحباً في وضع الانحناء دون مراعاة لكبر سنه، وقد تم تمثيل وضع الإجبار على الانحناء في مقابر أخرى ، وفي مقبرة كاجمني بسقارة من بداية عهد الأسرة السادسة (2181 ق.م) ، وكذلك ومقبرة جحوتي حتب بالبرشا من عصر الدولة الوسطى إجبار مقدم الحسابات على الركوع وهو ما جاء ممثلاً على جدران مقبرة رمني بسقارة من نهاية عهد تتي من الأسرة السادسة، ومقبرة باكت الثالث ببني حسن من عهد الأسرة الحادية عشرة من (2060-1991 ق.م) وفي بعض الأحيان يتم تصوير مقدم الحسابات في وضع الركوع المنخفض الذي يكاد يصل إلى وضع التمدد على الأرض وذلك طبقاً لمنظر مقبرة تي بسقارة من عهد الأسرة الخامسة، أنّظر الشكل ومما هو جدير بالإشارة أنّ أكثر الهيئات شيوعاً في مناظر تقديم الحسابات هو تمثيل مقدم الحسابات أثناء تعنيفه في وضع نصف انحناءة أو وضع الركوع المنخفض [١].

وعلى الرغم من أنّ الارستقراطية الحاكمة لم تتورع من اتخاذ مختلف أساليب العنف الرجعي للمحافظة على مواقعها السياسية ومصالحها الاقتصادية ولتضليل الجماهير في اخفاء طبيعتها الاستغلالية، فأنّ ذلك لم يحل دون ازدياد تفسخها وانعزالها عن الشعب، نتيجة التناقضات المختلفة، إلى درجة اعتمادها على المرتزقة والأرقاء الأجانب كقوة ضاربة للجيش الدائم بدل الفلاحين المجندين الذين أظهروا عداءهم لسلطة الارستقراطية والكهنة [٢].

في مصر القديمة كان معظم الناس يشاركون بطريقة ما في العملية الزراعية. لقد كان متشابكًا جدًا في المجتمع والاقتصاد لدرجة أنه لم يسلم أحد من عمل الزراعة،

[١] ـ محمد ، جيهان رشدي، ظاهرة العنف في مصر القديمة من الدولة القديمة، ص٥٥

[٢] ـ سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، دار ابن خلدون، بيروت، ط١، ١٩٧٩ ص ٥٦ .

باستثناء النبلاء والكتبة الذين لم يكونوا مناسبين للعمل، ومع ذلك، حتى ذلك الحين ، تم تضمين النبلاء في الجزء الاقتصادي من الزراعة، لأنهم غالبًا ما يمتلكون الأرض التي يتم زراعتها والإشراف على رعايتها، كان هناك مزارعون بدوام كامل غالبًا ما كانوا يعملون في أرض أصحاب الأراضي الأثرياء ويتقاضون رواتبهم في الغذاء والملابس والمأوى بعض العائلات استأجرت أرضًا من أصحابها، وأعطوا أصحابها جزءًا من محاصيلهم كمقابل ومع ذلك، أجبرت حكومة مصر القديمة آخرين على تجريف القنوات ومسح الأراضي وإعداد الأرض كشكل من أشكال الضرائب إذ أن كل من حاول تجنب السخرة تم التعامل معه بقسوة، وكذلك مع عائلته[١]

تألف المجتمع المصري القديم من ثلاث طبقات(الطبقة العليا والطبقة الوسطى والطبقة الدنيا) ولابد من ذكر أن الفرعون لا يُصنف ضمن طبقات المجتمع البشري وذلك بسببِ نفوذهِ الطاغي على كل المجتمعِ المصري القديم ولم يدخل الفرعون ضمن الطبقات الاجتماعية كونه يمثل إلها وعليه فهو لا يصنف ضمن طبقات المجتمع المصري.

***الفرعون**

كان فرعون مصر يمثلُ ظل الإله في الارضِ يحكم بمقتضى الحق الالهي المقدس[٢]، وهو بذلك المتصرف في شؤونِ دولتهِ وصاحب الكلمة العليا في البلاد ومن واجباته متابعة شؤون الرعيةِ والاستماع إلى شكواهم ويجلس مع العظماء ويتحدث إليهم وسمح لملوك الشرق وامرائِهم بمصاهرته وامتنع عن تزويج بناتهِ لغير المصري النبيل ذي الإصول الملكية[٣].

ويشكل الفرعون في مصر مالكا لكل الأرض المصرية ومقاطعات الدولة بمن فيها وما عليها، وكثيرا ما كانت سلطة الفرعون الدكتاتورية تؤجج ثورات داخلية قصيرة العمر ما تلبث أنّ تقمع بشدة وحزم وقد تميز فرعون مصر بسلطة مطلقة وحريةُ

---

[١] ـ الزراعة المصرية القديمة، https://www.repairark.com/2023/01/blog-post_27.html

[2] -Allen, J. P. (2016). The World of Ancient Egyptian Thought. The Adventure of the Human Intellect: Self, Society, and the Divine in Ancient World Cultures, 73-88.

[٣] ـ حسن ، علي ابراهيم، الحضارة المصرية .....، ب ص

تصرفٍ كاملةٍ في كل ما يتعلق بأمور الدولة وتمادى بعض الفراعنة فأدعوا الإلوهية[١].

والواقع أن صبغة الفرعون الاستبدادية كانت مؤسسة على طبيعته الإلهية، وقد برزت هذه الظاهرة في قوته السياسية والإدارية، وذلك أن الأسرات الأوزيرية وديانة عين شمس كانتا الأساس الذي تُبنى عليه معتقداتُ القومِ، ومنهما نشأت نسبة الملك إلى أصل إلهي وأبديته حسب عمله الدنيوي، فلم يكتف الملك بأن تكون له شعائر دينية تقام له في مدة حياته، بل كان يعمل كذلك لحفظ جثمانه بإقامة مقبرة على غرار الآلهة، فكان الفرعون يعتقد أن جسمه الذي لا يبلى سيبقى ساهرا على أقدار مصر من أعماق هرمه، فكانت إقامة شعائره لا تنقطع وكانت تُحبس الأوقاف لتكون ضمانًا أبديّا لاستمرار تقديم القربان له[٢].

اولا- الطبقة العليا وتشمل:-

١. الأمراء

كانت طبقة النبلاء والإقطاعيين ذات حضور قوي في مصر العليا يتميزون بنفوذ قوي حتى قبل قيام الأسرة الأولى إذ لجأ الفرعون إلى فرض طبقةِ نبلاءٍ جديدة تمكن عن طريقها القضاء على طبقة النبلاء الاقطاعين القديمة وهؤلاء النبلاء نجدهم كبار الموظفين والملكين وقد قلدهم الفرعون ألقاباً شرفية مثل الأول بعد الملك، الأمير وغيرها وهي ألقاب ظلت قائمة في المصرية، وأنّ الوظائف في الطبقة الاقطاعية في العهد القديم كانت وراثية وتميزت بأنّها اقطاعية وقبلية وأُسرية وولائية [٣].

تشكل هذه الفئة الثانية ممن كانوا أعوانا لفرعون في طغيانه في قومه وهم اشراف القوم ورؤساؤهم وسادتهم والكبراء منهم وهم أهل مشورته ورؤساء دولته ويشغلون وظائف مهمة في المملكة وأيضا هم شركاء في الظلم والتسلط والاستبداد[٤].

---

[١] - قاسم توفيق قاسم خضر ، شخصية فرعون..، ص ١٠
[٢] - سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة، ج٢، ص١٦٥
[٣] - ناصر الانصاري ، في تاريخ القانون المصري، ص٣٩
[٤] - بشير حميد عبد ، الطغيان في القرآن ..، ص ٦٣١

وأما القوة الأخرى من الطبقة الحاكمة فكانت الفئة العسكرية التي تشكلت حديثاً من الضباط ذوي الرتب المتوسطة والعليا، وكان الفرعون يختار عناصر من ذوي الرتب العليا إلى المناصب الهامة في الإدارة المركزية والقصر الملكي مما هيأ لهم بحكم مراكزهم امكانية التأثير في سياسة الدولة الداخلية، وكان الضباط ذوو الرتب المتوسطة والدنيا يتلقون أراضيَ مقابل خدماتهم، وشكلوا بعددهم الكبير سنداً متيناً للسلطة الملكية، وكان طبيعياً بالتالي أن يصغي الفرعون لرغباتهم، وقد وصلت العصبة العسكرية درجة من النفوذ مكنها من اغتصاب السلطة وتأسيس أسرات ملكية حاكمة، لقد تغيرت بنية الطبقة الارستقراطية خلال مجرى العصر التاريخي لمصر القديمة، وظهرت تناقضات مصلحية بين مختلف فصائلها، غير أن هذه التناقضات لم تؤدِ إلا إلى استمرار النظام الفرعوني على نفس الأسس الاقتصادية والاجتماعية رغم التغيرات البطيئة أو الضعيفة التي طرأت على القمة السياسية [١].

لقد كان للأمراء والنبلاء سلطة في مصر القديمة كانت مستمدة من سلطة الفرعون وكان لهم دور كبير في الظروف القاهرة التي تعرضت لها مصر القديمة إذ بدأوا يفكرون في الانفصال في نهاية عصر الاهرام نتيجة ضعف سلطة الفراعنة فانتقلت الدولة من حكومة مركزية بيد الفرعون إلى حكومة لا مركزية استقلت فيها المقاطعات بزعامة النبلاء والاشراف[٢].

الطبقة الارستقراطية كانت الطبقة الاجتماعية السائدة في مصر الإمبراطورية القديمة تتألف من نبلاء البلاط وارستقراطية المقاطعات والكهنة وعلى رأسهم جميعاً الملك[٣]، وكان هؤلاء الاسياد يملكون أراضيَ واسعة تضم قرى متفرقة في أنحاء البلاد، وقد ورث الارستقراطيون جزءاً كبيراً من ممتلكاتهم، كما أنهم كانوا يتلقون

١ ـ دلو، برهان الدين، (حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي – السياسي، ص١٠٤
٢ ـ عامر سليمان،احمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم)، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي،١٩٧٨، ص ٢٦٥
3- Weber, M. (2013). *The agrarian sociology of ancient civilizations*. Verso Books.

أيضاً الأراضي من الفرعون مكافأة لهم على خدماتهم، وكان رجال الدين الأعلون ينتمون إلى الطبقة السائدة، طبقة الارستقراطية [١].

٢. رجال الدين

كان الكهنة يتم تعينهم من الملك في البداية لكن فيما بعد وفي عهد الدولة الحديثة أصبحت وظائفهم وراثية وهؤلاء الكهنة المحترفون كانوا يسمون (خدم الآلهة) وكان أهم التقسيمات الإدارية هي إدارة الأملاك الفخمة التي تملكها المعابد وقد كان للنساء الكاهنان دور ثانوي في وظائف المعابد في (الموسيقى والرقص) أما في طيبة فقد كانت الكاهنة الرئيسية لا مون تحمل لقب زوجة الإله وكانت قائدة الأناث في المعبد وكان يُنظر إليهن على أساس حريم الإله وقد اتحدن مع الإلهة حتحور[٢].

وقد اطفت السلطات في الشرق الأدنى القديم على نفسها سمة القداسة، وبهذا السمة ما رسوا الاستبداد لينأوا بأنفسهم عن مساءلة الناس وعقابهم فقد كان هذا الرعب ملازما للاستبداد عند الفراعنة، وهو رعب ترمز إليه الافعى السامة أوريوس (uroeus) التي ترقد ملتفة حول جبهة الملك تهدد اعداءهُ بالدمار وقد كانت العقوبات جسدية كالضرب بالسوط والجلد والعصا والاصفاد والاغلال[٣].

٣. التجار وموظفي الحكومة الكبار والضباط

إنّ ملوك مصر القديمة وتحديداً الاوائل منهم وإيغالا في تثبيت الحكم عملوا على هيكلية تعيين أبنائهم وأقاربهم في ادارة البلاد ووضعهم في مراكز حساسة مثل الملك (سنفرو) في نهاية الأسرة الرابعة يقلد ابنه (نفر- ماعت) منصب حامل الاختام وقاضي القضاة ويقلد نجله (رع - جبت) منصب الكاهن الأكبر للإله رع) وقد عمل الملك خوفو الأمر ذاته أما احفاد الملوك والأقارب البعيدون فقد قلدوا مناصب أقل أهمية وذلك بهدف ضمان استمرارهم في الحكم[٤].

---

١ - دلو، برهان الدين، (حضارة مصر والعراق)، ص١٠٣

٢ - جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، (ت) امام عبد الفتاح، عالم المعرفة،١٩٩٣، ص ٤٥

٣ - احمد انور ، الاستبداد : جدلية الخضوع ...، ص ٤٧

٤ - الخفاجي، علي مزهر، مصر القديمة في نظام الحكم اللامركزي والمركزي، ص٣١٤

ووظائف النساء بشكل كاهنات في المعبد ابتدعت من قبل (أوس كن) الثالث واقتصرت الوظيفة فقط لنساء الطبقات العليا إذ عيَّن الملك (شباكا) أختهِ في هذا المنصب وقد عُرفت تلك الكاهنات باسم (الكاهنات العظيمات لأمون) [١].

من أهم وظائف الموظفين الكبار في المملكة المصرية هوأنّ لهم مطلق الحرية في تسخير ما شاءوا من الرعية عدا الفئات المستثناة [٢].

لكن الغالب أنّ الوضع قد تغير في عهد الدولة الحديثة من الأسرة الثامنة عشرمن (1570 –1250 ق.م)، لأن طرد الهكسوس استتبع سيادة العسكريين وملوك الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة[٣]، وهم أعاظم أبطال التاريخ المصري القديم كانوا قادة عسكريين يحشدون الناس في جيوشهم ويحكمون مستعينين بجماعات من القادة ، وأنّحط مقام الجماعات العاملة في أيامهم وربما كان هذا تعليلا للثورة الدينية التي نادى بها أخناتون، وقد كان في صميمها ثورة على الطبقة المستبدة من العسكريين، ومن كان يؤيدهم من كبار رجال الدين، وشعر هذا الفرعون بآلام الجماهير العاملة وكراهتها للذين يحكمون باسم الإله رع متمثلا في هيئة الفرعون، ومؤيدا بالعسكريين وكبار الكهان وكانت الثورة الأخناتونية تدعو إلى الانصراف عن رع وما يمثله من استبداد إلى عبادة أتون وهو رمز قوة الشمس وضوئها وحرارتها أي أنه اتجه إلى تجريد الطبقة المستبدة من قدسيتها، وفصل الدين عن الدولة خلال الفعل العنيف الذي أعقب موت أخناتون وانتقال السلطة إلى الفرعون الشاب توت عنخ آمون واسترداد الكهنة لسلطانه باسمه [٤].

ثانيا- الطبقة الوسطى

تتمثل بأصحاب الحرف والمهن وأرباب الصنائع كان أبناء العمال والصناع في مصر القديمة يتأثرون بمعاملة الأسياد لأبائهم وكانوا يخرجون مع أبنائهم للعمل في صناعة المقالع أو الأدوات ابائهم المعدنية أو الحجرية بنين وبنات كانوا وقتها يلهون

١- سير و.م فلندرز بتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ... ص٤٣

٢ - ت.ج جيميز، الحياة ايام الفراعنة ، ص٧٢

3 - Van Seters, J. (2010). *The Hyksos: a new investigation*. Wipf and Stock Publishers.

٤ - مؤنس، حسين، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ١٩٧٨، سلسلة عالم المعرفة، ص٢٢٧.

بعرائس من الطمى مع القش، وكان الأبناء غالبا ما يتجهون في نفس عمل ابائهم أما البنات الصغار فتضطر للعمل في مصانع الغزل أو النسيج أو تنظيف البيوت وخدمتها ، وكانت الأسرة المصرية الفقيرة ذات الأعمال الفلاحية أو الصناعية تعاني شدة الحياة، كانوا يُستغلون في تنفيذ المشاريع الدولة وخدمة الحكام وكانوا يمثلون عدداً كبيراً من جماهير الصناع والعمال على نحو كثير وكانوا يُستأجرون من قبل الطبقات الأخرى [١].

كانت حياة الحرفيين في مصر بائسة أيضاً على وجه العموم فقد كُتب عليهم أنّ يعيشوا حياةً دون بهجة في عمل مضنٍ حليفتهم الحاجة المذلة والمجاعة المميتة يسهرون في الليل مع عملهم حتى يغلبهم النعاس وتشل أياديهم المتعبة فلا يستريحون، كان عليهم منذ شروق الشمس أنّ يكونوا على رأس عملهم في الورشة، ولم تكن حال الشغيل الحرفي لتقل بؤساً عن حال الفلاح فالحداد يمضي كل وقته أمام لهيب الكور ويتعرض لآلاف الآفات والأمراض والنجار يشقى كالفلاح، وكما يدمي المعول يد الفلاح يدمي المنشار يد النجار أما الحجارون والحاكة والحذاؤون والصباغون وغيرهم من أصحاب المهن فكلهم سبك العمل اليدوي ويحيله إلى حطام[٢].

قد وصف لنا أحد الكتاب الشعراء المصريين حالة من يعمل منهم في صناعة المعادن قائلاً:

"لم أر أبداً الحداد يوفد كسفير.

لا ولا صائغ الذهب يؤدي رسالة

ولكني رأيت الحداد في عمله

بجانب كوره لقد كان أصابعه مثل جلد التمساح

وكان أنّتن من بيض السمك

---

١ ـ صالح، عبد العزيز، الاسرة المصرية في عصورها القديمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨٨، ص ١٣٤

٢ ـ حاطوم، نور الدين وزملاؤه ، موجز تاريخ الحضارة، الجزء الاول، مطبعة الجامعة، دمشق، ١٩٦٤، ص ١١٢ - ١١٣ .

ووصف الحياة البائسة لمن يعمل في حفر الخشب على النحو التالي :

كل صانع فنانّ يعمل بالازميل

يضني نفسه أكثر ممن يفلح الأرض

فحقله الخشب وأداته من المعدن

. وهو يعمل اكثر مما تستطيع ذراعاه " [١].

عرفَ العمالُ المصريون الاضراباتِ إذ قام عمال البناء بأضراب وتمرد قبضوا فيه على رئيسهم " **لم يبق عندنا ثياب ولا زيت طعام، فأكتب للملك أو الحاكم أنّ يعطينا النفقات وكان الاجور تقدم بشكل سلع عينيه وغذائية"** [٢].

أنّ استدعاء العمال للعمل (السخرة) كانت عملية يشوبها الكثير من التجاوز، فقد كان المجند يمكنه أنّ يرسل بديلا عنه وكان المسؤولون عن عملية السخرة أنّفسهم متهاونين تحت وطئه الرشوة، وكانت الرشوة تشمل كل من ليس لديه نفوذ يحميه ولا يستطيع شراء حريته بالرشوة وصدر سيتي الأول مرسوم يحتوي على بنود كثيرة تحظر تسخير عمال المعبد الملكي بأبيدوس وتفرض عقوبات على كل من يسخرهم[٣].

تدل النقوش على أنه كان للعمال نظام غاية في الدقة قائم في البلاد منذ فجر التاريخ، ولدينا من الألقاب ما يشعر بقيام هذا النظام، وأنّ هؤلاء العمال كانت تدون أسماؤهم في سجلات خاصة، فقد ذكر، أنه كان للعمال المدونة أسماؤهم مراقب خاص، وقد كان هؤلاء العمال مقسمين إلى فرق صغيرة، أو جماعات كبيرة، أو هيئات صناعية، والظاهر أنّ أسرى الحرب كانوا يخصصون لأشق الأعمال في المناجم أو في ضياع الحكومة أو المصانع الملكية، وهؤلاء بلا نزاع لم يكن لهم أية حقوق بل كان سيدهم له الحق في التصرف فيهم كيف شاء ويقومون له بأي عمل يريده، على أنهم في مقابل ذلك لا يأخذون إلا ما يسد رمقهم، وعلى أية حال فأن ما

[١] ـ إدولف ارمان وهيرمان رانكه ، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ص ٥١٥ ـ ٥١٦

٢ ـ عوف، احمد محمد، عبقرية الحضارة المصرية القديمة ،مكتبة الاسرة، الهيأة العامة المصرية للكتاب،١٩٩٩، ص٣٤

[٣] ـ ت . ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة) ، ص٧١

قام به أسرى الحروب من الأعمال لم يكن إلا ثانويا، وعند الحاجة كان يُطلب الجنود للأعمال الهامة وبخاصة إذا علمنا أنّ الحروب في هذه الأوقات كان قلية، ولذلك كانت تستخدم الجنود في الأعمال الحكومية، وقد ذكرنا فيما سبق أنّ الجنود كانوا يرافقون البعوث التي كانت ترسل إلى مناجم سيناء، وقد عرفنا عن طريق - بردية من عهد الأسرة السادسة علمنا منها أنّ الجنود كانوا يشتغلون في قطع الأحجار[١].

ووصف (ديودور) الصقلي الظلم لدى الفئات العاملة بشقاء المعدنين وهم يتتبعون بالمصباح والمعول عروق الذهب في الأرض وهم يحملون المعدن الخام والنهارس الحجرية وهي تطحنه والشيوخ والعجائز وهم يغسلونه ويتابع قائلاً : أنّ ملوك مصر يجمعون السجناء وأسرى الحرب وغيرهم ممن وجهت إليهم التهم الباطلة وزجوا في السجون هؤلاء كلهم يُرسلون إلى مناجم الذهب تارة وحدهم وتارة مع جميع أسرهم ليستخدموا في الحصول على دخل كبير نتيجة كدهم فأنّ كل من يرى هؤلاء البائسين المنكوبين الحظ تأخذه الرحمة بهم لفرط شقائهم، وذلك لانه لم يرَ أحداً يرحم المرضى والمشوهين والعجزة والضعاف من النساء هؤلاء كلهم يلزمون بالدأبِ على العمل حتى تخور قواهم فيموتون في ذل الأسرِ[٢].

ثالثا ـ الطبقة الدنيا:ـ

تتكون هذه الطبقة من الفلاحين وهم فئة غالبية الشعب المصري يقيمون في القرى ويشتغلون في الزراعة[٣]، وأنّ حصل الفيضان عملوا في المناجم والبناء، كانوا مزارعين أحراراً من صميم أفراد الشعب، ويلحظ هناك نظرة تسلط وطغيان بين طبقة الموظفين السياسيين تجاه الفلاح إذ يجدونه لقمة سائغة سهلة ومن حقهم إلحاق الأذى به لأنه مجرد كونه فلاح [٤] .

أنّ هؤلاء الطغاة يمكرون اتباعهم الضعفاء وذلك لما لهم من سلطان عليهم وعلى المجتمع فالمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون هم الرؤساء وأنّ بطش

١ ـ حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج٢،ص١٦٥

٢ ـ ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ت،محمد بدران، ج٢ ،مجلد الخامس، دار الجيل ، بيروت، ص ٨٥

3- Trigger, B. G., Kemp, B. J., O'Connor, D., & Lloyd, A. B. (1983). *Ancient Egypt: a social history*. Cambridge University Press.

٤ ـ حسن علي ابراهيم / الحضارة المصرية و.....، (ب ص)

الطواغيت لشعوبهم يزرع بذور الخوف وينبت نشوء حركات التمرد التي غالبا ما تكون سرية خوفا من بطش الفرعون [١].

من الواضح أنّ مصر عبر تاريخها الطويل تشييد مشروعاتها الكبرى على أكتاف ابناء الشعب فمثلا بناء الاهرامات والمعابد، وأنّ تلك المشروعات التاريخية استهلكت عشرات الألاف من العمال أغلبهم من الفلاحين [٢].

كانت مصر بلدا زراعيا في المقام الأول، يسهم فيه الفلاح بنصيب كبير في رفاهية المجتمع المصري، وكانت الأراضي الزراعية في مجملها ملكا للملك وكهنة المعابد، وإنّ كان ذلك لا ينفي وجود ملكيات صغيرة لفلاحين كانوا يعيشون في حدود ما تنتجه أراضيهم، وكان عمل الفلاح يخضع لرحمة فيضان ماء النيل الذي ينظم حياته الاجتماعية والمهنية [٣].

عمل الفلاحون في أراضي الفرعون والأشراف والكهنة ويُعد الفلاحون لا ملكية لديهم ولم يتميزوا عن العبيد الا من الناحية الحقوقية، أما من الناحية المادية فيشبهونهم تقريبا، وأنّ الفلاحين الصغار الذين يملكون قطعا زراعية خاصة أصبح عددهم يتناقص تدريجيا في مصر القديمة وكان عليهم أنّ يقدموا حصة من أنتاجهم كضريبة للدولة.[٤]

كان الفلاح المصري البسيط دائم الخوف من تحقيق العدل ويشعر أنّ المسؤولين لن يتعاطفوا معه؛ وذلك لأنّهم يفضلون إرضاء رؤساءهم، إذ أنّ الضرائب كانت تجبى منهم (الفلاحين) بالقسوة والعنف وتحت التهديد بالضرب وإذا تردد الفلاح في اعطاء الضرائب يسحب إلى القاضي ليأخذ عقوبته[٥].

إنّ عظمة الفرعون قامت على المارد الضخمة التي تصرف بها، حيث كانت جميع الاراضي ملكا اسميا له، وكان يتصرف بإنتاجها ويوزع منها على اقربائه كما

١- بشير، حميد عبد، ، الطغيان في القران ـ فرعون انموذجا ، ص ٦٢٧
٢ ـ الدربي، عبد العال، الالتزامات الناشئة عن المواثيق العالمية : حقوق الانسان / دراسة مقارنة ، ط ١ ، ٢٠١١، المركز القومي للإصدارات القانونية ، ص ٥٦
٣ ـ وائل جمال، مصر القديمة: حياة العمال وحقوقهم في مصر القديمة: حياة العمال وحقوقهم في زمن الفراعنة بي بي سي١ مايو/ أيار ٢٠١٨
٤ ـ نعيم فرح ، موجز تاريخ الشرق ... ، ص ٦٦
٥ ـ ت. ج جيميز، الحياة ايام الفراعنة....، ص٦٩

تصرف بمناجم الاحجار والمعادن كما كان السكان مرغمين على العمل في المشاريع العامة، كبناء السدود وشق الاقنية وايضا بناء القصور الملكية والاهرامات وايضا اشتغل في اراضي الفرعون والاشراف والكهنة الفلاحون الذين لا ملكية لهم ،ولم يتميزوا عن العبيد الامن النحية الحقوقية اما من الناحية المادية فيشبهونهم تقريبا [١].

وكانت المشاعية الريفية تتألف من أسرات أبوية كبيرة وصغيرة وكان الإبن الأكبر هو الوارث الرئيس الذي يرث إرث والده بكامله أو القسم الأعظم منه، وهذا ولم يستفد الزراع أعضاء المشاعية الريفية في عهد الامبراطورية الوسطى من رفاهية الدولة ولا من تخفيض الضرائب والوجائب الملكية، وذلك لأنّ الاستقلال الذاتي لحكام الأقاليم أخضعهم لعبودية مزدوجة عبودية للفرعون وعبودية لحكام الأقاليم نتج عنها افقار محسوس للفلاحين، وقد وصفت الأعمال الادبية لذلك العصر آلام الفلاح وما يعانيه من بؤس واستغلال وتعذيب واعتداء فالمجاعة تحيط بكوخه والعمل المضني لا يكفي تأمين مقومات حياته الجميع يسلبونه ينتزعون منه ما أزمع على بيعه في السوق حميره وشعيره ويضربونه دون شفقة مدافعاً عن نفسه بالصراخ والعويل، وإذا ذهب يشكو مظالمة و إهاناته لم يجد أحداً ينصفه إلخ[٢].

أنّ الفلاحين كانوا سابقاً عبيد الفرعون وثم عبيد إلى سلطانهم وهذا ما يدل على ضعف شخصية المصري القديم وتحديدا الفلاحيين إنّ معظم سلبيات وعيوب الشخصية المصرية يعود في الدرجة الأولى إلى القهر السياسي الذي تعرضت له مصر ببشاعة وشناعة طوال تاريخيها في الالتقاء واتفاق (السلطة، الحكم، الطغيان، الاستبداد، البطش، التعذيب، الارهاب، التخويف) وبهذا تظهر النقطة الاساسية وراء شخصية المصري في علاقته بالسلطة ومفتاح هذه العلاقة التعسة هي العداء المتبادل

[١] ـ نعيم فرح ، موجز تاريخ الشرق ... ، ص ٦٦

[٢] ـ حداد . عبد الحق وعدنان خمس، الحركات الفلاحية عبر التاريخ ، الناشر، مؤسسة العلاقات الاقتصادية، ب. ت ، ص ٤٢

والريبة المتبادلة [١]، وفي وقت الفيضان تكون الحقول مغمورة بالمياه فيؤخذ الفلاحون للسخرة [٢].

وكان الفلاح المصري القديم من الفئات المجتمعية التي تعرضت للضرب وللإهانة، فطبقاً لبردية القروي الفصيح التي جرت أحداثها في عهد الأسرة العاشرة، وقد تعرض الفلاح البسيط خوان انبو للضرب بغصن من الأثل الأخضر من نمتي نخت بعد أنّ استولى على حميره وما عليها من بضائع، استمر ضرب الفلاح في عصر الرعامسة، وقد امتد الأمر إلى أفراد أسرته ففي عهد الأسرة التاسعة عشرة كان الفلاح الذي يتأخر عن سداد المقررات الضريبية المفروضة عليه من قبل الدولة يُضرب بشدة ويُغطس في الماء وتُربط زوجته في وجوده ويُقيد أطفاله بالأغلال، وذلك دون محاولة من قبل القائمين علي الأمر بمعرفة أسباب التأخر في دفع الضرائب من إذ تعرض المحصول للسرقة أو لهجوم العصافير والجراد والفئران والثعابين [٣].

وكان جباة الضرائب يعسفون الفلاحين ويسيئون معاملتهم، وتقص علينا وثيقة مصرية بعنوان (نصائح وارشادات مدرسية حياة الفلاحين البائسة وما يتعرضون له من ظلم وتعذيب وإهانة تقول الوثيقة) "لقد أتلفت الديدان نصف الحبوب، وأكلت أفراس البحر ما بقي منه، وهناك عدد لا يحصى من الفئران تسعى فوق الحقول كما هبط الجراد، ولكن وحاسرتاه على الفلاح فما بقي له من حبوب على أرض الجون فقد سرقها اللصوص، ويضاف إلى هذا أنّ السيور التي تربط الحديد والمعزقة قد بليت، وأنّ التورين قد مأنّا من جر المحراث، وفي هذه اللحظة يصل الكاتب بقاربه إلى المرسى ثم يخرج ليطلب الضريبة المفروضة على المحصول يرافقه حراس أبواب مخازن الملك وشرطة من النوبيين بمقارعهم وهم يقولون للفلاح: أعطنا الحبوب، والحبوب غير موجودة فيضربونه ويطرحونه أرضاً ويقيدونه ثم يقذفون به

١ - احمد انور، الاستبداد : جدلية الخضوع، ص١٥
٢- ت.ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة ، ص ٧١
٣ - محمد، جيهان رشدي، ظاهرة العنف في مصر القديمة من الدولة القديمة حتى ...، ص٥٤

في القناة فيغرق، وأما امرأته فهي مربوطة أيضاً أمامه، وأولاده يشردون في الطرقات، وأنّ جيرانهم يتخلون عنهم ويهربون فتتلف حبوبهم [١].

الرقيق والعبيد

طرأت عدة متغيرات على بنية الطبقة الارستقراطية في مصر يعود تاريخ العبودية في مصر إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، وكانت تدعم المجتمع الرقّى خلال قيام الدولة المصرية، وأصبح من ثم وجود المجتمع يرتكز على العمل العبودي، وأنقسم المجتمع إلى طبقتين كبيرتين متعارضتين : طبقة العبيد ، وطبقة ملاك العبيد، وهكذا تكونت طريقة الإنتاج القائمة على العبودية في ظل العبودية، كان السكان ينقسمون إلى افراد أحرار وعبيد، وكان الأفراد الأحرار - عدا النسوة اللائي وقعن تحت سيطرة الرجال واصبحن في مصاف العبيد منذ تفسخ نظام الأمومة واستبداله بنظام الأبوة يتمتعون بكل الحقوق المدنية والسياسية وبالملكية، بينما كان العبيد رؤوس في النصوص المصرية مجردين من كل الحقوق لا يملكون شيئاً ، بل هم أنّفسهم مملوكون لأسيادهم [٢].

وهم أسرى حرب يعمل هؤلاء في خدمة المنازل والقصور ورعاة للمعابد والرق تعني في اللغة هو الملك والعبودية ومنذ عصر الدولة القديمة كان السكان يشتملون على أسرى أجانب تم أسرهم في الحرب ويطلق عليهم (Sqrw_anX) بمعنى المقيدون طول العمر منذ عهد ملك سنفرو ويشكلون قطاعاً كبيراً من السكان الذين يعيشون حالة من العبودية وفي عهد الدولة الحديثة اصبح الأسرى يعملون على نطاق أوسع في الاعمال الاجبارية ،وفي جزء من بردية هارس الأولى يوجد نص إداري مهم من عصر الرعامسة يتحدث الملك عن القوى العاملة من الأسرى والمحاربين المأسورين **" لقد احضرت معي اعداد كبيرة أولئك الذين نجوا من قبضة سيفي،**

١ - ادولف ارمان، هيرمان ورانكه، مصر والحياة المصرية القديمة، ص ٥١٣

٢ - دلو، برهان الدين ، حضارة مصر والعراق...، ص١٠٢

وايديهم مقيدة خلف ظهورهم امام خيولي ، وزوجاتهم واطفالهم وهم يعدون بعشرات الالاف وما يملكون من ماشية الالاف " [١].

وكان عبيد الأرض في مصر القديمة (الاقنان) يعملون في الاراضي الزراعية وكان عددهم يفوق الأخرين في الاراضي الخاصة بالكهنة ادعى بعض العلماء أنّ العبيد في مصر القديمة كانوا من ضمن الأملاك الخاصة بصاحب الأرض تنتقل ملكيتهم بانتقال ملكية الأرض التي يعملون فيها وقد استندوا في ذلك على وثيقة تعود إلى الأسرة الرابعة لإحد كبار موظفي الدولة (متن)جاء فيها أنه ترك أرضه والعبيد والمواشي ورثاً لابنه وكان الأفراد الأحرار ينقسمون إلى طبقتين: طبقة ملاك الأراضي والعبيد وطبقة صغار المنتجين وهم الفلاحون المشاعيون (ميرتو) والحرفيون فمن اغتنى من هؤلاء تحول إلى مالك عبد مستثمر (كالنيزس في عهد الدولة الوسطى)، ومن أفلس تحول إلى عبد، وعلى الرغم من ذلك فإن المالكين الصغار قد استمروا في البقاء، وكان رجال الدين بفضل ثروة المعابد ينتمون إلى طبقة ملاك الأراضي والعبيد [٢].

يعد الحبل رمزاً للعبودية في مصر القديمة ، الحبل بأنواعه سواء السميك أو الرقيق احدى صور العبودية والذي كان يستخدم في تقييد أسري الحروب والمذنبين والخدم والعبيد والمقصرين عن دفع الضرائب ويرجع استخدام الحبل إلى عصر بداية الأسرات وربما قبل ذلك عندما عرف المصري القديم فرض السيطرة وفرض نظام الحكم على ارجاء البلاد فشُوهد على جانب لوحة (نعرمر) تصوير منظر لإسير وهو ممسوك بالحبال بواسطة المعبود حور [٣].

وفي مصر القديمة كان عدد العبيد في هذه ال مدّة المبكرة قليلا، ونادرا ما تحول سكان البلاد الأصليون إلى عبيد نتيجة أعمال السخرة وغيرها، وهكذا عاش الفرعون

---

[١] - حماد، سمر فهيم، الحبل كرمز للعبودية في مصر القديمة، (بحث منشور) المجلة العلمية كلية الآداب، العدد (٤٥)، ٢٠٢١، ص٢

[٢] - سير و.م فلندرز بتري، حياة اجتماعية في مصر القديمة، ص ٤٩

٣- حماد، سمر فيهم، ، الحبل كرمز للعبودية في مصر القديمة ص٢١

والطبقات المسيطرة في المجتمع في رفاهية بالغة على حساب المنتوجات الفائضة التي أنتجتها جهود العبيد وعامة الشعب الكادح [١].

لم تحتل ظاهرة العبودية سوى مكاناً هامشاً في إطار الاقتصاد المصري، ولكن خلال الدولة الحديثة، وتتبعا إلى الحملات العسكرية التي شنها الملوك الفراعنة على جنوب النوبة زادت نسبة العبيد في نطاق الأيدي العاملة بمصر، وغالباً كان الجنود المصريون، وبعد الانتصار وهزيمة الأعداء يكافأون بعدد من العبيد الأجانب. وكانت المعابد وأملاك الفرعون تزخر بالعبيد الذين تم اختيارهم ضمن الشعوب التي ألحقت بهم الهزيمة، وفى واقع الأمر أننا لا نلم تماما بأحوال العبيد في أرض وادى النيل، هناك بعض النصوص تومئ لهم قائلة : **"حالما يولد أطفالهم، فهم ينتزعون من أماتهم، وعندما يشبون، يرزحون تحت وطأة العمل الشاق "**، وهناك أسواق للعبيد وعادة يتم اعتماد الشراء رسميا لبيع العبيد، عن طريق قسم يُؤدى أمام بعض الشهود يُسجل لدى أحد الموظفين الإداريين وحالما يصبح هؤلاء العبيد المنتمون لشعوب أجنبية ملكا لأحد المصرين، يطلق عليهم أسماء مصرية وفي بعض الإحيان يتم ختمهم، وبينما عمل بعض ملوك الرعامسة إلى إدماج أسرى حروبهم في إطار جيوشهم، ومنهم جماعة (الشرادنة، والماشواش، الذين كونت منهم فرق كاملة من الحرس والمقاتلين البارعين الأشداء بجيش رمسيس الثاني وصولا إلى الملك رمسيس الثالث الذي ادخلهم في الجيش الفرعوني [٢].

ومن الظلم والتسلط الذي يعاني منه العبد استخدم المشرف العصا لتأديب من يعمل تحت إشرافه، فقد جاء على جدران مصطبة نفر حر بتاح بسقارة من عهد الأسرة الخامسة منظر يمثل أحد الخدم مطروحاً على الأرض وهو يُضرب في وجود المشرف الذي يشاهد ما يحدث وهو متكئ على العصا، وكما مثل على جدران مقبرة جحوتي نفر من عهد أمنحتب الثاني منظر لمشرف يضرب خادماً مهملاً أو غير مطيع، هذا هو العنف الموجه للعبيد. يوجد منظر فريد من نوعه يصور العديد من

١- فرح، نعيم ، موجز تاريخ الشرق ... ، ص ٦٦

٢- جى راشيه، **الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية**، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه،٢٠٠٦، ص٢٣٠

المشاعر المختلطة ممثل على جدران مقبرة نفر حتب بطيبة من عهد الأسرة الثامنة عشرة، إذ يتم سحب أحد العبيد المتمردين من رقبته بحبل مع تأديب آخرين بعصا، ويتم في نفس المنظر إبراز فكرة الحرية التي تتناقض مع العبودية بتمثيل العجل الذي يفر بين الأشجار فرحاً [1].

١ ـ محمد، جيهان رشدي ، ظاهرة العنف في مصر القديمة من الدولة القديمة حتى ...،ص٥٢ـ٥٣

الفصـل الثـاني
الاستـــــــــبداد الاقتصـــــــــادي

المبحث الأول
الطبيعة الاستبدادية للفكر الاقتصادي ومظاهره

المبحث الثاني
أشكال الاستبداد الاقتصادي ومظاهره

الاستبداد الاقتصادي

كان عصور الزراعة في مصر ما قبل التاريخ ينمو طبيعياً، ومع الوقت ومع قيام العصر الحجري الحديث ما بين (10000-4000 ق.م) استطاع المصري القديم زراعة أرضه، وفلاحتها فزرع بعض النباتات والمحاصيل عندما بذر البذور في الطمى بعد انحسار الفيضان، فكانت تنمو حتى موعد الحصاد، وأخذ يستخدم الأدوات البدائية البسيطة الفأس والمنجل، وقد صنعهما من حجر الصوان، وكما صنع المحراث والشادوف لرفع المياه من النهر أيام الصيف ليروي بها الأرض، وزرع المصري القديم بعض الباتات، وكانت بعض النباتات تنمو طبيعيا [١].

وبينت الزراعة في حياة مصر الاقتصادية أهمية الفلاح الذي يقوم على الأرض، ويستغلها فهو الذي يعطي تلك الحياة الاقتصادية كل نشاطها حتى ليُعَدُّ هو والنيل كلاهما الدعامتين اللتين ترتكز عليهما الثروة العامة. لولا الفلاح لماتت مصر حتماً؛ إذ النيل والفلاح عاملان يكمل أحدهما الآخر، وبهما معا قامت الثروة المصرية إلى هذا اليوم [٢].

وبدأت حياة الإنسان المصري القديم في مجتمع زراعي مستقر تجمعت فيه منذ البداية خصائص طبيعية معينة جعلت منه وحدة مادية وفكرية ذات طابع خاص، ومن أهم تلك الخصائص ظاهرة الدورية أو بالأحرى ذلك الانتظام المتكرر في الظواهر البيئية والكونية مما دفع الإنسان الكائن في ذلك المجتمع الى تأكيد استمرار وانتظام تلك الظواهر، وبالتالي الاعتقاد بوجود قوى إلهيه من ورائها وقد تأكد ذلك أيضا؛ لأن الاقتصاد الرئيسي في المجتمع المصري القديم هو الاقتصاد الزراعي الذي يعتمد أولا وأخيرا على تلك الظواهر البيئية والكونية [٣].

---

١ - عوف، احمد محمد، عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، ص ١١٩

٢ - نحاس، يوسف، الفلاح، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص٢٢

٣- مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، (ت) ، عزيز مرقس منصور ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧، ص ١٣٩

وإنَّ الحكومة من أيّ نوع كانت لا تخرج عن وصف الاستبداد ما لم تكن تحت المراقبة الشَّديدة والاحتساب الّذي لا تسامح فيه، ومن الأمور المقرَّرة طبيعةً وتاريخاً أنه ما من حكومة عادلة تأمن المسؤولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمّة أو التَّمكُّن من إغفالها إلاّ وتسارع إلى التَّلبُّس بصفة الاستبداد، وبعد أنْ تتمكَّن فيه لا تتركه وفي خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهل العامة، والقوة التي تملكها السلطة هما أكبر مصائب الأمم وأهمّ معائب الإنسانية [1].

وتمثل الاقتصاد المصري في أساسه اقتصادا زراعيا، يعتمد على استغلال ما يحمله الفيضان من خصب ومياه، وكانت الفلاحة هي العمل الرئيسي الذي يشتغل به القسم الأعظم من سكان وادي ودلتا النيل، مما جعل أعمال تنظيم الري وشق الترع والقنوات من أهم واجبات حكومة البلاد، ومن أولى مبررات وجودها، ومن أعظم مصادرها [2].

١ - الجبالي، هشام، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، دار الهدى للنشر والتوزيع،٢٠١٧، ص١٣
٢ ـ الجبالي، هشام، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص٨٥

المبحث الأول

الطبيعة الاستبدادية للفكر الاقتصادي ومظاهره

تُعد الزراعة من أهم المهن التي مارسها الإنسان المصري القديم، وعمل بها قطاع كبير من الشعب وهي المورد الخصب الذي أكسب مصر حضارتها اليانعة، وكانت الأسس الأولى لهذه المهنة قد وضعت منذ عصور ما قبل التاريخ [١].

ويشكل نهاية العصر الحجري الحديث هي بداية التغيرات في الاقتصاد قد جلب معه قدرا من الاستقرار بعدما كان يفتقر إلى الخطة ويعتمد على جمع الغذاء والصيد أخذ التطور يتجه من مرحلة التفكك الاجتماعي والفوضى إلى مرحلة التعاون ومن مرحلة البحث الفردي عن الغذاء إلى مرحلة الاقتصاد التعاوني الجماعي ومن ثم اصبح اقتصادا مشاعاً اي مجتمع مشترك ومصالح مشتركة وتطور الجماعات المنفردة إلى مجتمعات محلية مركزية بدرجات متفاوتة تُحكم بطريقة متجانسة إلى حدٍ ما من حياة بلا مركز وبلا نظم مستقرة ومن أي نوع إلى حياة تدور حول مسكن ومزرعة وحقل ومرعى ومستوطن ومعبد [٢].

وإنّ مصر مدينة للنيل بثروتها وحياتها حقيقة أفرغها أبو التاريخ هيرودوتس، منذ أربعة وعشرين قرناً بقوله (مصر هبة من النيل)، إذا فاض ذلك النهر فأرواها اكتست أرضها سندساً أخضر، وإن غاضَ فأظمأ تحولت بغتة إلى صحراء مجدبة، فكان القحط والجوع للفلاح المسكين الذي يرزح تحت أثقال الديون، وشلت الحركة الاقتصادية في البلاد شللا مفاجئًا والأزمات التي تطرأ على أثر كل فيضان ضعيف والغالب أن الفيضان الضعيف لا يأتي إلا نادرا تزداد خطورتها لأنها تصيب البلاد في مبعث حياتها أي في زراعتها [٣].

---

١ - عطا، زبيدة محمد، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٤،(ب،ص)

٢ - ارونولد هاوزر، الفن والمجتمع عبر التاريخ، ص٢٧

٣ - نحاس، يوسف، الفلاح، ٢٠١٦، ص٢١

يشكل موت الإله اوزريس في مصر القديمة الذي كان يترتب على موته موت الطبيعة وجفاف نهر النيل وبعودته للحياة بعد مساعدة زوجته ايزيس فإن الطبيعة تعود للحياة ويعود الفيضان وإن إعادة اوزريس للحياة يعني اخصاب النبات هذا وإنّ عبر بدوره عن الجانب الاقتصادي فأن موته كان معبرا عن الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فهو تعبير رمزي عن طغيان قوة الشر وتفوقها على حساب قوة الخير، قوة الشر كانت بطبيعة الحال قد انعكست على الحياة الاجتماعية التي صارت تحت هيمنة الشر[١].

العصور القديمة في الحضارة المصرية التي عاكست أيام الفراعنة كانت الشخصية الاعتبارية تحدد للأحرار فقط وليس للعبيد مما يعني أن الشخصية الاعتبارية كانت مرتبطة بالعبودية والقاعدة الأساسية هي ربط الشخصيات الموجودة والمعدومة، ولم يكن للعبيد أي حقوق أو حريات لذلك عدوا أموالاً تعود إليهم جميع المعاملات المشروعة سواء كانت بيعاً أو شراءاً هي لمصلحة أصحابها الأحرار[٢].

وفي أواخر عهد الدولة القديمة يلاحظ ضعف السلطة المركزية وظهور حركات انفصالية في بعض المناطق فعلى ما يبدو أن الكثير من الأشراف ورجال الدين لم يكن مسروراً من سلطة الفرعون الاستبدادية، وسوقه اليد العامة إلى العاصمة، واستنزاف موارد البلاد، واستخدام كل ذلك في مشاريعه الخاصة كبناء المعابد والقصور والأهرامات وغير ذلك أمام الاستياء الناشب اضطر الفراعنة إلى إعفاء بعض المعابد والمدن من الضرائب والواجبات الأخرى تجاه الدولة، ولكن رغم ذلك اخذت تزداد الحركات الانفصالية، وفيما بعد تنقسم مصر إلى عدة دول صغيرة تخوض فيما بينها حروباً أهلية [٣].

لذلك اهتمت الدولة اهتماما بالغا بالنيل وصل الى حد التقديس، وقد حظيت الزراعة برعاية واهتمام ملوك مصر كما كانت تخضع لتوجيه وأشراف الدولة فكان

١ ـ الدلفي، نجم عبيد مرعيد ، الرمز في ادبي العراق ومصر، ص٢٨٨
٢ ـ أبو العنين ، سمير عبد المنعم عبد الخالق ،مفهوم الشخصية القانونية في نظم قوانين العصور القديمة، بدون ناشر، ١٩٩٣، ص ٨
٣ ـ فرح ،نعيم ، موجز التاريخ الشرق ... ص٦٧

بين موظفيها المشرفون على صوامع الغلال ومحاصيل الأقاليم، وقد حرص ملوك مصر في عصر المملكة الحديثة على تنمية الزراعة وتنويع الحاصلات الزراعية عن طريق جلب النباتات التي لم تكن معروفة في مصر[١]. إنّ موسم الفيضان وارتفاع منسوب المياه كان موسما تضع فيه الأيدي العاملة نفسها تحت تصرف الملك وفاءاً له بحق ما يتمتع به عليهم من سلطة، كان الفلاحون يشكلون غالبية الأيدي العاملة في ذلك الوقت، وفي ظروف العمل الموسمي هذه كان يحلو للملك أن يبرز قساوة حكمه في مصر[٢].

بالإضافة لدور الكهنة الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ولأن الآلهة هي الكفيلة بنجاح الأعمال الهامة كافة من تجارية وعسكرية، قدمت لها العطايا، والقرابين والخدم ونتج عن ذلك زيادة ثروات المعابد الكبرى من ثم زيادة سلطة كهنتها، ما سمح لهم بالتدخل في الشؤون الاقتصادية والسياسية للسلطة الملكية. وقد حدثنا هيرودوت عن الامتيازات التي كان يتمتع بها الكهنة، قائلاً:

" لكن كانت المراسم والطقوس تستغرق حياتهم، إلا أنهم (الكهنة) تمتعوا بمزايا ليست بالقليلة، ذلك أنهم ما كانوا بحاجة لمس ممتلكاتهم، ولا يضطرون لدفع ثمن ما يحتاجون إليه، فكل شيء لهم بالمجان من ذلك أن خبزهم المصنوع من الذرة المقدسة يأتيهم كل صباح ومعه كثير من لحم البقر، والماعز، لينال كل واحد منهم حصته الوفيرة. بالإضافة إلى مقدار من النبيذ المصنوع من عصير العنب"[٣].

و عن طريق الوثائق الرسمية فإن الفرعون يلقب بالإله البار، أو ابن (رع) أي ابن إله الشمس ولايحق لأحد من عامة الشعب التقرب للفرعون ووجب عليه أنّ يقبل الأرض أمام قدميه، أما تقبيل قدمي الفرعون فلا يحق إلا للشخصيات كبيرة معينة وعظمة الفرعون قامت على الموارد الضخمة التي تصرف بها، إذ إنَ جميع الأراضي له اسميا تعود ملكاً شخصياً، ولكن بالواقع كانت له بعض الأملاك

١ - موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، المجلس الاعلى للثقافة، ١٩٩٨ص٢١٧
٢ - حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج٢، ص٣٨.
٣ - جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري منذ بداية عصر الاسرات حتى نهاية عصر المملكة الحديثة (٣١٠٠-١١٠٠ ق. م) ، ص١١٣

الزراعية الخاصة به والتي تصرف عملياً بإنتاجها ووزع منها على أقربائه ومقربيه، كما تصرف الفرعون أيضاً بالثروة المناجم الأحجار والمعادن، وكان استغلال الضرائب العينية التي تجمع من السكان تستخدم أيضاً لسد حاجات القصر والدولة كما كان سكان مصر ملزمين بالعمل في المشاريع الاخرى، كبناء السدود، وشق قنوان الري، وبعض المشاريع التي تخص الإمبراطور وحده، كبناء القصور الملكية والاهرام [١].

من أهم الوسائل التي ثبَّت بها فرعون حكمه ونظامه السيطرة الاقتصادية في تاريخ مصر، وهو سر تكالب الناس قديما على أماكن العشب والماء، وهو سبب التكالب حديثا على مصادر الثروة، لما في تلك المصادر والثروات من حيوية في حياة الناس وعيشهم ، حتى صح القول : من يملك يحكم، لأن من بيده المال والثروة يستطيع التحكّم في حياة النّاس، وبالتّالي حكمهم والسيطرة عليهم، ولم تغب هذه الوسيلة القديمة الجديدة عن وسائل فرعون التي بها وعليها بنى نظامه وأسسه وأصَّله، فالمالك للمال بنوعيه المنقول وغير المنقول هو فرعون، فهو يملك الأنهار والأشجار والأرض والأحجار كما يملك الذهب والفضة والخيل والبقر والبشر فهو بزعمه الإله، وعليه فهو المالك لكل شيء، ومن يدعي غير ذلك أو يشك فيه فقد صلاحياته[٢].

وإنّ الفراعنة المصريين الأوائل الذين نسبتهم نصوصهم إلى الآلهة وصورت لهم سلطة واسعة، لم تخل أيامهم مما يحدث عادة في مختلف الشعوب ومختلف العصور من تنازع أسرى وشقاق داخلي وحرب أهلية حقيقية في الأسرة الأولى والثانية بين الشمال والجنوب وأكدتها نقوش لوحات وأوانٍ وتماثيل مصرية ترجع لنفس ال مدّة بسبب دوافع اقتصادية وأدى الاستقرار بعد انتهاء الحرب الأهلية وعودة الاتحاد بين الشمال والجنوب إلى الازدهار التجاري بين مصر والبلاد الأجنبية وخاصة الآسيوية منها، إذ وردت إشارة في (حجر بالرمو) تفيد بأن الملك (خع سخموى) أرسل

١ ـ فرح، نعيم ، موجز تاريخ الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي ،الاقتصادي)، ص٦٦
٢ ـ قاسم خضر، قاسم توفيق، شخصية فرعون في القران، ص١٤٣

أسطولا إلى فينيقيا يلحظ أنه في الحرب أن العاصمة كانت في الجنوب أو في ثنى، قد يعنى ذلك أنه عندما تكون العاصمة الإدارية في أقصى الجنوب يكون هناك بعد نسبي في اتخاذ القرارات الإدارية، مما يجعل أهل الشمال أو الدلتا يثورون على الملك ويعتقدون أنَهم بمنأى عنه فيحاولون الاستقلال أو الانفصال عن المملكة الموحدة وأن يتخلصوا من التزامات وأعباء الوحدة مع وجود العاصمة في أقصى الجنوب كان السبب الرئيسي لأن تحدث الخلافات السياسية بين الشمال والجنوب[١].

ويمكن إيجاز الأسباب الاقتصادية الأخرى التي أدت إلى قيام هذه الثورات عن طريق التراكمات المتعددة إلى انحدار الاقتصاد القومي بالتدريج حتى وصل إلى ذروة الانحطاط عند نهاية الأسرة السادسة (2181 ق.م)، وتعددت هذه الأسباب ومنها تشييد مباني الاهرامات التي تهدد اقتصاد مصر القديمة؛ إذ شُيِّدَ أهرام لكل ملك جديد، ولقد كان بناء الأهرامات وغيرها من المباني الدينية، نتيجة سطوة الدين على المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم [٢].

وهناك بردية تصف لنا كذلك الأحداث المريرة التي مرت بها مصر في هذه المرحلة نتيجة انعدام السلطة المركزية التي عرفت باسم بردية (نفر ـ رهو) [٣]، وقد سجلت هذه البردية في أوائل عصر الأسرة الثانية عشرة بعد انتهاء هذه الأحداث، ولكن كاتبها نسبها إلى مدّة بعيدة ترجع إلى أيام الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة ومما جاء فيها:

"سأريك البلاد وقد أصبحت رأساً على عقب،

وسيسعى الناس للحصول على الخبز وسيصنع الناس بإراقة الدماء . .

لقد انتهى كل شيء جميل، وصار الناس يفعلون ما لم يفعلوه من قبل، إنهم يأخذون أملاك الرجل ويعطونها للغريب أصبح للكلام في قلوب الناس وقع مثل وقع النار،

١ ـ الطلى، خالد محمد، الحرب الاهلية خلال عصر الاسرة الاولى والثانية مظاهرها ودوافعها السياسية والاقتصادية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (١١)، ص ٧٠

٢ ـ مهران، محمد بيومى، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ج ١مصر. دار المعرفة الجامعية (٢٠١٥). ص ٩٤٦-٤٩٩

٣ ـ توجد هذه البردية في متحف لينجراد في الاتحاد السوفيتي تحت رقم ١١١٦ ت، وأول من قام بنشرها العالم الأثري الروس جولينيشف (Golenischeff) عام ١٩١٣ وتلاه في ذلك العديد من العلماء ومنهم سيرالن جاردز وأدولف إرمان

ولم يعد أحد يصبر على سماع النصيحة لقد قلت مساحة الأراضي ولكن عدد ملاكها تضاعف، ومن كان يمتلك الكثير أصبح لا يملك شيئاً"[1].

لم يستكن المصريون للسطلة مع ازدياد الاستبداد والتسلط بعدم دفع أجور العمال بل على العكس كانوا حريصين على أخذ حقوقهم وبدأوا يثورون ضد الظلم ويقفون في وجه الطغيان ومنها الثورات والاضراب الذي شنه العمال نتيجة عدم صرف مستحقاتهم المالية، إذ جرت هذا الاحداث في عام (1170 ق. م) عندما جاء فصل الخريف وانحسرت مياه الفيضان وبدأت تظهر بوادر الزراعة في الحقول كان عمال الجبانة في غرب طيبة جائعين إذ لم تصل لهم الغلال، ولم تدفع لهم الأجور ودفع بهم الجوع إلى الاحتجاج، وفي هذا اليوم اخترق العمال في الجبانة الاسوار الخمسة مرددين نحن جياع وجلسوا خلف معبد تحوتمس الثالث على الارض المزروعة وقد جاء اليهم الرؤساء الثلاث ومعهم مساعديهم أن يعودوا لأنهم يحملون امر الملك لكن العمال لم يعودوا واستمروا وفي اليوم الثاني هجموا على معبد رمسيس الثاني وعندما هرع الحراس والموظفون ،وكان المصريون مصممين على اخذ حصتهم من الراتب ،وقالوا لقد جئنا الى هذا المكان المقدس بسبب الجوع والعطش والفقر فنحن بدون ثياب وبدون أكل اكتبوا إلى فرعون وإلى الوزير الذي يشرف علينا .وفتحوا لهم الخزانة الملكية وصرفوا لهم مخصصات الشهر السابق[2].

وفيما يتصل بطبقة العامة فقد تضمنت التجار والصناع والعمال والفنانين والفلاحين ويلاحظ أن التجار هم أصحاب التجارة الداخلية، والتي كانت محدودة لدرجة كبيرة، ومن ثم فإن النصوص لا تتحدث عن التجار، مما يدل على أنّ التجارة الداخلية أبان تلك ال مدّة لم تلعب دوراً هاماً ومن ثم فإن التجار لم يقوموا بدور هام في الثورة أو في دوافعها، وفي المقابل قلة عدد التجار وضآلة دورهم وأهميتهم فقد كان الصناع والفنانون أكثر عدداً وأشد خطراً من التجار، وذلك يرجع إلى حرفتهم نفسها وأهميتها بالنسبة إلى الحضارة المصرية القديمة، فليس هناك دليل على أنّ

١ ـ سليم، احمد امين، تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر وسورية، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، ١٩٨٩، ص٨٥-٩٣

٢٩- زناتي، محمود سلام، حقوق الانسان في مصر، ص ٣٣١-٣٣٢

الصناع والفنانين كانوَا يحَيونَ في بحبوحة من العيش إنّ لم يكونوا فقراء كبقية الطبقة العاملة، وقد أطلق عليهم البعض تسمية (الطبقة الوسطى)، وهي الطبقة التي تقوم على أكتافها في معظم الأحوال مهمة إيقاظ الشعوب من غفوتها والقيام بالثورات[١].

على ما يبدو ورث الفلاح الشقاء عن أجداده ولم يكن بمقدوره التحكم بمستقبله كما يتمنى، أو أن يخرج عن سلطة الدولة، وعلى الرغم من أن مصر القديمة لم تستند في العمل الاجتماعي الاقتصادي على نظام الرق إلا أنها عرفت نظاماً آخر مهيناً للكرامة الإنسانية وهو نظام التبعية، وفي هذا النظام لا يكون الفرد رقاً بمعنى الكلمة، ولا حراً بمعنى الكلمة، إنما هو بين بين، أو نصف حر كما يقول رجال القانون، فالفلاح في ظل نظام التبعية الذي عرفته مصر في العصور القديمة، وبخاصة العصر الانتقالي الأول لم يكن يعمل بمقتضى عقد، و لم يكن يتقاضى أجراً من سيده، وإنما يأخذ ما يقيم أوده عيناً، ولم تكن هناك جهة يستطيع الفلاح أن يلجأ إليها للحصول على حقه من سيده فالوجهاء هم الذين يتولون القضاء، وكان الفلاحون يخضعون لرحمتهم المطلقة، ولا يستطيعون لأذيتهم دفعاً رادعاً ...لقد جعل استقلال حكام الأقاليم من تبعية الفلاحين تبعية مزدوجة للملك ولحكام الأقاليم[٢].

وقد تجزأت البلاد في نهاية الاسرة السادسة إلى عدد من الإمارات شبه المستقلة ولكنها وراثية ولم تعد تستعمل طريقة التدوين بالنسبة الى سنين حكم الملك بل بالنسبة لسني حكمهم، وصار هؤلاء الأمراء اغلبهم ملوكا صغار في مقاطعاتهم الصغيرة لهم جيشهم وجنودهم المرتزقة وكذلك كانوا يحتلون منصب الكاهن الأعلى في لائحة دويلاتهم ويشرفون على إدارة هذه الآلهة وكانوا يستحوذون على ثروات طائلة وكثيراً ما تكون أراضي المقاطعة وما فيها من حيوانات ملكاً لهم وسكانها يشتغلون لهم عبيداً فقد ذكرت إحدى الوثائق العائدة إلى أمير مقاطعة سيوط (أسيوط) وكان اسمه (زفاي حابي) أنه كان يجمع الأموال الضخمة من مقاطعته وإنه عاش في زمن كان سكان المقاطعة يدفعون له الضرائب الكثيرة على انفسهم (ضريبة الرأس)

١ـ سليم ،احمد امين، دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر والعراق، دار النهضة العربية، ٢٠٠٢، لبنان، ص٨٩

٢ ـ جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري، ص١٣٩

وحيواناتهم باعتبار أنّ المقاطعة وما فيها ملك لهذا الامير فله مثلا أن يطلب من كل فلاح ثوراً يذبح ضحية المقابر على أرواح الموتى وأن تقدم له نسبة معينة من جميع الأغنام والأبقار والحيوانات الأخرى بصفته الكاهن الأعلى للمعبد، ولهذا الأمير أو الملك الصغير ممتلكات خاصة به فضلا عما يأخذه الناس كفريضة يجب أداؤها اليه وإلى ما يرده من أملاك المعبد بصفته الكاهن الأعلى لإله المقاطعة وتعرف هذه الممتلكات الخاصة باسم أموال آبين أي أموال إله الملك[١].

ومما سبق ندرك قوة وسيطرة فرعون من الناحية الاقتصادية، هذه السيطرة التي كانت وسيلة من وسائله في تثبيت نظامه وإظهار شخصيته، فتعددت وجوه استعماله للمال، ولكنّها في نهاية المطاف تصب في إبقاء النظام، وتشد عرش الظلم المتربع فوقه الفرعون، وفي ذلك شواهد وأدلة على قوة الوضع الاقتصادي الذي يتمتع به نظام فرعون فعندهم بنايات ومزارع وأبنية وقصور بل وربما الإشارة إلى تقدمهم في المجال الزراعي الذي هو جزء من القوة الاقتصادية، ويشكل المال بين يدي الطاغوت وسيلة من وسائل التثبيت لمنهجه ونظامه [٢].

وعن طريق تسلط موظفي السلطة الملكية لأقصى حد ممكن جعل الفلاح يعيش حياة قاسية نتيجة ظلم أصحاب السلطة الذي يتجاوز حدود المعقول كان الفلاح يترك الأرض ويرحل أو يعلن العصيان لفقدانه كل مصلحة في عمله كما كانت تحل بالفلاحين مصائب وكوارث بين ال مدّة والأخرى، سببها انخفاض منسوب مياه الفيضان ما ينعكس سلباً على إنتاجهم الزراعي، إذ إنّ الظروف القاسية لم تكن قاعدة عامة لقد عمل الفلاحون في أراضي الملك والمعابد وأراضي الوجهاء مقابل حصة من الإنتاج وكانوا ينظمون ضمن زمر تتألف الزمرة من أفراد عائلة واحدة، أو عائلات متعددة وكان لكل زمرة رئيس صورته لوحات جدران المقابر ونقوشها وهو مسلح بالسوط والدبوس، وبحسب النصوص التعليمية إن المحصول لم يكن كله للفلاح بل كان يخضع للجرد، وإذا تبيين أن الفلاح قد فشل في تسليم ما ينبغي عليه

١ ـ عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر، ص ٢٩٩
٢ ـ خضر، قاسم توفيق ، شخصية فرعون .....، ص١٤٦

تسليمه فإنه يعاقب أشد العقاب، فينهال عليه موظفو الدولة ضرباً بالسياط والعصي[١].

والتناقض بين كبار الملاك العقاريين والفلاحين المشاعين، نظراً لأن العمل العبودي الذي كان أقل كلفة قد امتد مع نمو النظام الرّقي إلى أغلب فروع النشاط الاقتصادي، وانتهى بأن أصبح القاعدة الأساسية للإنتاج فقد أصبح التناقض بين السادة والعبيد هو التناقض الجوهري في المجتمع الرقي، وتاريخ مصر القديمة حافل بالصراعات الطبقية، ومع استمرار العبودية حقد المستثمرون على مستثمريهم وجلاديهم الذين انعزلوا عن شعبهم مما سهل للأجانب تعاظم احتلال مصر، وهذا وان رسم صورة واقعية دقيقة واضحة ومتكاملة للمجتمع المصري ليس مهمة سهلة، بسبب قلة الوثائق ونقصانها، ومع ذلك فإن ما تناهى إلينا من معلومات هامة يكفي لرسم خطوط عامة عن التركيب الطبقي وطبيعة العلاقات الاجتماعية بين طبقات المجتمع العبودي المصري[٢].

إنّ الأرض كلها كانت في عهد المملكة الحديثة باستثناء المعابد ملكا للملك من الناحية النظرية وهي تؤجر الى ملاك مختلفين أو تستبقى لاستغلالها وكان الفلاحون يدينون بالولاء لهذا الموظف الذي يوضع على رأسهم، وكانوا مسؤولين عن زراعة الأرض التي كان يسمح لهم بحصة من انتاجها ليعيشوا عليه وكان هذا هو أجرهم رغم ان هذه الحصة لاتكفيهم [٣].

١ ـ جري ،كاتيا صباح ، تطورات بنية المجتمع... ،ص١٣٨

٢ ـ دلو، برهان الدين، (حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي ،ص١٠٣

- في أواخر عهد الدولة القديمة يلاحظ ضعف السلطة المركزية وظهور حركات انفصالية في بعض المناطق. فعلى ما يبدو أن الكثير من الأشراف ورجال الدين لم يكن مسروراً من سلطة الفرعون الاستبدادية، وسوقه اليد العامة إلى العاصمة، واستنزاف موارد البلاد، واستخدام كل ذلك في مشاريعه الخاصة كبناء المعابد والقصور والأهرامات وغير ذلك. أمام الاستياء الناشب اضطر الفراعنة إلى اعفاء بعض المعابد والمدن من الضرائب والواجبات الأخرى تجاه الدولة. ولكن رغم ذلك تزداد الحركات الانفصالية، وفيما بعد تنقسم مصر إلى عدة دول صغيرة تخوض فيما بينها حروباً أهلية. بنظر كتاب فرح، نعيم، موجز التاريخ الشرق ص٦٧

٣- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات حضارة وادي النيل، ط ٢، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة ١٩٥٦)، ج ٢، ص ١٧٦

ويوجد ما يشير إلى ذلك عن طريق النقوش، فقد قام توحتمس الثالث في سنوات حكمه ما بين (1490 - 1436 ق.م) بعد عودته من حملته الثالثة في نقش على أحد جدران قاعة خلفية بالكرنك جاء فيه

" العام الخامس والعشرين تحت حكم مصر العليا والسفلى من خبر رع الذي يعيش إلى الأبد نباتات وجدها جلالته في أرض رنتو العليا لتخضع البلاد جميعا تنفيذا لرغبة أبيه آمون الذي وضعهم تحت نعله إلى الأبد" [١].

يبدو أن نمط الإنتاج الاقتصادي الذي كان سائداً في النظام الفرعوني في مصر، كان نمطاً أصيلاً ومتميزاً لا يمكن الخلط بينه وبين النظام الإقطاعي أو العبودي، إذ كان يتميز نمط الإنتاج هذا بوجود دولة مركزية قوية تملك وسائل الإنتاج الرئيسة، وبخاصة الأرض، كما تقوم الدولة بمهمات اقتصادية عليا، وتستغل الفلاحين المنضمين إلى مشتركات قروية[٢] إنّ نمط الإنتاج الذي كان سائداً أيام الفراعنة في مصر مشابه لنمط الإنتاج الآسيوي إذ يجتمع في النمط الآسيوي أمران معاً: جهاز دولة يعبر عن وجود طبقة مستغلة من جهة، ومشتركات فلاحية تعكس المستوى المنخفض للقوى الإنتاجية من جهة أخرى، وهو نمط أصيل، لأنه متقدم ومتخلف في آن واحد: فالقرى تنتفع بالأرض بصورة مشتركة مما يضع هذا النمط في نهاية المرحلة الخاصة بالمجتمع اللاطبقي، وتوجد أقلية تمارس سلطة الدولة المركزية وتظهر كهيئة مشتركة عليا، مما يضع هذا النمط في المرحلة الخاصة بالمجتمع الطبقي [٣].

وخير مثال على ذلك النمط مبدا الإنتاج في المجتمع الفرعوني، إذ كان يحتوي على المشاعية وعلى بذور العبودية، بل والإقطاع والعمل المأجور ومع أن الأرض كانت ملكاً لفرعون كرأس للدولة من الناحية النظرية، إلا أن حق الانتفاع بها كان مقرراً لأفراد عديدين، وكان هذا الحق يورث أو يؤجر أو يباع، ويعد مستوى تطور القوى

١ - أديب، سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، (٢٠٠٠)، ص ٤٢
٢ - يقصد (المشترك) أو الكومونه Commune عبارة عن وحدة إنتاجية في المجتمعات القديمة إذ يملك أهل القرية مثلاً الأرض التي تحيط بهذه القرية جزئياً أو كلياً، مقال منشور (الحوار المتمدن)
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26350
٣ - سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، ص١١

المنتجة في النظام الفرعوني أكثر تقدماً مما كان عليه في ظل المشاعية البدائية إذ كان يتميز بالسمات التالية:

١- ظهور تقسيم العمل الاجتماعي بين الزراعة وتربية الحيوان.

٢- استقرار الزراعة في حقول ثابتة، وأصبحت الزراعة تتميز بالعمليات المتتالية لدورات حرث وتحضير للأرض وغرس البذور والري في أوقات معينة.

٣- تنظيم أعلى للموارد المالية والبشرية، أي بتقسيم اجتماعي بين التنفيذ العملي والإشراف على يد الطبقة الحاكمة مما ضمن إنتاج أعلى ووفرة نسبية للمنتجات، فالدولة تنظم الإنتاج وتشرف على المحاصيل، وتدير المخزون الغذائي، وتستخرج المواد الأولية من المحاجر والمناجم، وتشرف على التجارة الخارجية، وتقيم القصور والمعابد والعواصم السكنية [١].

٤ - اعتماد الدولة المركزية على جيش من الموظفين تعد مهامهم الاقتصادية سبباً في وجودهم ومحور نشاطهم.

٥-المنتجون في هذا النظام هم الفلاحون الذين يُعاد توزيع الأرض عليهم بشكل دوري وزعيم القرية هو الصلة بينها وبين الدولة، إذ يقوم بجمع الضرائب العينية المفروضة على كل قرية.

٦- يكاد لا يوجد تقسيم مهني للعمل بين هؤلاء الفلاحين الذين يقومون بأعمال السخرة لأيام قليلة من وقت لآخر من أجل إقامة السدود وحفر الترع، وكانت علاقات الإنتاج في المجتمع الفرعوني تمثل صورة صادقة للعبودية المعممة، إذ كانت قوة العمل للفرد العادي تحت تصرف الملك فرعون، والدولة تسيطر على أملاك البلاد بشكل كامل كما أن الرعية كانت ملكاً للدولة، وبذلك تكون جميع الموارد الطبيعية والبشرية تحت تصرف الملك كاملة [٢].

---

١ ـ الكفري، مصطفى العبد الله (استاذ الاقتصاد السياسي بكلية الاقتصاد - جامعة دمشق) ، الأفكار الاقتصادية والنشاط الاقتصادي لدى الفراعنة، الحوار المتمدن-العدد: ١٠١٣ - ٢٠٠٤ / ١١ / ١٠، المحور: الادارة والاقتصاد.

٢ - فخري، أحمد، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مكتبة الاسرة،٢٠١٢، ص٢٣٢

وظهر تقسيم العمل الاجتماعي الثاني في المجتمع الفرعوني عندما انفصلت الحرفة (حرفة التجارة والبناء والفخار... إلخ) عن الرعي وتربية الحيوان من جهة، ثم عن الزراعة من جهة أخرى. وبقي تقسيم العمل المهني داخل المشترك الفلاحي القروي يخدم اقتصاد الاكتفاء الذاتي يرتبط بإنتاج البضائع والسلع، وكان يتحول جزء من فائض الإنتاج إلى بضاعة بعد أن تكون الدولة قد تسلمته، ويجري تبادله مع بضائع محلية أو مستوردة لذلك أخذ الاقتصاد الطبيعي في المجتمع الفرعوني يتحول تدريجياً وبصورة بطيئة إلى اقتصاد تبادلي[١].

وقد أثبت الفراعنة عملياً أكثر من مرة هذه الحقوق للملك استبدادهم (استبداد السلطة)، إذ استولى أخناتون مثلاً على ممتلكات معابد آمون كلها وسلمها لخزينة الدولة، وكذلك تعرض كبار الموظفين وأفراد الأرستقراطية المرة بعد المرة للمصادرات التامة، وبخاصة عندما كانت أسرة جديدة تستولي على الحكم، ويذكر هيرودوت أن رمسيس الثاني وزع الأرض على جميع المصريين بالتساوي في القرن الثالث عشر ق. م [٢].

وأنّ ملكية الدولة تنفرد بها الدولة والرعايا هم أيضًا ملك الدولة، ولهم أن يفعلوا بحياتهم وأرواحهم ما يريدون، وبالتالي فإن الدولة تمتلك الأرض وما على الأرض، وما في داخل الأرض. تسيطر الدولة على وسائل الإنتاج الأساسية (الأرض والعمل والموارد الطبيعية المختلفة)، إذا حصل أحد أفراد الطبقة الحاكمة على قطعة أرض منحها الملك، فإنه يحق له الانتفاع بالأرض وينتقل الحق القانوني المطلق في التصرف في موارد البلاد إلى أي حاكم جديد بمجرد وصول فرعون إلى السلطة، بغض النظر عما إذا كان لديه دم ملكي أم لا، لم يكن الأمر كذلك، وهذا يعني أن الحق ينشأ من الدولة ككيان كامل قائم وليس من وراثة عائلة معينة، أي أنه ليس بصفته الشخصية للملك بل بصفته رئيساً للدولة، وقد انتقلت الهوية إلى الملك [٣].

١ ـ سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي الاقتصادي، ص٤٢
٢ ـ أدولف أرمان وهيرمان رانكه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ص١٥٣.
٣ ـ سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي ....، ص٤١

استغلال الثروة المعدنية في صحراء سيناء في عصر ما قبل الأسرات المصدر الذي حصل منه المصريون القدماء على النحاس والبرونز، كما كانت الجسر الذي شهد عبور الحضارات جيئة وذهاباً بين وادي النيل جنوب آسيا وقد تضاعف اهتمام الفراعنة بسيناء ومناجمها بعد نجاح صناعتهم لمادة البرونز بإضافة القصدير إلى النحاس المستخرج من سيناء بعد صهره[١].

وسيطر المصريون على البحرين الأبيض والأحمر إذ قاموا بالعديد من الرحلات عبرهما الى الساحل السوري أو إلى بلاد بونت وذلك طول العصور المصرية، وسجل ذلك العديد من المناظر والنصوص سواء التاريخية مثل نصوص الافراد المختلفة أو الأدبية مثل قصة نجاة الملاح وقصة ون آمون أو الدينية مثل أسطورة أوزير ورسو تابوته على شاطئ جبيل، وكان لهذين البحرين أهمية كبيرة في اتصال مصر بجيرانها سواء كاتصالات سياسية أو عسكرية أو تجارية[٢].

على ما يبدو كان صناع النماذج الحجرية الجنائزية، والرسامون في العصر الانتقالي الأول وعصر المملكة الوسطى، يفضلون تصوير مشاهد حصر الماشية، وتحصيل الضرائب، وكأنهم يستمتعون بتجسيد الضرب المبرح الذي كان يتلقاه الفلاحون من قبل جبأة الضرائب، وذلك عند تحديد قيمة الضريبة السنوية التي تتغير حسب مقدار المحاصيل بالإضافة إلى نصوص الكتبة التي وجهت نقداً لاذعاً لحياة الفلاح البائسة، لكن يمكن القول إنّ نماذج المراسلات التي يتدرب عليها الشبان الكتبة، لا تعكس الحقيقة الكاملة لأوضاع الفلاح [٣].

١ ـ احمد ، سيد عاشور ، سيناء التنمية والبيئة ،٢٠١٤، (ب، ص)

٢ ـ محمد، مصطفى عطا الله، أسماء المراكب واستخداماتها عن طريق النصوص والمناظر المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧، ص ٤١٨

٣ ـ فالبيل، دومنيك، الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة، ط ٢ ، (القاهرة: الفكر للتوزيع والنشر، (٢٠٠١)، ص ٧١

في مصر القديمة عاش بعض الناس حياة مترفة مليئة بالثروة بينما عاش آخرون حياة صعبة وكافحوا من أجل إيجاد طرق لتغطية نفقاتهم، وسرعان ما أدى فقدان الإدارة والعدالة في نهاية عصر الدولة القديمة إلى أول ثورة اجتماعية في التاريخ[١]

إنّ عهد حكم الأسرتين الثالثة عشرة (1787ق.م) ،والرابعة عشرة ما بين (1710 ق.م) من العهود المظلمة في مصر فقد نشبت المنازعات الداخلية بين أمراء الأقاليم من جهة وبينهم وبين السلطة المركزية من جهة أخرى، وكما كثرت المؤامرات والدسائس والحروب الأهلية فاضطرب النظام واختل الأمن توقفت مشاريع الري فتدهورت الزراعة وضعف الإنتاج وعم الفقر كما راح يتقلب على العرش ملك تلو الآخر حتى لا نكاد نعلم عنهم إلا أسماءهم وقد نشبت ثورة شعبية هزت البلاد، يتحدث عنها نص أدبي تحت نصائح إيبو صير[٢]،إن العبيد والفقراء قد ثأروا يتحدث الأمير إيبو صير قائلا وراحوا يقتلون أولاد الأغنياء أو يفجرون رؤوسهم بالحجارة، ويتابع قائلاً إن الذين لم يملكوا في السابق الثيران للفلاحة، أو بيوتاً أو قارباً للنقل أصبحوا الآن يملكون قطيعاً وقصوراً ومن كان يملك هذه الممتلكات في السابق أخذ الآن: ينظر لها فقط من بعيد، ومن كان يرتدي الثياب الفاخرة أصبح يتجول بثياب رثة، والفتاة التي كانت سابقاً تنظر في الماء كي ترى شكلها قد أصبح يزينها الذهب والفضة واللازورد والعقيق يزين رقاب النساء من العبيد، بينما النساء الأميرات يتضورن جوعاً كذلك نهبت صالة المحكمة ووثائقها، وتبعثر الجهاز الإداري، ومُزقت قوائم الضرائب، وقُتل الموظفون وخُطفت أوراقهم[٣].

وقد تعددت أنواع الملكيات في مصر عبر العصور الطويلة فظهرت الملكية الفردية والملكية الأسرية المشتركة والملكية المطلقة وملكية المنفعة، ومنها أُجري عليه كل أنواع التصرف القانونية ومنها ما هو موقوف على معابد الآلهة والمعابد الملحقة بأهرام الملوك ومعابد الكهنة القائمين على خدمتها، الا أنه كان هناك فرق

١ ـ الجبالي هشام، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص٧٥.

٢ - * وإيبو صير هو أمير مصري يظهر في كلامه التحيز ضد الجماهير الشعبية النص مكتوب على ملف من ورق البردي، ومحفوظ حالياً في هولندا، ويعود إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة من الدولة الحديثة، ولكنه منقول عن أصل سابق مفقود ينظر كتاب موجز تاريخ الشرق الادنى القديم للمؤلف نعيم فرح.

٣ ـ فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الادنى....، ص ٧٥

واضح بين أملاك الشعب بل بين املاك الدولة والفرعون على الرغم من إصرار النصوص على رد ملكية الأرض ومن عليها إلى الفرعون وريث الآلهة وصاحب الحق المقدس[١].

وقد احتكر ملوك المملكة الحديثة بعض الأنشطة الاقتصادية حتى أن الدولة كانت تحدد المساحة التي يتعين على الفلاح زراعتها ببعض المحاصيل، كما كانت تنظم حق المزارعين من الانتفاع ببعض الأراضي الزراعية[٢].

١ ـ محمد عطا، زبيدة، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية ، ص ١٩-٢١
٢ ـ موسى، أحمد رشاد دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي ، ص ٢٠٩

المبـــحث الثـــانـــي

اشكال الاستبداد الاقتصادي ومظاهره

كان المجتمع في مصر القديمة ونتيجة الأفكار الاقتصادية لدى الفراعنة ينقسم إلى طبقتين رئيسيتين:

١ - الطبقة الحاكمة: وهم النبلاء والموظفون وقادة الجنود وكبار الكهنة.

٢ - مواجهة الطبقة الحاكمة تكون بقية أفراد الرعية الذين يخضعون للدولة تماماً أي عبيدٌ لها، لا لشخص معين وهم عبيد فرعون لأنه رمز هذه الدولة. ويطلق عليهم أحياناً (العبيد العموميون) وكانت الدولة الفرعونية في العهود القديمة تمثل سلطة مركزية في مصر، ذات شمول اقتصادي وسياسي وفكري ديني على كل الطبقة المحكومة، ويتمتع الملك والطبقة الحاكمة بهذه السلطة عن طريق انتمائهم لجهاز الدولة تعفى الطبقة الحاكمة والحواشي من الأعمال البدنية أو ممارسة النشاط الاقتصادي والمتابعة التي يقوم بها غيرهم نيابة عنهم، ويمارسون الأعمال الفكرية لتفوقهم على الشعب بفضل علمهم وثقافتهم، ولكنهم يخضعون للمركزية الإدارية ذات النظام الهرمي، ويكونون هيئة مغلقة متماسكة وصلبة، ويربطهم معاً بالتسلسل القهر نفسه الذي ينقلونه الى المحكومين، ومن الناحية الأخرى يرتبط الفلاحون بالمشتركات القروية ارتباطاً لا يقيدهم ببعض فقط، بل يقيدهم أساساً بالطبقة الحاكمة التي تستغلها ككتلة، وتسخر عشرات الآلاف من أفرادها في مختلف الأعمال، غير مميزة بوضوح بين الإشراف العسكري أو المالي أو الديني[١].

ومرة أخرى يعود الصراع الملك أمنفيس الرابع أخناتون والإله آمون شكل في الواقع صراعاً بين الملك وكهنة ذلك الإله، بهدف انتزاع ليس فقط السلطة الدينية منهم، ولكن أيضاً السيطرة على النفوذ الاقتصادي للاستيلاء على ثروات ضخمة، واستغل هؤلاء الكهنة ثروات الشعب وثروات البلاد وجمعوها باسم الإله آمون في الواقع كان كهنة آمون وحدهم يملكون ثروة وأرضاً تعادل ما يمتلكه أي معبد آخر في البلاد تم تسجيل ذلك في لفافة من البردي من عهد رمسيس الثالث تسمى "لفافة

١ ـ سعد، أحمد صادق ، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط ا....، ص٤٥

هريس"، وهي عبارة عن إحصاء للممتلكات العقارات المملوكة للمعابد ثلث أراضي وادي النيل الخصبة كانت ملكًا للآلهة المصرية كل مصري امتلك معبداً وقضى حياته في خدمة معبد محافظة، تنص هذه الوثيقة التاريخية على أن رمسيس الثالث قام بتوزيع أربعة أخماس هداياه ومنحه الخيرية على الإله آمون في معبد طيبة، وكان هذا كافيا لإثبات أن الإله آمون كان يتمتع بثروة كبيرة، تشكل في أيدي الكهنة قوة خطيرة، يمكنها حماية الملك في أي وقت وإبعاده عن العرش[١].

نشرت بردية هاريس[٢] في عهد رعمسيس الرابع (1151- 1145ق.م) وضحت مذكرة بكل أشكال الهبات التي منحها الملك للمعابد الثلاثة الكبيرة آمون رع في طيبة، أتوم رع في عين شمس وبتاح في منف وهي منشآت وأثاث مقدس ومنتجات فخمة وأراضي وموظفون ومراكب وهذا يدل على اتساع القوة الاقتصادية لعالم المعابد التي خصصها لهم رعمسيس الثالث في عهد حكمة ما بين (1195-1164 ق.م) على مدى واحد وثلاثين عاماً من سنوات حكمه حتى بلغت(15) الأرض المزروعة(107615)، شخصاً و(490386) رأس ماشية و(88) مركب...إلخ[٣].

ويغلب على المجتمع الفرعوني طابع ضمن تنوع الاقتصاد الطبيعي الذي يعتمد على الاكتفاء الذاتي، ولكن هذا لا يعني أنّ التجارة كانت معدومة فقد كانت مصر سوقاً عالمياً في العهود القديمة وبخاصة منذ القرن السادس قبل الميلاد، كونها تقع على مفترق طرق، ونقطة لقاء بين الحضارات القديمة المختلفة، وبدأت التجارة أولاً بالمقايضة العينية، ثم تطورت لدى الفراعنة وأخذت تلعب دوراً هاماً في إدخال

١ ـ عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم، ص ٢٩٧

٢ - بردية هاريس عثر على هذه الوثيقة عام ١٨٥٥م بالقرب من معبد الدير البحري من ثم اشتراها العالم انطوني تشارلزهاريس في العام نفسه فاصطلح على تسميتها ورقة هاريس البردية الكبرى تتألف من ٧٩ صفحة يذكر فيها جميع المأثر التي قام بها رعمسيس الثالث لإلهة مصر خلال ٣١ سنة من حكمه ومن ثم خطت المعابد هذه البردية بعد وفاة الملك ربما بطلب منه يقول النص في البردية هذا ما عطاه الفرعون لبيت الاله ليكون ملكا له الى الابد وذلك لغرض الاعتراف بأملاك المعبد على انها ملك من الحاكم ، قد ساهمت بردية هاريس الكبرى بتشكيل فكرة واضحة عن الثروة الضخمة التي حصلت عليها تلك المؤسسات الدينية في نهاية عهد رعمسيس الثالث، ويتضح من هذه البريدية أن حوالي ثلاثة أرباع تلك الملكيات عادت لصالح أملاك معبد آمون رع في طيبة، والتي أعفيت من النظام الضريبي بالإضافة إلى إعفاء أتباع المعبد من الخدمة العسكرية، والسخرة لصالح التاج. وبناء عليه ليس من الصعب فهم القوة الاقتصادية التي حظيها كبير كهنة آمون رع في عصر الرعامسة. هذه التطورات الاقتصادية انتهت بطبيعة الحال إلى الاعتراف بسيادة كهنة آمون على الجنوب. ينظر ادولف ارمان وهرمان رانكه، مصر وحياة المصرية في العصور القديمة، ص٣٣٠

٣ - جري، كاتيا صباح، **تطورات بنية المجتمع المصري** ... ص١١٩

أنماط جديدة للإنتاج، ومع انتشار التجارة زادت عمليات التبادل النقدي وتداول العملة المعدنية في وظيفة المقياس المشترك الخيالي للقيمة التبادلية، (تتسلط الدولة على التجارة الخارجية التي تستجلب البضائع الأجنبية للطبقة الحاكمة الملك، وليس للتوزيع على سوق داخلي منعدم)[١].

وقد شكلت نهاية السلالة الرابعة منافسة لسطلتها من طبقتي الاشراف والكهنة اللتين اخذت شوكتهما تزداد في البلاد فأصبحت الوظائف الكبيرة المهمة وراثية واخذت طبقة النبلاء تستحوذ على مساحات كبيرة من الاراضي والاقطاعات فزاد نفوذها وقل ارتباطها بسلطة الملك وآل الأمُر إلى ان يناؤوا الملك السلطة في البلاد ولم يكترثوا بان يدفنوا في العاصمة قرب المكان المخصص لدفن الملك وانما دفنوا في مدنهم التي يعيشون فيها[٢].

اشتغل في أراضي الفرعون والاشراف والكهنة الفلاحون الذين لا ملكية لهم، ولم يتميزوا عن العبيد إلا من الناحية الحقوقية، أمّا من الناحية المادية فيشبهونهم تقريباً، وقد استثمرت أيضاً جهود العبيد من أسرى الحروب الخارجية مع بلاد النوبة وليبيا، ولكن عدد العبيد في هذه ال مدّة المبكرة كان قليلا، أما الفلاحون الصغار فهم الذين يملكون قطعاً زراعية خاصة اصبح نتيجة ضريبة الدولة عددهم يتناقص تدريجياً، وكان عليهم أن يقدموا حصة من انتاجهم للفرعون وهكذا عاش الفرعون والطبقات المسيطرة في المجتمع في رفاهية بالغة على حساب المنتوجات الفائضة التي انتجتها جهود العبيد وعامة الشعب الكادح [٣].

١ ـ سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط ، ص٤٢
٢ ـ عامر سليمان و احمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،١٩٧٨، ص ٢٩٧
٣ ـ فرح ، نعيم ، موجز تاريخ الشرق الادنى القديم ص٦٦

اولاً: الفئات العاملة

كان يتم الحاق العمال في المشاريع بطريقة السخرة وكل مصري بسيط الحال يقع تحت طائلة السخرة، إلا الفئات المستثناة (الموظفين، الجنود، الكهنة، خدم المعبد)، وسيلة حشد العمال للسخرة من اختصاص السلطات المحلية [١].

وبينما كان الفلاح كعامل زراعي فهو مغبون مستباح سواء أكان يعمل بأجر مالي أم بحصة، ولا يتأتى إصلاح شأنه إلا بتشريع حكيم يحفظ حقوقه ، وما دام العقد بين المالك والأجير لا يقوم على مبادئ النزاهة والعدل، فإنه لا محالة تجد في عقول أولئك السذج الذين إذا فهموا الظلم الواقع عليهم لم يلبثوا أن يطلبوا الخروج منه[٢].

وهناك أعداد كبيرة من لفائف البردي العائدة إلى أواخر الدولة الحديثة تصور البؤس والفاقة والغلاء الفاحش الذي كانت تئن تحته طبقة الدهماء[٣] فقد قلت الارزاق وساء الوضع الاقتصادي في البلاد بسبب هجوم القبائل الغربية وغاراتها المسترة ونهبها الامتعة والحاصلات واحتكار الكهنة للأموال والاطعمة التي كانت ترد المعابد فارتفعت اسعار الحبوب ارتفاعاً خيالياً وعمت المجاعة في البلاد وذلك في أواسط عهد السلالة العشرين فتوقفت عمليات دفع اجور العمال التي كانت من مواد الاطعمة كالسماك والبقول والحبوب البيرة والخشب والوقود فهاج العمال وأعلنوا الاضراب فاضطر الموظفون الذين كانوا السبب في هذه الفوضى بما كانوا يتصفون به من التفسخ المتفشي بينهم إلى دفع أجور هؤلاء العمال ثم تستطرد لفائف البردي في

١ - ت.ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة) ، ص٩٦

٢ - نحاس، يوسف، الفلاح ، ص١٨

٣ - * يقصد بطبقة الدهماء هي طبقة مترفهة جديدة طبقة الموظفين وطبقة اخرى منظمة مطبعة هي طبقة الجيش وازداد بالطبع نفوذ الكهنة اما الطبقة العامة فلم تعد تلعب دوراً مهماً واختفت من مسرح السياسة في البلاد واخذت تظهر مكانها طبقة جديدة هي) طبقة البروليتاريا) التي برزت بوضوح في أواخر الدولة الحديثة وينتمي اليها فئة الفقراء والعمال وهاتان الطبقتان اي طبقة الفقراء والعمال أو طبقة الدهماء تقومان بخدمة الدولة والالهة ويكون المشرفون عليهم من بينهم. وقد قدمت لنا لفائف البردي ادق المعلومات وأقدمها عن قوائم بأسماء العبيد ورجال السخرة وآبائهم في السلطات لهم بالاشتغال وبأسماء المدن التي نشأوا فيها واختصاص كل منهم. والواقع ان هذه المصادر التاريخية التي وجدها العلماء في التدوينات على لفائف البردي واحوال طبقة الرعاع ووضع حياتهم في السلالتين التاسعة عشرة والعشرين تعتبر فريدة من نوعها في تاريخ الحضارات ينظر كتاب محاضرات في التاريخ القديم عامر سليمان و احمد الفتيان، ص ٣٠١

وصف اخلاق هذه الطبقة فتقول إنّها منحطة خلقياً وتقوم بإعمال السرقة والاغتصاب وقطع الطرق وتأتي الفحشاء والمنكر[١].

ويعاني الفلاحون في مصر الفرعونية تناقضاً غريباً فهو يتصدر المواضيع الجنائزية التي تتعرض لعالم الأحياء، إذ صورت نقوش المقابر سلسلة طويلة من مشاهد العمل الزراعي: (الفلاحة، والحصاد، وتربية المواشي)، ومع ذلك ظل الفلاحون مهمشين في اقتصاد يعتمد أساساً على العمل الزراعي، وكان الجمهور الأساس من السكان المصريين يتألف من الفلاحين الأحرار (ميرتو)، ومنهم من اغتنى كال (نيزس) وغدا في عداد الأثرياء والوجهاء، أما من بقي فقيراً بائساً فلم تختلف حياته كثيراً عن حياة العبيد، بل تحول بعضهم فعلاً إلى رقيق نتيجة فقره وعدم تسديد ديونه للوجهاء، وفي عصر ما قبل الأسرات كان كل مشترك قروي يملك أرضه ملكية جماعية، وبقي هذا الحق سارياً في عصر الأسرات الطينية (الثينية)، ولم يتم إخضاع القرويين للسلطة الملكية إلا بعد استخدام أساليب القمع ضد ثورات الدلتا مدّة من الزمن من ثم تحول الرعايا إلى أيدي عاملة مجردة من حق التملك[٢].

وكانت حياة الفلاح قاسية ما لم يكن المشرف عليه من الموظفين ذوي القلب الرحيم و أن الشائع كان امتصاص قوى العامل الى اقصى حد ممكن، وكان الفلاح مرتبطا بالأرض ينتقل معها من مالك إلى آخر كأنه جزءٌ منها وإذا قصر فجزاؤه الجلد، وعليه إذا أقبل الفيضان وأصبح العمل في الحقل مستحيلا أن يقوم بعمل آخر في خدمة الفرعون أو حاكم الولاية التي ينتمي إليها فينقل الأحجار التي يقطعها العمال من المحاجر، إلى إذ يريد كل منهما أن يبنى قبره او معابد آلهته وكان الفلاح نحيل الجسم ولم ينل قسطه الكامل من التغذية ويتناول أجره الضئيل عينا من المحاصيل ويصبح قبل أن تنضج تلك المحاصيل على شفا الهلاك من الجوع وجعلته المجاعات

١ - عامر سليمان، احمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم ، ص ٣٠١
٢ - جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري ،ص١٣٧

وانتشار الطاعون اللذان كانا يحدثان من آن لآخر فريسة لخطر فجائي يأتي من قوى عظيمة[١].

ويذكر أن تنفيذ هذه الأبنية العملاقة تطلب الاستعانة بحشود من العبيد يُضربون ضربا مبرحا بالسياط. وإنّ كان العمال الذين شيدوا الأهرام من المصريين دون سواهم معظمهم من الفلاحين الذين جُندوا مع جنود تركوا ورائهم بعض وحدات الجيش، كما تشير بعض نقوش رسموها على كتل حجرية، مازالت مرئية في الوقت الراهن، ويذكر أن هؤلاء الرجال كانوا يعملون لتأمين أبدية الملك الإله وحمياتها، وكانوا على وعي تام بأهمية عملهم، يحركهم إيمان راسخ [٢].

وقاد الملوك إلى استغلال طبقي باستيلائهم على فائض الإنتاج. فالشائع كان استغلال الكادحين من قبل فهناك شران لا يختلف العقلاء على موضع الشر فيهما، واستعباد الإنسان للإنسان ينتقل الناس من البداوة إلى الحضارة، ومن الترحل إلى الاستقرار، ومن الزراعة إلى الصناعة المتقدم، ومع ذلك تبقى الحروب ويستمر استغلال الإنسان للإنسان، كما لو كان ذلك سنة جارية، أو قدرا إلهيا[٣].

خير مثال لمقاومة ومعاناة الشعب المصري من الاستبداد والظلم وأبراز ملامح الوعي الشعبي بما يجب أن تكون عليه سياسة الدولة إزاء الشعب، فعلى لسان الفلاح خون أنوب في شكواه يحدد تصوره لواجبات الحكومة إزاء المواطنين: "أن تقضي على الظلم، وتقيم العدل، وتوفر الطعام والملبس والدفء، وأن تقف إلى جانب الفقير ضد ظالميه فقدم شكواه التي تفيض بالفصاحة:

"انظر انك لرئيس وبيدك الميزان

فلا تدع الميزان يختل

وان لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان

وقلبك هو تلك الصنجة

١ - نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠، ص٣١٢

٢ - حسن، سليم، الموسوعة المصرية القديمة، ج٢، ص٣٨.

٣ - الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة سلسلة صدرت عام ١٩٧٩ اشراف احمد العدواني، ص١٥

وشفتاك هما قب الميزان

فأذا سترت وجهك عن الظالم

فمن ذا الذي يمكنه ان العار

انت تصنع العدل

وتصنع كل طيب وتبيد كل خبيث

انت تجئ كالشبع، وبمجيئك ينتهي الجوع

انت تجئ كالثياب، وبمجيئك ينتهي العري

انت كالسماء الهادئة بعد عاصفة هوجاء

تعطي الدفء لمن اصابه البرد انت كالماء تروي الظمأ "[1].

وكان عدد المكلفين لتحصيل الضرائب كثيراً جدّاً، والقصد من كثرتهم تسهيل الحصول على ما يمكن في أيدي المزارعين؛ ليسهل على المحصلين توريد ما جمعوه إلى الأماكن الحكومية التابعة لها مناطقهم بأيسر مستطاع، باعتبار أن الكميات التي تجبى يجب عرضها للمعاملات التجارية، حتى لا تزدحم بها المخازن الحكومية، ويترتب على تراكمها تعرض البعض منها إلى التلف، وأن يؤدي ذلك إلى شبه احتكار في المطعومات ونحوها، فكانت وجهة الملوك في هذا الوقت عدم الرأفة بالطبقات الفقيرة، وأن من صالح هذه الطبقات تسهيل السبيل أمامها في موارد الارتزاق وأوجه الكسب[2].

ومن البديهي عندما بدأ المجتمع ينتج فائض السلع لأول مرة لم يكن هذا الفائض يكفي للنهوض بالمستوى المعيشي للمجتمع كله، لقد كان ثمة فئة قليلة تنتفع من هذا الفائض أكثر من غيرها، وهذا بدوره يعني أن المجتمع بدأ بالضرورة يعرف اللامساواة الاقتصادية والاجتماعية ولولا استغلال بعضهم لجهد الآخرين لما كان التقدم ممكناً من أصله إذ قام زعماء القبائل بضم جماعات أخرى تحت سلطتهم،

١ ـ حافظ، حنان محمد اشكال الاحتجاج في مصر بين الثبات والتغير دراسة تحليلية للاحتجاج العمالية والطلابية، بحث منشور، مجلة البحث العلمي في الآداب، المجلد ١٧، العدد ١٧،ج

٢ـ زكريا، أنطوان، النيل في عهد الفراعنة والعرب، مجموعة هنداوي، «مؤسسة هنداوي» مؤسسة المعرفة والثقاف،٢٠٠٨، ص٩٨.

مستغلين تراجع الروابط القبلية المتمثلة برابطة الدم، أمام روابط التجاور والمصالح المشتركة، وعلاقات الزواج، ووحدة الفكر الديني، وترتب على اندماج المشاعات القبلية نشوء المشاعات الإقليمية (النومات)، وأصبح لكل إقليم زعيمه الأكبر، ومعبوده، وشعاره الخاص وعاصمته وتحول زعماء القبائل إلى ارستقراطية في الأقاليم، وباتت الأعمال القيادية الاقتصادية الدينية العسكرية في أيدي هؤلاء الزعماء، ومن ثم انتقلت امتيازاتهم إلى استغلال طبقي بالاستيلاء على فائض الإنتاج[١].

فضلا عما تقدم لتبيين كل الأهمية التي للفلاح باعتباره منتجا إنه لا يوجد زارع آخر يحل محله ويحمل عبئه، وهذا الفلاح على اختلاف منشئه هو الوحيد الذي يستطيع زرع الأرض بمصر، وهو الذي يقف عاريا تحتَّ الشمسِ المحرقةِ بجانب شادوفه يرفعُ به الماء كما كان يفعل أجدادهُ، وماله من دورٍ في الحالةِ الاقتصاديةِ والاجتماعية، لهذا الذي ينتج الخيرات بلا كلال مع بقائه فقيرًا معدما، وكيف ترتب عليه تمادي الظلم سنين طوالا أن تعود الفلاح معاناة عيشة البؤس. [٢]

وتشمل الطبقة العاملة: العمال الذين كانوا يعملون في المناجم و المحاجر وفي بناء الأهرامات و المقابر والمعابد، وكانت الدولة هي التي تشرف عليهم وشملت الفلاحين الذين كانوا يمثلون نسبة عالية وكانوا يعيشون على الزراعة وتربية المواشي، وقد كانوا يتكونون من فريقين أحدهما من ملاك الأراضي الذين كانوا خاضعين لأداء الضريبة المفروضة عليهم، والثاني وهو الأكثر عددا، يعمل كأجير عند الملوك والنبلاء وحكام الأقاليم، أما أصحاب الحرف الصغيرة كالنجار والحلاق والبستاني وصانعي السهام والإسكافي والصيادين والملاحين ورعاة الأغنام وهم ينتمون للطبقة الدنيا ويشكلون الأغلبية الساحقة كان معظمهم يعيش في القرى المتناثرة على طول نهر النيل[٣].

١ - جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري ، ص٣٠
٢ - نحاس، يوسف، الفلاح، ص٢٢
٣ - مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، ص٢٤

ومن ناحية أخرى يزداد عدد الفلاحين المفلسين ويتحول قسم منهم إلى ما يسمى (خيمو نيسون) أي عبيد الملك، وقد تميزوا من العبيد العاديين بأن عملهم كان منظماً أكثر، وتلقوا من الخزينة وسائل الانتاج وحصلوا على أجرة معينة، وأحياناً يدخلون في عداد الجيش، أو يقدم الملك البعض منهم كهدية للأمراء، بالإضافة إلى هذا النوع من العبيد يزداد أيضاً العبيد العاديون من طريق الشراء أو أسرى الحروب وتقع على عاتقهم أصعب الاعمال، والنساء منهم يعملن خاصة بطحن الحبوب في مطاحن يدوية كما هو في الأسرة الثانية عشرة[١].

إمّا الأعمال الحرة والأعمال الحكومية وجد في مصر القديمة نوع ثالث من الأعمال التي انتظمت في منازل وضياع الطبقة الإقطاعية التي عرفها المجتمع الفرعوني بوضوح مع بداية الأسرة الخامسة، إذ انخرطت أعداد كبيرة من الصناع والحرفيين في العمل لدى هؤلاء الإقطاعيين، فكان بعضهم من الأسرى الذين يتم الحصول عليهم كمنحة من الملك، والبعض الآخر عبيدا أجانب يجلبهم تجار الرقيق، بينما كان البعض الثالث وهو الغالب حرفيين مصريين أحرارا يعملون بعقود موثقة وأجور مجزية[٢].

وتشكلت طبقة العمال الذين كانوا يعملون في المناجم والمحاجر وبناء الأهرامات والمقابر والمعابد وكانت الدولة هي التي تشرف على العمال، أسهمت طبقة العمال بنصيب وافر ذلك في تشييد العمائر المصرية الضخمة من أهرامات ومعابد ومقابر. فيبدو أنها لم تعش حياة تتفق مع الجهد الذي كانت تقوم به، ومع ذلك فقد كان النظام الدقيق الذي اتبع معهم، قد أعطاهم بعض حقهم، وضمن لهم. مأكلاً وملبساً وربما كانوا أحسن حالاً من الفلاحين، أما دور هذه الطبقة في الثورة فربما كان أكثر أهمية من دور الفلاحين وأقل خطراً من دور الصناع والفنانين[٣]، وإنّ الازدهار الاقتصادي أدى إلى زيادة الملكيات الكبيرة وازدياد عدد العبيد من أسرى الحروب الخارجية، وقد استخدم قسم من العبيد كخدام وحراس وجنود، أما معظمهم فقد

١ ـ فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق، ص٧٢
٢ ـ الجبالي، هشام ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ص ٩٠
٣ ـ سليم، احمد امين ، تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر والعراق، ص٩٠

اسُتخدم في المزارع والمصانع والمناجم وغيرها من الاعمال الشاقة، وقد أصبح الفراعنة والأمراء والكهنة وقادة الجيش من كبار ملاكي العبيد، هناك طبقة متوسطة يملك أفرادها عدداً قليلا من العبيد، وكذلك ساعدت الحروب الخارجية على توسع وتطور طبقة الأمراء العسكريين، ومن ناحية أخرى تسوء حالة الفلاحين الصغار، فيضطروا للحصول على القطيع والبذار من خزينة الدولة[١]

في مواجهة الطبقة الحاكمة تكون بقية أفراد الرعية الذين يخضعون للدولة تماماً أي عبيداً لها، لا لشخص معين وهم عبيد فرعون لأنه رمز هذه الدولة، ويطلق عليهم أحياناً العبيد العموميون، وإلى جانب العبيد العموميين في المجتمع الفرعوني كنا نجد أيضاً العمال الأجراء وهم عبارة عن الحرفيين الذين يشتغلون في بعض الحرف والبناء والزخرفة والحدادة، وكذلك وجد العبيد الأرقاء، الذين كانوا ينقلون من مكان إلى آخر ويُسلمون إلى الجهات التي تحتاج إليهم، كما لو كانوا ثيراناً أو حميراً وليس لهم أي حقوق، وتكون أغلبية الطبقة المحكومة في المجتمع الفرعوني خاضعة للدولة ليس كأفراد مستقلين[٢]، وجملة القول فأن هذه الأعمال الشاقة والضربات بالعصي سرعان ما تنسى، وقد أعتاد الفلاح عليها ويعزي نفسه اعتقاده أن العصا لم تستثني أحد في بلده وأنها كثيرا ما وقعت على اكتاف أقل تحملا من اكتافه[٣]، وكانت طبقة الفلاحين تؤلف الغالبية العظمى من الشعب، وكانت تتكون من فريقين الواحد يملك أرضه وحقله، والآخر أجير عند الفرعون أو عند الأمراء أو حكام الأقاليم. ويبدو أن دور هذه الطبقة في الثورة كان أقل من غيرها، وتجب الإشارة في هذا المجال إلى أنه لم يكن هناك نظام صريح، يظل فيه النبلاء والصناع والفلاحون مرتبطين بطبقة معينة جيلاً بعد جيل، فهناك أمثلة كثيرة انتقل فيها بعض المواطنين من أشخاص عاديين إلى موظفين كبار في الدولة، ومن أشهر الأمثلة على ذلك وني الذي يفهم من نصه الذي سجله على جدران مقبرته أنه كان رجلاً من أسرة بسيطة استطاع أنّ

١ - فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق، ص٧٩
٢ - الكفري، مصطفى العبد الله، الأفكار الاقتصادية والنشاط الاقتصادي لدى الفراعنة
٣ - مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، ص ١٦٤

يرتفع إلى كثير من الوظائف المرموقة في البلاد، ومن ثم فقد كانت الفرصة متاحة لكل من تتوافر فيه الصفات اللازمة لشغل هذه الوظائف العليا[١].

ثانياً: الضرائب

كان حاكم الإقليم في مصر القديمة هو الذي يشرف على جمع الضرائب، وبعد أنّ يتم جمعها تحفظ في مخازنه إذ يعد ملك الفرعون[٢]؛ لأنّ الأراضي الزراعية في مملكة مصر هي ملك للفرعون وعُدَّ الفلاحون مستأجرين يؤدون ما عليهم من ضرائب لحاكم الاقليم، وهي ضرائب عينية من المحاصيل إذ لم تعرف النقود بعد وكانت الضرائب تتغير كل عام وفقا لكثرة المحصول أو ندرته، وكان الملك يهب للأكفاء من رجال الحرب والإدارة من الأراضي لهم ولأبنائهم من بعدهم[٣].

وكان جابي الضرائب يتلقى الكشوف بالربط الضريبي في المنطقة، وإذا امتنع أحد عن التسديد فقد كان يتولى الجابي التقرير حسب الظروف ،وكان ينظر الجابي في ظروف وامكانيات الشخص فهذا الأمر متروك له، وكانت أهم الطرق التي يتسلط بها الجابي على الممتنعين عن دفع الضرائب هي تعويض مادي والأخرى عقوبة جسدية[٤].

كانت الضرائب تفرض على الأراضي الزراعية بحسب خصوبتها ووفرة محصولها لأن بالضرائب تستطيع الحكومات تنظيم الشئون العامة جهد استطاعتها، وتبذل عنايتها في ترقية الأحوال باقتضاء العصور وتطورات الأدوار العمرانية، وقد كان التعامل في السابق جارياً عن تبادل العروض التجارية، والمحاصيل بنسبة اصطلاحية، ألفوا قبولها فيما بينهم باعتبار أن الإردب القمح يعادل مجموعة من الأقمشة، ويعادل مجموعة من باقي الاطعمة وأدوات المباني ونحوها فكان الفلَّاح يدفع للصيارف مقادير من المحاصيل على نسبة زراعته، وصاحب الأغنام يؤدي

١ - سليم، احمد امين، تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر وسورية ، ص٨٩

2 - *García, Juan Carlos Moreno. "Changes and limits of royal taxation in paranoiac Egypt (2300–2000 bce)." Ancient taxation: The mechanics of extraction in comparative perspective 11 (2021): 290.*

٣- حسن، علي ابراهيم، الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور (ب، ص)

٤ - جري، كاتيا صباح، بنية المجتمع المصري ،ص١٣٧

عددًا منها بنسبة عدد أغنامه وهكذا، وكان بعض الملوك يجعل، علاوة على تقدير الضرائب بأنواعها بالأسلوب السالف ذكره، قيام بعض القرى والمدائن بتموين طوائف من المستخدمين الذين يكلفون بتنفيذ نظامات الري، والمحافظة على الترع والجسور، وتطهير الجداول ومؤاساة الذين يؤسرون في الحروب، بما يحتاجونه من الطعام إلى أن يتوفر لديهم من كسب أيديهم ما يكفي باحتياجاتهم والقرى التي كانت لا تستطيع النفقات لأولئك الموظفين كانوا يكلفون أفرادًا منها بما يناسب أحوالهم من هذه الأعمال، وجاء في التوراة أن فرعون كان يسخر قبائل بني إسرائيل في هذه الشؤون[١].

يدل ما وصل إلينا من وثائق على تطور الإدارة الفرعونية تطورا مذهلا، واعتماد الأعمال الحكومية منذ فجر التاريخ على نظم غاية في الدقة والصرامة، فهناك سجلات معدة لتدوين أسماء العمال وما يكلفون بإنجازه، وهناك مراقب خاص لكل مجموعة منهم. وقد يكون من المحتمل تسخير الفراعنة لبعض أسرى الحرب، جنبا إلى جنب مع المحكوم عليهم بعقوبة الاشغال من المواطنين المصريين في إداء الاعمال الشاقة ،غير أنهم لم يمثلوا يوما سوى جانب ثانوي من قوى العمل التي كانت تعتمد في الأساس على تشغيل جنود الجيش في أوقات السلم، وعلى توظيف عمال دائمين أو مؤقتين مقابل أجر ملائم[٢].

يعد الرق وهو تملك إنسان لإنسان آخر وممارسة حق الملكية عليه، وهو حق من الحقوق متحدية أحكام العقل والضمير فقد كان الإنسان إلى عهد قريب يباع ويسام في ظل نظام قانوني، أباح للقوة استرقاقه ومنحها حق التصرف فيه، وفي ظلمات الإنسانية انطلقت أصوات تنعى على القوة ما أباحت لنفسها من حق استرقاق الإنسان ونادت بتحريره، لأن الحرية حق أزلي، لا يجوز سلبه ولا اغتصابه[٣].

كان الفلاحون يعانون من مشاكل الفئران والعصافير والجراد إذ تلتهم زراعته وما بقى منها كان لصوص الأراضي يسطون عليها؛ لهذا كانوا يهجون من قراهم عندما

١ - زكريا ، أنطوان، النيل في عهد الفراعنة والعرب ، ص٩٧
٢ - هشام الجبالي، الحياة الاجتماعية في مصر ...، ص٨٩
٣ - الترمانيني، عبد العزيز، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافة شهرية ، ص١٣

يحل موعد الحصاد لأنهم لا يستطيعون دفع الضرائب مما تغله الأرض، وكان هذا الخراج يقدم لخزائن المملكة، وفى موعد الحصاد كان الجباة يفدون للقرى ويجلسون بجوار الشاطئ ليعاينوا الأرض ويقدروا غلتها، وكان الفلاحون لا يستطيعون تسديد مديوناتهم من الضرائب لصيارف الملك، فتحضر الشرطة الفلاح المتعسر ويلقى بهم ومعه زوجته وأبناؤه فينهالون عليهم بالضرب المبرح بلا هوادة ولا رحمة، وكانوا يجرونهم مقيدين بالسلاسل وسط الأهالي في النيل ليكونوا عبرة وعظة لأهل قريته، وكانت هذه الممارسات التعسفية والمأساوية شائعة في قرى مصر، ولهذا ظل شبح الضرائب الأميرية يؤرق الفلاحين طوال العصور التاريخية[١].

على سبيل المثال ورد في نص من النصوص التعليمية التي سجلها أحد الكتبة في خطاب وجهه إلى تلاميذه، يحدثهم فيه عن نصيب الفلاح من الحياة، قائلاً:

" ألا تذكر حال الفلاح الذي يقف أمام الجابي الذي أتاه لتسجيل ضريبة الحصاد عندما أتلفت الدودة نصف الحبوب، وابتلع فرس النهر البقية ثم يهبط الكاتب إلى شاطئ النهر على أهبة الاستعداد لتسجيل ضريبة الحصاد، ويضرب الفلاح في كل أنحاء جسمه، ويقيده ويرمي به في البئر أما زوجته فقيدت بحضور أولادها وأما جيرانه فيتخلون عنه ويهربون" [٢].

وكان عمال الضرائب يُدعون باللغة المصرية القديمة بـ (نو)، وفي عهد الدولة الحديثة (سنو)، وبالقبطية سون أي جابي خراج المزارعين، وكان تقدير الخراج بعد مقياس النيل، ويتم تحصيله قبل تمام الفيضان إذ كانوا بحلوله يمتنعون عن تحصيل الضرائب، وكانت أعمال الجباية وتحديد مقادير الضرائب غاية في الدقة، ولهذا يلتجئ الجباة إلى استعمال وسائل للإخضاع في دفع ما عليهم، وكان بعض المزارعين يتذمر من الضرائب كلما تجدد ربطها عامًا بعد آخر لأنه يظن نفسه مغبونًا في التقدير بادئ بدء، وعندما يتأكد أن التقدير جاء طبق ما وصلت إليه التجديدات الفنية بعد مقياس النيل يذعن للأداء، وقد جاء في بعض الأوراق البردية

١ ـ عوف، احمد محمد، عبقرية الحضارة المصرية، ص ١٢١
٢ ـ جري، كاتيا، بنية المجتمع المصري، ص١٣٨

مثل ورقة أن بعض محصلي الأموال كانوا إذا أعياهم الأمر لجأوا إلى ضرب الأشخاص بالعصيّ، أو تغطيسهم في الماء إلى أن يدفع المماطل ما يكون متأخرًا عليه. وكان تحت أيدي هؤلاء الكتبة المكلفين بجبايات الضرائب وتحصيلها مستخدمون كثيرون بألقاب متنوعة، فمنهم من يلقب المكلف بمون الفم، ومنهم من يلقب برؤساء الشوَن أو المخازن[١].

ويتضح من بعض الوثائق التاريخية أن ضريبة الأراضي الزراعية كانت تقدر بنسبة خمس الإنتاج الزراعي شأنها في ذلك شأن أغلب الضرائب الأخرى مثل ضريبة التجارة أو أنتاج مصايد الأسماك، وتؤكد الوثائق في عصر المملكة الحديثة أن الملوك كانوا يراعون اعتبارات العدالة والتيسير عند فرض الضريبة أو تحصيلها فغالبا كان سعر التيسير على الممول كانت الدولة تقبل اداء الضريبة على دفعات، كما كانت تتنازل احيانا عن كل أو جزء من الضريبة بصفة دائمة أو مؤقتة اذا كان هناك مبرر لذلك وحتى يتم تحديد الضرائب بطريقة عادلة، كانت الدولة تكلف بعض موظفيها بأعداد تقارير دورية عن منسوب مياه النيل حتى تضع ذلك في الاعتبار في تحديد سعر الضريبة[٢].

بعيدا عن الأعمال الحرة التي كان يقوم بها الصناع والحرفيون، كانت جميع الأعمال الضخمة التي تحتاج إلى جهود عظيمة وتكاليف باهظة من اختصاص الحكومة المصرية القديمة، التي كانت تحتكر استغلال المناجم والمحاجر، وتشييد المعابد والمقابر الملكية، كما كان لها مصانعها الخاصة، التي يعهد إليها بتصنيع المنتجات الغذائية من الضرائب التي تسدد من الحاصلات الزراعية، إلى جانب تصنيع جميع ما تحتاجه الإدارة الحكومية والقصر الفرعوني من منسوجات وأوراق ومجوهرات وأثاث وأوانٍ وعطور [٣].

١ ـ نطوان زكريا، النيل في عهد الفراعنة والعرب، ص٩٨.
٢ـ موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، ص٢٣٣
٣ ـ الجبالي، هشام، الحياة الاجتماعية في مصر ...، ص٨٨

وبالإضافة إلى غنائم الحروب من مواد أولية وأسرى من البلاد التي أخضعتها مصر لسيادتها، كان هناك مئات آلاف الهكتارات من أراض مصر الزراعية في حيازة المعبد التي استثمرت لمصلحته من قبل جيش من العبيد الأسرى ولحساب عقارات أمون وجدنا حدائق ومزارع العنب، وقطعان الماشية، والحبوب والسلع، وإتاوات على الأراضي، وأساطيل خاصة بالإله تضمنت سفناً تجارية تمر بسواحل البحر الأحمر والساحل السوري (الكنعاني)، هذا بالإضافة إلى ورشات الحرفيين التابعة للمعبد التي تتم فيها صياغة الذهب وغيره من المواد الثمينة. وكانت ملكية المعبد تلك كلها معفاة من النظام الضريبي وهكذا نجد ان الطبقات الدنيا هي التي ترزح تحت وطأة الضرائب في حين تعفى منها الطبقات العليا [1].

ومن عادات المصري القديم إذا جاء الفيضان ناقصاً أن يُخفَّض من قيمة الضرائب مقدارٌ يعادلُ نقصَ الفيضانِ، ويؤيد ذلك ما وجد في بعض النقوش لأموني أمير الإقليم في عهد الملك سنوسرت، بما معناه "لما كان النيل مرتفعًا والمحاصيل جيدة لدرجة ساعدت في ثروة المزارعين، لم أفرض عليهم ضرائب جديدة ليكونوا على الدوام في فرح وشُكر." وهذه الجملة تثبت أنه عند نقص الفيضان يُراعى تخفيض الضرائب بقدر هذا النقص، ولا يجوز تقرير ضرائب جديدة، ووجدت في نقوش أخرى لأمراء أسيوط في عهد الملك خيتي الأول عبارات عن تاريخه بالمعنى الآتي يفتخر الملك خيتي الأول بأنه أغنى المزارع وساعده على الرفاهية، حتى جعله يقتات بالقمح بدلًا من الذرة الذي كان القوت الغالب لعموم المزارعين في تلك الأدوار، وكانت طريقة الجباية مرتبة على أشهر المحاصيل لأن الضرائب كانت تؤخذ من أجودها، ووُجد في بعض النقوش على قبر أمتن الذي كان معاصراً لأحد ملوك الأسرة السادسة ما يؤيد هذه القاعدة، وسريان العمل بها إلى عصر الأسرة الرابعة والعشرين، وفي عصر البطالسة والرومان كان الملك يشرف على لجان تقرير الضرائب التي تؤلف في كل ولاية لتقدير قيمة الأراضي ومحصولاتها، ووضع الخراج لها بدرجة تطابق حالتها، ويقصد الملوك بهذا الإشراف التحيز والمجاملة

١- جري، كاتيا ، لنية المجتمع المصري ، ص١١٧

لأعضاء اللجان لوجهاء الأقاليم في التقدير وفرض الحيف عن الفقراء فيما يقدر عليهم[١].

ثالثاً: السخرة

السخرة وهي استغلال جهود العمال في المشروعات العامة من عمال المعادن وعمال المقابر، وغالبا ما كانت السخرة عندما يفيض النيل فلا يجد الفلاحون عمل يعملونه وأيضا عند الفيضان تصبح الجسور مهددة بالانهيار، وبذلك تتعرض سلامة البلاد للخطر فظهرت السخرة للمحافظة على منشآت الري والسدود وأيضا سخرة العمال لتطهير الترع الزراعية وتجفيفها وبذلك أصبح عمل الفلاح نتيجة عدم وجود عمل لديه هو السخرة إجبارا ،أحيانا يجبر مئات العمال على عمل معين وهنا يظهر سوء الإدارة وسوء الإشراف ومدى التسلط والجبروت[٢].

وتعد السخرة من ضمن العقوبات التي تفرضها الدولة على الفلاحين والعمال في عدم دفع الضرائب وهو العمل بالسخرة بدون أجر في الأشغال العامة، وهذه العقوبة من الممكن ان يساء استغلالها كانت السخرة تعتبر عقوبة لذا تعد السخرة والتجنيد الاجباري اسمين لمعنى واحد ،كانت السخرة هي الوسيلة الرسمية لحشد القوى العاملة المطلوبة، لأداء كافة الأعمال التي تحتاجها الدولة، والغالب أنّ بناء وتشيد الاهرامات العتيدة في الأسرتين الرابعة والخامسة حشدت بطريق السخرة[٣]، وتعد السخرة ظاهرة مألوفة لتنفيذ المشروعات في حالة الفيضان في العصور القديمة كان يُجَبر الفلاحون لغرض السخرة[٤].

وفى موسم الفيضان كان الفلاحون يساقون للعمل لتأدية ضريبة السخرة، فكان في مواقع هذه الأعمال مختلف من الفلاحين جُلبوا من شتى القرى وكان لا يعرف بعضهم بعضا[٥].

١- أنطوان زكريا، النيل في عهد الفراعنة والعرب، ص١٠٠.
٢ - سير و- م فلندرز بتري ، المصدر السابق، ص٦٥
٣ - ت . ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة ... ، ص ٧١
٤ - سير و.م فلندرز بتري ، المصدر السابق ، ص٦٥
٥ - عوف ، احمد محمد ، عبقرية الحضارة المصرية القديمة ، ص ١٢١

من الثابت بصورة واضحة ان المصري القديم كان عرضة للعمل الاجباري الحكومي بوصفه شكلا من اشكال الخدمة العامة ، وفي الواقع كان البعض يعفى من السخرة لتمتعه بحصانة احد معارفه من الاشراف ،واخرون كانوا يتهربون من السخرة بإيجاد بدلاء عنهم ، فكانت عقوبتهم صارمة في حال اكتشاف امرهم . حتى يذكر ان مجموعة من الرجال والنساء تهربوا من عملهم فكانت عقوبتهم العمل الدائم في السخرة في اعمال الدولة وفرض عليهم غرامات ، او يأخذ احد افراد عائلتهم كرهن لحين تحسين السلوك [١].

وترك فراعنة الدولة القديمة آثاراً عمرانية تشهد على قوة سلطتهم واستبدادهم، هذه الآثار هي أهرامات مصر التي لا تزال قائمة منذ أكثر من أربعة آلاف سنة بشكلها الأولي الذي لم يتغير إلا قليلاً، ومما دفع فراعنة مصر وأشرافها الأغنياء على تسخير طاقات المجتمع في بناء هذه القبور الفخمة هو اعتقاد المصريين القدماء ، بأن حفظ جثة الفرعون بالتحنيط ووضعه في مكن أبدي لا تطاله يد الانسان يضمن الخلود لروحة، وأول الأهرامات التي بنيت في مصر هو الحرم المدرج الذي أمر ببنائه الفرعون زوسر مؤسس الأسرة الثالثة ما بين (2650 -2190 ق.م)، وفيما بعد اكتسبت هذه القبور الملكية شكلا هندسياً هرمياً دقيقاً، وأكبر الأهرامات المصرية هو هرم الفرعون خوفو (من الأسرة الرابعة ما بين (2680 -2569 ق.م) في الجيزة قرب القاهرة ارتفاعه (146)م، وقد استمر بناؤه ثلاثين عاماً ، واستغل في بنائه (1000000) رجل ثم شيد هرم آخر قربه للفرعون خفرع من الأسرة الرابعة أيضاً وارتفاعه (143)م، كما بنيت أهرامات أخرى عديدة في عهد الأسرتين الثالثة والرابعة مما دفع المؤرخين أن يطلقوا على ذلك العصر عصر بناة الأهرام وتسخير عامة الشعب [٢].

ولم يترك (خوفو) شرا إلا واقترفه، بدأ بإغلاق جميع المعابد، وحرم المصريين من تقديم القرابين، وأمرهم بالعمل لحسابه وكانوا يعملون في مجموعات تتناوب كل

١ ـ جري ، كاتيا ،بنية المجتمع المصري ، ص١٤٧
٢ ـ فرح ، نعيم ، موجز تاريخ الشرق الادنى ... ، ص٦٧

ثلاثة أشهر، تتألف كل مجموعة من مئة ألف فرد واستغرق العمل في بناء الهرم نفسه عشرين عاما ولشدة حاجة (خوفو) إلى المال انحدر إلى أشد الرذائل انحطاطا [١].

وعلى الرغم من حدوث الفيضانات لنهر النيل إلا أنّ النشاط الزراعي لم يكن ينقطع على الرغم من التعطل الإجباري، ولكن يعقبه نشاط كبير يبدأ بإعداد الأرض وإعادة ترسيم حدود وعلامات الحقول وحفر الترع والقنوات على أعماق وتجديد السدود ومراجعة ارتفاعاتها، ونظرا للعمليات وقلة قوة العمل المتوفرة كانت مشكلة توفير العمال والفلاحين بطريق السخرة وقد أتسم هذا النظام في عصر المملكة الحديثة بالظلم إذ كان الفلاح المصري القديم يأنف من السخرة، ووجدت بردية محفوظة في بروكلين تحتوي على أسماء سبعة وسبعين شخصا غالبيتهم من الرجال فرضت عليهم العقوبات لهروبهم من العمل بالسخرة، ولم تقتصر العقوبات الموقعة عليهم على الجزاءات المعتادة بل امتدت لتشمل ذويهم الذين كان البعض منهم يُأخذون كرهائن في بعض الأحيان[٢].

١ ـ حسن ، سليم ، موسوعة مصر القديمة ، ج٢، ص٣٨
٢ـ ت . ج جيميز ، الحياة ايام الفراعنة ... ، ص٩٨-٩٧

الفصل الثالث: الاستـــبداد الديني

المبحث الأول: استبداد الالـهة ضد الالـهة

المبحث الثاني: استبداد الالـهة ضد البشر

المبحث الثالث: محاولات كسرالاستبداد الآلـهية

المبحث الرابع: استبداد الكهنة

الاستبداد الديني

تعد قضية الدين أمراً أساسياً وجوهرياً في حياة الإنسان، وخاصة مع وجود الظواهر الطبيعية التي ترتبط بشكل مباشر بحياة الإنسان وسلامته، فإن فكرة وجود إله خالق وتعددية الآلهة كانت تفرض على الإنسان تماشياً مع هذه الظواهر واسترضاء الآلهة التي كانت تتحكم في مصيره، وقد انتشرت هذه الفكرة في مختلف الشعوب بتقدمها أو تأخرها في الحضارة، ومن بين هذه الشعوب شعب مصر القديم(١).

وتشكل الناحية الدينية من أهم الجوانب التي تأثرت بالحياة السياسية في التاريخ المصري، إذ كانت مصر مقسمة إلى أقاليم تأثرت حدودها الوهمية بالعواطف الدينية، وقد اعتمدت هذه الأقاليم أعلاما تمثل رموز الحيوانات أو النباتات التي تميزها عن بعضها البعض، وقد رمزت بعضها لأقدم الآلهة المصرية كما لم تكن الأقاليم مقسمة تقسيمًا إداريًا فحسب، بل كانت أيضًا مناطق نفوذ ديني، ولكنها لم تستقر على حال قبل اتحاد الأقاليم في مصر، كان سكان كل مدينة مستقلة يعدون إلههم الأعظم، وينسبون إليه خلق الكون لكن بعد الاتحاد، أصبح هناك إله عاصمة رسمي للإقليم، ومع ذلك، لم تقبل المدن المغلوبة على أمرها هذا التغيير، فارتبطت آلهة الأقاليم برباط عائلي على غرار رباط الأسرة. ثم حدث توحيد أوسع بين المدن لتصبح الأقاليم معا، وكان إله التوحيد مهيمناً على المعابد والآلهة الأخرى، إذ كان الانتصار الحربي يترتب على ذلك اله الدولة الرسمي، وهذه الفكرة استمرت في السيطرة الدينية في الدولة، إذ كان هناك آلهة محلية بالأقاليم يبنون لأجلها المعابد، بينما كان إله الدولة الرسمي ينال تقدير الملوك ويتمتع كهنته بالنفوذ والثروة(٢).

هناك عاملان أساسيان في تشكل الدين المصري في البداية، وهما إرادة الفرد الزعيم والروابط المتغذية بالألوهية لهذه الإرادة مع تطور المجتمع في العصور القديمة،

١ - سمار، سعد عبود، سهاد، علي عبد الحسين م. صراع الآلهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة، مجلة التربية كلية واسط، مجلد، جامعة واسط، كليـــــة التربيـــــة، العدد الأربعون، ج/٢ / آب / ٢٠٢٠، ص١٩٧

٢ - السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى ، دار المعرفة الجامعية ، ٤٠ شارع سوتر، الأزريطة - الاسكندرية ،١٩٩١، ص ٢٧١

ظهرت الحاجة إلى العدالة كسمة أساسية يجب أن يوفرها الملك بين رعاياه. وبهذا، تحول شكل الدولة المصرية الأولى من مرجعية أبوية يتم توجيهها من قبل الزعيم الذي يعد إلهًا، إلى شكل دولة كونية بمرجعيتها الإلهية الدينية [١].

كانت الأرض المصرية تُعد مملكة الآلهة المصرية والملك، وكان الملوك هم أبناء الإله رع وكانوا يحكمون بإرادته على الأرض مصر نفسها كانت تُعتبر مملكة رع إذ ساد الملك رع وحكمه كأول حاكم للآلهة والبشر ظهرت هذه الأسماء في الدولة القديمة، إذ رُبطت مصر بالمعبود حور كما سُميت بـ (حت- كا- بتاح) بمعنى (قرين بتاح)، وكان هذا الاسم في الأصل لأحد أشهر معابد الإله بتاح في منف، يُعتقد أن الإنسان المصري القديم استخدم هذا الاسم ليطلقه على مصر بأكملها، وتم أيضًا تسمية هذه الأرض مكي كمت بمعنى الأرض السوداء المحروسة أو المحمية، مما يدل على عقيدة المصري القديم بأن مصر كانت تحميها الآلهة. وقد سُميت أيضًا إرت رع بمعنى (عين رع) [٢].

في نظر المصريين، يعد التاريخ امتدادًا للأساطير، إذ تندمج الآلهة بلا انقطاع مع البشر، فإنّ مجتمع البشر هو تجسيد يومي لعملية الخلق، ونظام الكون يتجلى فيه على جميع المستويات. و عن طريق هذا المجتمع، يتم تشكيل الكون وفقًا للنمط المقصود، وهذا الأمر ترك بصماته على التحليلات المعاصرة المتعلقة بهذا المجتمع [٣].

تُظهر الوثائق ارتباطًا بين الرموز الحيوانية وبين مراحل الغزو المتعاقبة، ويُشير هذا الارتباط إلى اندماج الأسطورة في التاريخ مباشرة، وقد خلص العلماء إلى أن الشارات التي عاشت على امتداد الحضارة المصرية تعد رموزًا للمقاطعات التي تنقسم إليها البلاد، وتمتلك هذه الشارات أصولًا طوطمية ترجع إلى عصر ما قبل الأسرات، وهكذا ومن المغري حقاً أن ننظر إلى الأمر على أنه إشارة تعبّر عن اتحاد

١ - الخفاجي علي مزهر، مصر القديمة بين نظام الحكم المركزي ونظام الحكم اللامركزي، (بحث منشور)، مجلة الآداب، العدد ١١٩ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦، ص١١

٢ - سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد، صراع الآلهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة ، ص ١٩٩-٢٠٠

٣ - نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د.زكية طبوزادة، ط ٢، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٣،ص ٥٨.

يضم وحدة جغرافية أو وحدة قبلية تتفرَّع حول أحد الأرباب، وعلى سبيل المثال، تعد السهمان والترس شارة الإلهة نيت في سايس، والصولجان والسيف شارة است في طيبة، ورُسِمت رفات رأس أوزيريس في أبيدوس لتكون شارة أخرى وتجسِّد هذه الشارات بنية سياسية، وبغض النظر عن الجماعة البشرية الأساسية توحَّدت حول طوطمها الذي يمثل القوة الإلهية المهيمنة على الصعيد المحلي، تفترض هذه المرحلة التكوينية وجود قصص خَلْق الكون، التي تعكِس مراتب القوة التي تم رصدها عن طريق التجربة العملية وبعبارةٍ أخرى، يجب أن يكون هناك تشكُّلٌ لاتحاد الآلهة المحلية حول الإله الخالق. ويتكرَّر الأمر مع كل عائلة إلهية في عاصمة المقاطعة التي تُعبد فيها، وها هو مثالٌ آخر على تأسيس مقام الاتحاد في موقع مقدِّس يُدلِّ عليه الحرم الإلهي[1].

١- نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة ، (ت) ماهر جويجاتي، مراجعة د. زكيا طبوزادة، ط٢، دار الفكر والدراسات التوزيع.١٩٩٣، ص ٥٢

المبـــحث الأول

استبداد الالهة ضد الالهة

كان حب السلطة والوصول الى الحكم محط الأنظار اذ كان سببا في أن يثور الأخ ضد أخيه وأن يقتله، وهذا ما جسده الصراع بين ابناء الإله (جب) والإلهة (نوت)،كان الإله (اوزريس) هو اول الأبناء واكبرهم ومحبوب من ابويه ،أما (ست) فكان مصدرا للتعاسة لكليهما حتى قبل ميلاده لذلك كانت هذه البذرة الأولى لنشأة الغيرة والكراهية في قلب (ست) تجاه أخيه (اوزريس)، وقد تسلم مقاليد الحكم لكونه الابن الاكبر والوريث الشرعي الذي ينوب عن والده، فقد تسلم تاج مصر العليا وتاج مصر السفلى وقد جسد الاستقرار السياسي للبلاد، لانه إله عظيم في المقابل كان (ست) المنبوذ من والديه، والذي عُهد اليه بحكم الأرض القاحلة الصحراء. الامر الذي اثار الحقد في قلب (ست) وحدوث الصراعات من جانب (ست) [١].

وأسطورة ست وأوزيريس تحكي عن عصر ذهبي قد انتشر فيه الخير والرخاء بفضل حكم أوزيريس لكن ست قام بتدمير هذا النظام المثالي عن طريق خداع أوزيريس والتآمر ضده قرر ست الانتقام من أوزيريس بسبب فقدانه لامتيازاته ومنافعه، وقد جرت محاولتان لقتل أوزيريس بواسطة ست، وبعد المحاولة الأولى، صدر حكم ضد ست وأعلنت تلك الحكمة أمام فناء المعبد، مما دفع ست للقيام بثورة وتجميع حُشد للقتال ضد أوزيريس استمرت الحرب لمدة تزيد عن29 عاماً، وفي النهاية تم القبض على ست وحُكم عليه بالإعدام[٢].

كان أوزيريس بن جب ونوت ملكا على الأرض، وملكا صالحا على البشر نظر إليه أخوه بعين ملؤها الحسد، فتامرعليه، فقيد أخاه أوزيريس وشدّد وثاقه ثم قتله وألقى بجثته في مياه النيل، عندند أخذت أخته - الزوجة إيزيس وأخته الأخرى لفتيس تنتحبان، واعترى الآلهة الحزن والأسى وبدأت إيزيس ونفتيس رحلة البحث عن جثة أوزيريس التي تم إنقاذها من التحلل والتعفن بفضل والدته نوت التي ربطت عظامه

١ ـ موسى ، سهاد علي عبد الحسين، الصراع في الاساطير المصرية والسورية القديمة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، قسم التاريخ، جامعة واسط ، ٢٠٢٠، ص٦٨-٧٠

٢ ـ الشاهري ، سعد جابر طه ، رموز أهم الالهة في مصر القديمة دراسة دلالية تاريخية، رسالة ماجستير في الحضارة القديمة، جامعة الموصل/ كلية الآثار قسم الحضارة، ١٤٤٤هـ، ٢٠٢٣م ص١١٤

من جديد، ووضعت قلبه يجسده وأعادت الرأس إلى مكانه وكلها أفعال رمزية تشير إلى ميلاد جديد ثم يعيد إليه رع الحياة، ليؤمن على هذا النحو حياته الجديدة تأمينا كاملاً ونهائيا. وفي رواية أخرى تذكر ست دب في قلبه الحسد حياله بسبب ما أحيط به من حب تجاه (اوزريس) فتأمر عليه بمعاونة اثنين وسبعين من المتواطئين معه، وبعد أن قدر سراً وبكل دقة. طول جسد أوزيريس، صنع صندوقا على مقياسه كان جماله لافتا للنظر وأحضرت هذه القطعة الفنية الرائعة في القاعة التي أقيمت فيها وليمة أمام انبهار المدعوين وأوزيريس والاثنين والسبعين متأمراً ، ووعد بإهداء هذا الصندوق لمن يتمكن من التمدد بداخله. وبطبيعة الحال، كان أوزيريس الوحيد الذي استطاع أن يفعل ذلك. وعلى الفور، اندفع جميع المدعوين لإطباق الغطاء، وتسميره ووضع الأختام عليه بالرصاص المصهور، وثم ألقى الصندوق في النهر وهبط مع التيار ليصل إلى البحر. وأخذت إيزيس ونفتيس الباكيتان تبحثان عنه بحثا مضنيا وبلا انقطاع، وفى أخر المطاف عثرت إيزيس على جسد زوجها في ميناء بيبلوس وأعادته إلى مصر، ولكن ست الذى اكتشف الخبيئة التي وضعته فيها إيزيس قطع الجثمان إلى أربع عشرة قطعة، بعثرها في ربوع مصر، وانطلقت إيزيس ونفتيس تبحثان عن أجزاء الجسد المقدس المشتتة، وتنتحب المرأتان الباكيتان وتتوسلان إلى المعبود

"أيها الفتى الجميل، عد إلى دارك

فمنذ أمد طويل منذ أمد طويل، لم نراك

أيها اللاعب الجميل بالمصلصلة، عد إلى دارك

أيها الأول... بعد أن تكون قد ضللت بعيداً عنا.

أيها الفتى الجميل الذي رحل فجأة

أيها الشاب الشديد البأس، الذي لم يكن موسمه قد حل...

أيتها النطقة السرية الغامضة المنبثقة من أتوم.

أيها الرب الرب الذي لا يتميز عن آبائه.

ايها الأول في بطن أمه.

الينا في هيئتك الأولى.

أيها الكائن يا صاحب الوجه الجميل والحب العظيم"[1].

اما أسطورة الصراع بين حورس وست التي تعود الى العصر المتأخر في مصر القديمة (664 -332 ق.م)، تشكلت هذه الأسطورة في البداية كنواة قديمة، ولكنها تمتاز دائماً بقابلية التطوير والتعديل، فالأساطير المصرية تتميز بديناميتها وليست جامدة، وتكشف لنا عن وجود اتفاق بين حورس وست والذي كانت خدعة من ست للقضاء علي حور، وفي هذا الاتفاق قام الإلهان باللجوء إلي آلهة أخرى لفصل النزاع بينهما، وأجريت مسابقات في سباق القوارب والمصارعة وأخذت صورة فرس النهر لتحديد المنتصر في هذه النسخة من القصة، وفي كل مرة هزم ست حورس، وتم مساعدته من قبل معظم الآلهة الأخرى، استمر الصراع لمدة ثمانين عاماً والسبب الأساسي في ذلك هو تحزب القاضي الإله الخالق لصالح ست، في النصوص الطقوسية الحديثة، يوصف الصراع بأنه معركة كبيرة بين أتباع الإلهين في لحظة مفصلية، حاولت إيزيس أن تهاجم ست بحرية أثناء قتاله مع أبنها، لكنها ارتكبت خطأ وطعنت حورس بدلاً من ذلك، مما جعله يقطع رأسها في نوبة غضب، وعلي إثر ذلك قام تحوت بتعويض رأسها برأس بقرة، إن ما تناولته الأسطورة هو الصراع بين حورس وست وتركز على طبيعة الصراع القانوني بينهما تدخل الآلهة في اتخاذ القرارات وتمنحها صفة شرعية غير قابلة للاعتراض، ويظهر في الأسطورة أنّ الإله جب، إله الأرض، يصدر القرار الشرعي والقانوني بمنح الملكية الإلهية لحورس كوريث شرعي لأوزيريس [2].

وفي هذا النص توضح المنافسة والنهاية لميراث الحكم ومحاولة التسلط من قبل الاله ست على الحكم والتخلص من أخيه الاله حورس

"عندئذ أقسم متقسما بالإله ، قائلا : ولا يجب أن تعطى الوظيفة له حتى من المحكمة) معاً وسنبنى لأنفسنا بعض السفن الحجرية وسيتحدى (أحدنا

١ ـ كلير لالويت، الفراعنة . في مملكة مصر زمن ملوك الآلهة ، ت ماهر جويجاتي ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠، ص ١٢٨ـ ١٣١

٢ ـ الشاهري، سعد جابر طه، رموز أهم الالهة في مصر القديمة دراسة دلالية تاريخية، ص ٣٣

في السباق عندئذ من يضرب غريه (Xiis) تصبح له وظيفة الحاكم له والفلاح والصحة ! .

عندئذ بنى حورس لنفسه سفينة من أرز وجصصها بجص (سلفات الكلى)ودفع بها إلى الماء في وقت المساء، دون أن يراها أي إنسان في البلاد جميعها، وعندما رأى ست سفينة نوح وظنها من حجارة، وذهب إلى الجبل، وتحت قمة الجبل بنى لنفسه سفينة من الحجارة طولها مئة وثمانية وثلاثون ذراعا

عندئذ نزلوا بسفنهم الى حضرة الانباد، عندئذ عرفت سفينة ست في الماءثم استحال ست نفسه الى فرس النهر ليتمكن من اغراق سفينة حورس، ثم اخذ حورس حريته وراح يقذها تجاه ست ثم قال الانياد له لا توجها نحوه،"[١].

وخلف الإله أوزيريس، حدثت مدّة اغتصاب لمقاليد الحكم في مصر، إذ تمتلكها ست ألهه، وبعد ذلك تولى الإله حورس عرش البلاد يذكر جدول تورين مجموعة من ثلاثة آلهة مهمة في العديد من الأدوار، وتضمنت تحوت ودوره ومهمته وأيضًا ماعت[٢] يتواجد إله يسمى حور، ولكن غير معروف باقي اسمه، ويعد وجوده دليلًا على الصراعات التي أدت إلى توحيد البلاد، وهذه الصراعات كانت سبباً في ظهور العديد من العائلات المحلية قام منى بتأسيس مصر العليا والسفلى، وتكررت فيه اسم حور مرتين، ولكن بفارق مهم. في المرة الأولى، كتب الاسم بمعنى (بشري)، بينما كتب في المرة الثانية بمعنى (إلهي)، ويعد منى تجسيداً جماعياً دون تحديد شخص محدد لمجموعة الزعماء المحليين الذين يؤمنون بالوحدة ومثالها الأعلى[٣].

١ ـ جميس، بريتشاد، نصوص الشرق الادنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، ت عبد الحميد زايد ،وزارة الثقافة هيئة الاثار المصرية ، ١٩٦٩، ص٧٢

٢ ـ وتحتل ماعت مكانة متميزة في مجمع الآلهة، وهي ليست إلهة بمعنى الكلمة، بل بالأحرى كيان مجرد يمثل التوازن الذي وصل إليه الكون بفضل الخلق، أي التوافق مع حقيقة طبيعته: ومن ثم فهي مقياس كل شيء بدءاً بالعدل وحتى اندماج روح المتوفي في النظام الكوني بعد المحاكمة الأخيرة في التي توازن وزن الروح في ميزان " تحوت "، وهي أيضا غذاء الألهة فتمنحهم الانسجام والتوافق، وكان عهد "ماعت" العصر الذهبي، ومهمة كل ملك العمل على أن يسود هذا العصر من جديد عن طريق مواجهة القوى السلبية التقليدية التي تسعى يومياً لوقف مسيرة الشمس إن "ماعت" نقطة البداية لكل دورة من تاريخ دورى ينظر نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة د. زكية طبوزادة، ط٢، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ص٥٢-٥٩

٣ ـ نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة ، ص٥٢-٥٩

المبـــحث الثـــانـــي

استبداد الالـهة ضد البشر

بالرغم من أن البشر يعيشون في عالم لا يمكن رؤية الآلهة فيه، إلا أنها تؤثر فيهم بقوة وفعالية، وفي كل صباح عندما يفتح الكاهن المصري المقصورة المقدسة المغلقة بإحكام في حرم المعبد، تتملكه روعة الإله وعظمته؛ ويقول في ترتيله اليومي إلى (آمون – رع) ملك الآلهة :"**روعتك في جسدي، وعظمتك تعم أطرافي**" وتمثل (البراعة، والعظمة)، محاولات للإشارة إلى التعبير المصري سنت snht وشفشت (ft) في لغة حديثة، ويمكن أن تعني كلمة سنت أيضا (الخوف) من شخص ما، في حين تعني كلمة شفشت (السلطة)، التي تحيط صاحب مقام رفيع .وحينما يري الكاهن تمثال الإله ، يحس بالقوة التي تنبعث من شخصيته ؛ وحينما يظهر الإله نفسه، يثبت نفس القوة في تألقه، وشذاه، وانفعاله، وأول إحساس يستحوذ على المصري الذي يقابل معبوداً أو رمز إله هو الخوف الممزوج بالدهشة والابتهاج الشديد، لكي يجعل المعبود المصري أي نوع من اللقاء ممكناً، لا بد أن يقول: (لا تخف)، كما ثبت في قصة الملاح الغريق وذلك لأن الآلهة عبارة عن قوي عليا، لا يمكن التنبؤ بظهورها هي غريبة في بعض الأحيان، وكما تظهر الحب والعطف، تظهر وجوهها المرعبة أيضا، وهذا ما يعرف بالتأثير الألهي واستجابة البشر له [1].

وإن الآلهة سخمت لها دور في صراع الآلهة وإن اسم سخمت مشتق من كلمة "سخم" والتي تعني ("قوي" و " شديد") والمتسلط الذي يدل على قوة الآلهة وبأسها الشديد، فقد كانت آلهة حرب في الدرجة الأولى إذ كانت تنكل بالعدو وتسحقه، يقال عنها أن معظم صفاتها تربطها بإله الشمس، فضلاً عن ذلك كانت تدعى (عين رع) أي تصبح ممثلة عن الإله عند اتخاذ قرار ضد أعدائه، وأصبحت عين إله الشمس المدمرة التي تهاجم القوى الشريرة لمنعها من أنّ تصيب إله الشمس بأي أذى، وتصاحب الملك في كل معاركه بوصفها آلهة للحرب، إذ أصبح دورها يتلخص في

١ ـ اريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد، ترجمة: د. محمود ماهر طه، مصطفي ابو الخير، مكتبة مدبولي، مصر ـ القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٠٣

الدفاع عن الأوامر الملكية والحفاظ عليها وقد عدّت رمزاً لكل الأزمات التي يلاقيها المصريون، عندما يغضب إله الخير عليهم فعندما يصيب المصريين وباءً أو خوفً او جوعً ينسبونه إلى الآلهة سخمت، فهي في قوتها وشراستها كالنار، لا تستثني أحداً عند غضبها، ولا تبقي على شيء[1].

تم اتخاذ قرار من قبل إلهة حتحور بإعادة استئصال البشر جميعًا. ولكن أدرك إله رع أنه يجب أن يشعر بالرحمة نحو البشر، فقام بإرسال رسله إلى جزيرة الفنتين للحصول على فاكهة حمراء اللون، وثم نكّلها وخلطها بالجعة التي قامت الخادمات بتحضيرها، مما أدى إلى الحصول على مشروب يشبه دم البشر، وفي اليوم الثاني قرّرت إلهة حتحور الذهاب لتدمير البشر قبل ذلك، أمر إله رع برش الخمر على الحقول عندما جاءت إلهة حتحور وتناولته، أصبحت ثملة ونسيت ضحاياها من البشر بذلك، تمكن إله رع من إنقاذ البشر من الدمار المحتوم، إذ كان المصريون القدامى يخشون ويحترمون إله رع، لا سيما بوجوده في العالم الدنيوي متجسدا بشخص الفرعون الحاكم، ويوجد أحيانًا صراعات تنشأ بين الآلهة والبشر، ومن المثال على ذلك ملحمة كرت، التي تظهر فيها ثلاث مراحل من الانتقام للإله الخالق. في المرحلة الأولى، نصح الآلهة الإله بأن يرسل بشخصية تفنوت، ويعتقد أن هذه المرحلة كانت مجرد إرهاب لأعداء الإله من البشر، فهربوا بمفردهم دون تعرضهم لأي ضرر. وقد يكون إرساله بصورة تفنوت كان متوافقًا مع عدم رغبته في قتل البشر ورحمته بهم. عندما أرادت الآلهة وإله رع تنفيذ الانتقام الفعلي ضد البشر، كان من الضروري أن تقوم إلهة أكثر شراسة بذلك، ويتضح من ذلك أن صراع الإله الخالق مع البشر نشأ بسبب أخطائهم، وهو ما يميز الإله الخالق برحمته وتسامحه تجاه البشر، وهذه الرحمة تتجلى في العديد من المواقف، مثل عمل المجمع الإلهي السري الذي حرّم على البشر أن يرى قلوبهم، وبالطبع تمثلت رحمة الإله رع في حماية

١ـ الشاهري، سعد جابر طه، رموز أهم الالهة في مصر القديمة دراسة دلالية تاريخية، ص١١٤

البشرية من الغرق بفيضان عام، وكان هذا من رحمة الإله الخالق بنا، ولم يقم بذلك لإهلاكها بل لإنقاذها[1] كما في النص التالي

"ثم شعر جلالته بالأشياء التي دبرت ضده بوساطة الجنس البشرى ، فقال جلالته ـ له الحياة والفلاح والصحة ! ـ إلى أولئك الذين في معيته : «صلوا ، ادعوا لى عينى) وشو وتفنوة وجب ونوت ، كذلك الأباء والأمهات الذين كانوا معى حينما كنت فى نون) ، كذلك أيضا إلى إلهي نون . عليه إحضار حاشيته (5) معه . انت ستحضرهم خفية : لا تسمح للناس بالرؤية لا تسمح لقلوبهم بالهرب "... يا أيها الآلهة السالفين ، أبصروا البشر الذين جاءوا إلى الوجود من عينى أشياءاً ضدى . أخبروني ، ما الذى يجب أن تعملوه بشأنها . انظروا ، فأنا أجد في البحث ، سوف لا أذبحهم حتى أسمع ماذ الذى يجب أن يمكن أن تقولوا عنها». ثم قال جلالة نون : ياولدى رع ، الإله الأعظم من ذلك الذي صنعه والأقوى من أولئك الذين خلقوه ، مستويا على عرشك ، الخوف منك عظيم. (توجه) عينك ضدهم أولئك الذين دبروا مكيدة ضدك». ثم قال جلالة رع : أنظر ، لقد هربوا إلى الصحراء ، أن قلوبهم واجفة ربما لإنني اتحدث إلهم . ثم واوفى حضرة جلالته : ليت عينك ترسل حتى تتمكن من أن تقبض لك على أولئك الذين خططوا أشياء شريرة. (لكن) العين ليست قادرة (بقدر كاف في ذلك لتضربهم من أجلك عليها أن تهبط كـ حاتحور»

ولهذا السبب أنت عندئذ هذه الإلهة وذبحت البشر في الصحراء ثم قال جلالتة. هذا الإله : مرحبا يا حاتحور التي صنعت من أجل المأثرة التي من اجلها جنت ثم قالت هذه الإلهة : «بما أنك تعيشي من أجل " فأنا أسود على البشر وهذا سار في قلبي ثم قال جلالته ساسود عليهم كملك بانقاصهم

هكذا كيف جاءت سخمة إلى الوجود، عصيدة (الجمعة) التخوض في دمائهم من هيراكليوبوس" [2].

١ ـ سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة،ص٢٠٨

٢ ـ جميس، بريتشاد، نصوص الشرق الادنى القديمة المتعلقة بالعهد القديم ، ت عبد الحميد زايد، وزارة الثقافة هيئة الاثار المصرية، ١٩٦٩، ص٥٦

كان الغروب لدي المصريين القدماء يعني نهاية الحياة وايضا الغرب تعني الصحراء القاحلة لا توجد فيها حياة لذا كان المصري القديم يفضل الذهاب الي الغرب لا يجاد العدالة التي لم ينعم بها في حياة الدنيا فقد ورد في احد النصوص **"البلاد في تصدع، في انهيار، اتضحت بلاد الغرب"** اي البلد ميت يسودها الظلم والتسلط والاستبداد، وفي حوار البائس مع **روحه "اتوسل اليك ان تقودني الي الموت قبل ان اقدم عليه، وان تجعل الغرب بهيجا لي "** وفي هذا التمني صورة نفسية لرجل تمني الموت ورؤية العالم الآخر لغرض الصلاح والقبول علي العيش في حياة الدنيا التي كان يسودها الظلم [1]

تعد أسطورة إيزيس وأوزيريس نموذجاً للآلام التي يتعرض لها البشر، وفي هذه القصة، يعد الزوجان الثانيان ست ونفتيس عاقرين، إذ يعد الزوجان الأولان خصبين ونموذجًا للعائلة المالكة، وكان أوزيريس ملكًا علي مصر؛ إذ قتل علي يد أخيه ست، والذي يمثل القوي المنظمة السلبية وبعد موته استولت ست علي عرش أوزيريس، وأما إيزيس فتُعتبر نموذجًا للزوجة والأرملة ساعدتها أختها نفتيس في تجميع أشلاء جسد زوجها التي تمزقت ولد أنوبيس، ابن آوي الذي يقال أنه ولد من علاقة غير شرعية بين نفتيس وأوزيريس، لمساعدة إيزيس في تحنيط الملك المتوفي، وبعد وفاة زوجها ولدت إيزيس ابنًا يُدعي حورس، والذي يعد إله الشمس في إدفو ويتجسد في صورة صقر، وأخفت إيزيس حورس في مستنقعات الدلتا بالتواطؤ مع الإلهة حتحور البقرة المرضعة، وعندما كبر واشتد عوده دخل في صراع مع عمه ست، وحصل علي حصته من تركة أبيه بموافقة محكمة الآلهة التي ترأسها جده الإله جب، وهذه هي الخطوط العريضة لحكم الآلهة كان يتم تغذيتها بعدد من الأساطير الثانوية أو التكميلية والتي كانت تضم ال توجد في العديد من الثقافات إلهة محلية تتصف بالقوة والقدرة علي صنع الحياة، وفي قصة الخلق يتم تناول دور هذه الآلهة وتصويرها كمبدعين للكون بأكمله، يتجلى ذلك في قدرتهم علي الدمج التوفيقي بين مجموعات

١ـ الدلفي، نجم عبيد مرعيد، الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين، ص٢٧٩

الآلهة المختلفة، وهذا يؤدي إلي تشابك الأساطير وتداخلها مع بعضها البعض، ويظهر في هذا التشابك العقد المعقد للأساطير الذي يتم تسليط الضوء[١].

ويبدو أن هناك آلهة مساعدة يقع على عاتقها مهمة تنفيذ العقاب، إذ وردت إشارات إلى مسميات اثنتين من الإلهيات الاثنتي عشرة في المستوى العلوي من القسم الأول من كتاب (الإيمي دوات)[٢] إلى دورهن في العقوبات الدموية الموجهة ضد الآثمين في العالم الآخر، اذ يرد في النص: الذباحة قاطعة رؤوس المتمردين.

أمّا الطريقة الثانية للانتقام من أعداء الإله فهي الذبح أو قطع الرقبة، وتُعدّ تلك الآلية التي استخدمتها الإلهة للثأر من أعدائها من البشر أكثر الطرق انتشاراً في مملكة الموتى، وربما تكون مستوحاة من تصورات الإنسان المصري القديم في صراعاته الدنيوية ولاسيما الملوك، فكما كان الملك ينهي صراعه مع أعدائه بالانتقام منهم عن طريق ذبحهم أو فصل رقابهم، نرى الإلهة تستخدم الآلية نفسها للثأر والانتقام من أعدائها، ولعل ما يؤكد ذلك وجود هذه المناظر ممثلة على صلاية الملك (نعرمر) (3100 ق.م) وعلى أحد جوانبها مشهد يمثل الأعداء راكعين مفصولي الرأس ورؤوسهم موضوعة بين أقدامهم، فضلاً عن نصوص الأهرام التي وردت فيها إشارات إلى استخدام الذبح وقطع الرقاب وسيلة للانتقام من الأعداء، وهذا ما تجلى في صراع الإله (أوزير) تشير إحدى فقرات متون الأهرام إلى ما يلي:

"أمسك جحوتي بأعدائك وذبحوا بين الذين هم أتباعه، الذباحون يقبضون على سكاكينهم بينما تعنى الإلهات بالأجساد المقطعة"[٣]. هذا ولا يمكن تلخيص ما

١ ـ نيقولا جريمال،، تاريخ مصر القديمة، ص ٥٤

٢ ـ كتاب الايمي دوات هو من اهم الكتب الدينية التي سجلت على جدران المقابر الملكية منذ بداية الاسرة الثامنة عشرة وكان يمثل الزخرفة الوحيدة لحجرات الدفن ويعد اقدم كتب عصر الدولة الحديثة وقد ظهرت في ستة عشرمقبرة ملكية، بالاضافة لمقبرة الوزير (وسرامون) من عهد الملكة حتشبسوت وقد ظهر لاول مرة في مقبرة الملك (تحتمس الاول)في وادي الملوك وفي مقبرة الملكة حتشبسوت وان كان يرجع الخطوات الاولى لهذا الكتاب قبل ذلك بكثير ثم ظهر الكتاب كاملا في حجرة مقبرة الملك توحتمس الثالث ثم مقبرة (امنحوتب الثاني) الذي وضع ساعات الكتاب كاملة في تتابع ووضع النسخة المختصرة في النهاية وقد سجلت الساعة الاولى في مقبرة توت عنخ امون، وقد كان هذا الكتاب حصرا على الملوك للمزيد ينظر ايزابيل فرانكو، اساطير والهة ، ترجمة : محمود ماهر طه (القاهرة ،٢٠٠٥)، ص٧

٣ ـ سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد علي، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة، ص ٢٠٥.

عرفناه حتى الآن عن تصرفات الآلهة المصرية بأفضل من سطور جوته الخالدة من (حدود البشرية)

"ماذا يفصل ويميز

الآلهة عن البشر ؟

تتدفق الأمواج عديدة قريبة

أمام الآلهة،

نهراً لا ينتهى

تبتلعنا موجة

ونحن نغرق ونغرق"

تتدفق الأمواج من آلهة مصر، وتتقاذف البشر في وسطها الآلهة العظيمة والقوية تهزاً من غرور البشر واستعلائهم الآله هو الفعّال، الذي لا يمكن أن يطرد من السماء أو من على الأرض هو البناء العظيم الذي يُخَلِقُ في يديه البشر من الطين والقش، ومن الواضح أن المصريين لم يجربوا التشوق إلى الوحدة مع المعبود فهم يكتفون عندما يقتربون من الآلهة، لأنه لا يمكن لأي شخص الاقتراب منهم أكثر من ذلك بدون أن يُعاقَبَ، وعلى الرغم من أن آمالهم في العالم الآخر تكمن في أن يصبحوا مثل أي إله، وتسندهم إحدى وظائف الآلهة العظيمة، إلا أنهم يؤثرون في تقدم العالم بأنفسهم[1]، وتعرف مصر على أسطورة ثورة البشر ضد الخالق الذي قرر القضاء عليهم بناءاً على مشورة مجلس الآلهة، وفي هذه الثورة تم إرسال عين الخالق على شكل إلهة تُدعى (حتحور)، وهي مبعوثة الغضب الإلهي في يومٍ واحدٍ، افترست حتحور جزءاً من البشر، ثم استلقت للنوم، ورأى إله الشمس رع أن يكتفى بتلك العقوبة، لذا قام خلال الليل بسكب الجعة التي اختلطت بمياه النيل، حتى يصبح لونها كالدم عندما استيقظت (حتحور)، بدأت تلعق هذا الشراب حتى فقدت، وبهذه الطريقة، نجت البشرية، ولكن بعد أن خاب ظن رع فيها، قرر الانسحاب إلى السماء، إذ استقر فوق ظهر البقرة السماوية التي يحملها إله الجو شو، وسلم إدارة شؤون الأرض إلى

١ - إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص ٢١٣

إلهة الروحانيات تحوت، وكما سلم رموز الملكية التي تتمثل في الثعابين، إلى إله الأرض (جب)، وبهذا تم فصل الآلهة عن البشر نهائياً، ولا رجعة فيه، سبق وأن تم الفصل بين المخلوقات الإلهية والبشر من قبل، لكن الآن تمت إعادة الفصل بشكلٍ نهائي كان كل شخص كانت له مكانة محددة في الكون الجديد الذي كان يتسم بمكانة جديدة وزمان جديد، وتروي لنا أسطورة قصة تهدئة الغضب بواسطة إلهة بعيدة: في سورة غضب هناك لبؤة تهدد سكان منطقة النوبة بالرعب، ولذا تم إرسال رع مبعوثاً ليأخذها ويعيدها إلى مصر بعد أن يهدئها ويحولها إلى قطة، وقد اختار إله الشمس هذه القطة لتكون حافظته الشخصية[١].

وكان السبب الرئيس لصراع المعبودات مع البشر في العالم الآخر هو أنهم كانوا يعملون ضد النظام الذي وضعه الإله الخالق، وأيضاً ضد إرادة الآلهة فقد أظهروا الآلهة بالمعاصي والذنوب في العالم الدنيوي والأخروي، وألحقوا الأذى والضرر والألم بالإله (أوزير)، إذ أنهم أحياناً اتخذوا دور الإله (ست) وجعلوه يتعرض للأذى والضرر، وقد قاموا بأفعال تتعارض مع إرادة الآلهة، وليس هؤلاء الأعداء راضين عن معارضة (أوزير) فحسب بل توسعت أعمالهم لتشمل (رع) وحتى الموتى الصالحين.

وفقا الوصف من (كتاب الأرض) لمكان الذبح في القسم الرابع، يدين تظهران من الأرض تحملان غلاية تحوي رؤوساً وأجزاءً من أجساد الأعداء تمثل اليد الأولى يد الفرن، وبينما تمثل اليد الأخرى الجسد تنبعث اللهب من كل رأس، ويصل إلى المراجل النارية هناك إلهان يحملان سكيناً يشرفان على تنفيذ العقاب، وبينهما نرى إلهتين ينحنيان فوق قلبٍ ضخم، معبرتين عن حماية هذا القلب المقدس[٢]

من الجدير بالذكر أن الآلهة عملت على إبادة أعداء الآلهة من البشر عند نزولهم إلى العالم السفلي، حتى لا يلحقوا بقارب الشمس، ويحدثوا الأضرار به، فلقد كان انتقامهم وصراعهم مع هؤلاء البشر من أجل إبادتهم إبادة تامة، وكان ذلك يتم أولًا عن طريق

١ ـ نيقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة ، ص ٥٦

٢ ـ سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد علي، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة ، ص ٢٠٠

تقييد الأعداء في مرحلة أولى حتى تأمن الإلهة شرهم من اللحاق بمركب الإله رع في رحلته الليلية، تلي تلك المرحلة عملية إبادتهم عن طريق النار أو الذبح وفصل رؤوسهم عن أجسادهم، وأن الغرض الأساس من هذا الصراع هوإفناء أعداء الآلهة من البشر عند نزولهم إلى العالم السفلي كما يفنى (أبوفيس) (Apophis) عدو النظام الشمسي، رمز القوى الفوضوية، ولكي تقضي الآلهة على هذا الكيان الشرير المتمثل في تلك الفصائل من البشر، حرصت على إبادتهم ومحوهم بالكامل بدايةً من الاسم، والظلال والأرواح، وأيضاً التأكد من عدم وجود أي طرق للمساس بالنواة الأساسية لهذه الفضائل وعدم تمكنها من العصيان مرة أخرى عن طريق أبنائهم، وهو ما يؤكده تصويرهم بدون الأعضاء التناسلية التي تسمح لهم بالإنجاب[١].

وفى مواجهة القسوة المرعبة للآلهة، والتي لم تهدد في النصوص الجنائزية القديمة الآثمين فقط ، بل تعتبر خطرا عاما في الحياة الآخرة ، يحمى الإنسان نفسه بالطقوس التي إذا ما أداها بشكل سليم يبطل أثر الوجه الخطر للمعبود وتضمن أن العالم سيستمر بطريقة منظمة صحيحة وملائمة، ومنذ نصوص الأهرام ، أقدم مجموعة تعاويذ للحياة الآخرة ، نجد أيضا دعوات واستغاثات من الميت إلى مختلف الآلهة أنّ تحميه من جميع أخطار وعوائق العالم الآخر، وأن توقف وتمنع الآلهة الأخرى أو الموتى من البشر أن تؤذيه . ومن الممكن أن يرتفع هذا النوع من التوسلات إلى مستوى التهديد الموجه للآلهة وهو شكل مختلف جديد ومدهش في العلاقة بين الإله والإنسان[٢].

" أيها المذبوحين، الذين ليس لهم رؤوس، الذين في مكان التدمير، يا من سقطتم إلى اسفل، وليس لهم أرواح في مكان التدمير، أيها المقلوبون، المقيدون الذين في مكان التدمير، إيها المقلوبون، الدامية أجسادهم، والمنتزعة قلوبهم في مكان التدمير"

يمكن تقسيم النص إلى فقرات متعددة على النحو التالي:

١ - سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد علي، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة ،ص ٢٠٤

٢ - إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص٢١٣

الفقرة الأولى: يتحدث النص عن دور الآلهة الأربعة الذين يحملون السكاكين، وكيف أنهم يقومون بالانتقام من هؤلاء الأعداء، **والفقرة الثانية**: يتناول النص السبب وراء الانتقام الشديد الذي يتعرض له هؤلاء الأعداء، ويرجع السبب إلى قيامهم بإثارة القلق والمتاعب وارتكاب الآثام في العالم الآخر، ربما حتى في حق الإله (أوزير) **الفقرة الثالثة:** يبدأ النص بوصف تسليم هؤلاء الأعداء إلى أماكن الذبح التي تخص الإله (أوزير)، مما يدل على أنهم تسببوا في المتاعب لهذا الإله في العالم الآخر، وقد تحدوا الإله بالآثام التي ارتكبوها، وبالتالي يتحقق انتقام الإله عن طريق الإلهة المعنية بتصفية حساباتهم، **الفقرة الرابعة**: تشير متون التوابيت إلى رعب العصاة والأعداء من أماكن الذبح وخوفهم من دخولها، **الفقرة الخامسة** الفقرة بالحديث عن تفاصيل المكان وتفاصيل الرعب الذي ينتاب العصاة والأعداء من الدخول إليه[١].

تخيل المصريون أن على المتوفى في العالم الآخر ان يسلك طريقين: **الأول** مائي و**الثاني** بري وبينهما نار مشتعلة يهوى فيها المتوفي اذا لم يتمكن من السير في السبيل الذي سلكها وكان عليه ان يسير في الطريق الذي اختاره ولا يلتفت يمينا ولإيسارا، وكان عليه أن يقابل في السبيلين أهوالا كثيرة ومخلوقات وحراساً برؤوس مخيفة تقف في وجه كل من لا يعرف الصيغة، فإذا عرفها وتلاها أمام الحارس هيأ له الطريق وسمح له بالمرور إلى إذ توجد حقول (اوزير)، عند ذلك تنعم روحه التي ترافق الشمس في رحلتها الى الشرق والغرب والى العالم السفلي دون غيرها من جبانات الأقاليم[٢].

من اهم ملامح الاستبداد في مصر القديمة وهي قتل الاحياء لغرض مرافقة الاموات وهي تجري هذه العادة عند احد الملوك بدفن بعض افراد عائلته وخدمه وهم على قيد الحياة لكي يؤدوا له في العالم الاخر نفس الخدمات التي كانوا يقدمونها له في الحياة وظلت هذه العادة مستمرة طوال عهد الاسرة الاولى حتى اخر ملوكها وهو

١ ـ سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد علي، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة ، ص ٢٠٧

٢ ـ السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة فى تاريخ الأقاليم حتى ، ص٢٧٨

الملك (قاعا) الذي حظر هذه العادة وتحديدا في الجزء الشمالي من البلاد ثم انتشر الحظر الى باقي البلاد[١].

أنّ أكبر هدايا الإله أهمية إلى الجنس البشرى لذلك نجد من أواخر الدولة الحديثة مناظر الإلهيات الحاميات التي تدفع الهواء بأجنحتها إلى المتوفى، لأن الهواء هو الحياة وفى مناخ مصر الصحراوي الجاف نجد نسمة ريح الشمال تحيى وتنعش، وهذا يعنى الحرف الهيروغليفي المعبر عن الحياة (عنخ)، وهو أكثر الرموز الممسوكة بأيدي الآلهة شيوعاً أنها تملك الحياة وتنشرها ونجد الحياة ممسكة بها أيدى الآلهة المصرية بدرجة واضحة موجهة إلى كل الكائنات الحية، وليس للجنس البشرى فقط وفي الدولة القديمة تبين نقوش المقابر كيف أن عناية الخالق تؤثر في كل ما في الطبيعة وتمده بالغذاء حتى النملة في عشها، وفي التراتيل الشمسية في الدولة الحديثة نجد صورة الجنين في بطن أمه الفرخ الصغير في البيضة) الذى يجعله إله الشمس قادرا على التنفس والبقاء حياً، وأكثر تعبير مطلق عن: الجوهر الداخلي، لاهتمام الآلهة الدائم بالعالم فهو يتخلل عالم الخليقة كله، كما تفعل أشعة الشمس؛ ويعلن أخناتون في ترتيله العظيم لأتون قائلا:"أشعتك تغلف كل الأراضي إلى أبعد نهاية أي شيء خلقته وفى نفس الوقت"، ابتكر فنانو أخناتون رمز قرص الشمس بالأشعة، وهو أكثر الرموز إثارة والتي تدل على العناية المحبة من إله الشمس الذي يعنى ضوءه الحياة لأنه يمد العالم بأسبابها، وتنتهى أشعة قرص الشمس الممتدة بعيداً بأيد بشرية تمسك برمز الحياة حتى أنوف الأسرة الملكية، وتصور هذه الصورة الضوء في وضوح كبير على أنه حامل نسمة الحياة . والضوء هو الحياة، حتى في عالم الموتى المظلم الذى يمر فيه إله الشمس[٢].

١ ـ زناتي، محمود سلام ، حقوق الانسان في مصر الفرعونية ، ص٧٧

٢ ـ إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص ٢٠٦

المبـــحث الـــثالـــث

محاولات كسر الاستبداد الإلهي

يتمثـل الصـراع القـديم بـين الآلهـة والبشـر فـي مصـر القديمـة نتيجـة الأخطـاء والمعاصـي التـي يقـوم بهـا البشـر، إذ كانـت مبـارزة الآلهـة بالمعاصـي هـي إحـدى الأسباب التي قد يحل بها غضب الآلهة وانتقامها من البشر، ويبدو أنّ انتقام الآلهة وصراعها مع البشر عند المصريين القدماء لم يكن مقتصراً علي الحياة الدنيا، وإنما تمتد تلك الصراعات بين الآلهة والبشر حتي في العالم الآخر لتحقيق انتقامها منهم بسبب الأخطاء والآثام التي ارتكبوها في العالم الأسفل، وأن الأسرة الأولي من الملوك البشر الذين قدمهم في قائمته سبقتها أسرتان من الآلهة وأنصاف الآلهة، وقد ترك أوزير آخر الآلهة العظام الملك لابنه (حورس)، ومن هذا الأخير انحدر كل ملوك مصر، وبذلك يكون حق الملك في الحكم مستمدًا من طبيعته الإلهية[١].

يعد الملك في العهد القديم ليس ملك فقط وانما اله له جميع السلطات الدينية والدنيوية وهو مطاع من قبل الجميع ويقع في مرتبة أعلى من الجميع إذ يمثل سليل الآلهة في الأرض وهو مسؤول عن بناء المعابد الكبيرة أما هو فيسكن القصر الذي ينقش عليه اسمه داخل اطار مميز(الخرطوش)[٢].

الملوك والاحكام قبل الأسرة الأولى ما بين (3100 -2890ق.م) قد تعددت اسماؤهم والقابهم وقد فرقوا بين الملك الاله وبين الملك المعبود ومن أهم القابهم (ملك الربتين) لا نه اتحدت فيه شخصيا كل من الإلهة الحامية للوجه القبلي (نخبت) والتي كان يرمز اليها بناتي العقاب (واجبت) اي الإلهة الحامية الوجه البحري هذا اللقب يؤكد صلة الملك بالإلهة الحامية له ولصيغة عدم المساواة معها، إذ لقب حاكم مصر بـ (حور الذهبي) كتعبير عن القمة والمجد والرفاهية التي يتميز بها الملك واللقب الاخر(نيسوت بيتي) ويعني المنتسب الى نبات سوت (البوص)[٣].

---

١ - سمار، سعد عبود ، علي عبد الحسين، سهاد، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة ، ص ١٩٨

٢ - ناصر الانصاري، المجمل في تاريخ القانون المصري ، ص ٣٥

٣ - الخفاجي، علي مزهر، نظام الحكم في مصر اللا مركزي، ص٣١٠

تعد أسطورة دمار البشر: هي التي تعبر عن الخطيئة التي ارتكبها البشر ضد الإله رع، وحدث تكون اللون ذلك في زمن كان البشر والآلهة شيئا واحدا يتعايشون معا علي الأرض، أدت الآلهة "سخمت" اللبؤة دوراً مهماً في أسطورة هلاك البشرية، فقد عدت ابنة الإله رع ولهة الحرب التي تحمي أباها من شر الأعداء ومضمون أسطورة هلاك البشرية، يشير الى أن رع عندما اصبح الإله رع كبير في السن، قام البشر بالتمرد ضده، فقام بإرسال الآلهة (سخمت أو حتحور) التي اتخذت شكل سخمت التي تعد عينه لمعاقبة المتمردين، وبعد مشاوراته مع آلهة التاسوع المقدس اتخذ قراره أن يقتل البشر ويهلكهم، إذ أرسل سخمت بهذه المهمة الفتاكة، فقد أوقعت الدمار بالجنس البشري وكادت أن تنهي البشرية، من أجل الانتقام لوالدها الذي ترك الأرض لأبنائه الآلهة وارتقى إلى السماء على ظهر الآلهة حتحور(البقرة) فجلس الإله على عرشه في السماء ينظر إلى الأرض ويرى البشر مذعورين يجرون هنا، وهناك تاركين بيوتهم ومدنهم ، ومنهزمين إلى الصحراء، إذ تحولت الآلهة (حتحور) إلى صورة لبؤة (سخمت) ورأت المتأمرين على والدها مهزومين في الصحراء فأنقضت عليهم وقتلتهم ومزقت أجسادهم ، شربت دمهم ، وقد كانت متعطشة لدماء البشر فقتلت كل الهاربين في الصحراء، واتجهت إلى القرى والمدن حتى الأطفال لم يسلموا منها فعندما رأى رع الدمار والقتل الذي حل بالبشر اشفق عليهم من أبنته، فوجد طريقة يخفف من غضب الآلهة (سخمت) على البشر بعد أن أصرت على إبادة البشرية جميعاً ولكي يخففوا غضبها ويحتموا منها ليتقوا شرها وضراوتها فقد أقاموا القوم ومنهم الكهنة بطقوس الشراب (الخمر)، الذي جعلها في سبات عميق فنسيت ماكنت تقوم به قبل نومها، وكذلك فتكت بمساعدين ست في أسطورة صراع حورس و ست ، فضلاً عن دورها المهم في محاربة الثعبان ست والتغلب عليه الذي كان العدو اللدود للإله رع في رحلته للعالم السفلي[1].

يعد السحر سلاح الآلهة التي تباغت العدو فتبطل هجومه، وبذلك تضمن الحماية والأمن والحرية لعالم النظام المهدد دائما، وكما أن قوى الفوضى والتشوش قبل

١ ـ البوخاري، سفيان، الديانة في مصر القديمة (٣٣٢-٣٢٠٠ ق.م)، قسم التاريخ - جامعة ابن طفيل - القنيطرة – المغرب، مجلة جامعة البيضاء - المجلد (3) - العدد (3)2012، ص١٠٦

الخلق لن تتم هزيمتها بالكامل، ولكنها تثير مقاومة مستمرة، تحاربها الآلهة في السماء وفي العالم السفلى، وعلى الأرض بيد الملك في المقام الأول يعد أدق، إن أقوى الأسلحة وهو الطاقة الخلاقة للسحر[١]، لن تتيسر إلا للآلهة، ولذلك لابد أن يقوم الساحر على الأرض بدور معبود كى يفسد هذه القوة القوية الخطرة.

ويملك الملك - الذي يلعب دور الإله الخالق على الأرض بحكم وظيفته القوة السحرية، للفظ الخلاق في خدمة نفسه آليا، ويفرض إرادته على البلاد البعيدة عن طريق القوة السحرية لكلمته في شعائره وطقوسه بهذه الوسيلة. لقد أعطت الآلهة السحر للجنس البشري كسلاح خاص للدفاع عن النفس - كما ورد في تعاليم مريكارع أن الناس أسرهم ما يمكن أن يفعله المرء بالسحر، ولم يراعوا عواقب تصرفاتهم، فلم يترددوا في أن يحولوا الأسلحة الدفاعية إلى أسلحة هجومية، ويستعملوها ضد الآلهة التي يدينون لها بهذه الهبة السحرية، وتعود تهديدات الآلهة إلى عصر نصوص الأهرام، وقد كان الهدف من هذه التهديدات في بداية الأمر أن تحمى الميت من الآلهة التي قد تمنع صعوده إلى عالم الآخرة المبهج ، إذ تقول النصوص كل إله لا يأخذ (الملك) إلى السماء لن يقابل باحترام، ولن تكون له بـ (ba) (روح)، ولن يذوق كعكة، ولن ينطلق إلى قصر حورس الذي في السماء[٢].

ومن الواضح أن الديانات المحلية قد استفادت من مولد دويلات صغيرة حول العواصم الاقليمية بإذ ارتقى اله كل مدينة بالدرجة التي كانت كل مدينة تنسب فيها الى اله اقليمها بإذ شاع اسم مدينة الإله، ويضمن مسميات عواصم الأقاليم من ناحية وارتبطت هذه الإلهة بعواصم الأقاليم من ناحية أخرى بأن أضيف الى اسمائها لقب

١ - السحر والدين قطبان في سياق متصل، كل منهما يلقي بظلاله تلقائيا على الآخر. أي أنه كان يمارس نوعا من العلوم الزائفة التي يثق بها تماما، ومع مرور الوقت اتضح للإنسان أن قوى الطبيعة كانت خارجة عن سيطرته السحرية، ولذلك تصور أنها كانت تحت سيطرة الإلهية المتعالية. القوى، وهنا انتقل من ممارسة السحر إلى عبادة تلك القوى الإلهية واسترضائها على أمل استمالتها إلى الجانب وتحقيق أغراضه، أي أن الدين ظهر بعد فشل السحر، ومن المفيد هنا أن نقول أنه عندما تكون الطقوس قسرية في أغراضها (أي فهم يعملون على استمالة الآلهة وإقناعهم، والتعاون له طابع الدين، ويستطيع الساحر البدائي، في نفس الطقوس، استرضاء القوى والتراسل معهم بالطريقة الدينية، ثم يتجه بعد ذلك إلى إصدار الأوامر للقوى في بالطريقة السحرية، وربما ينوي تهديدهم.)ينظر فراس السواح، موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الأول، الشعوب البدائية والعصر الحجري، ترجمة، محمود منقذ الهاشمي، غادة جاويش، عدنان حسن، يوسف شلب الشام، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط٤، ٢٠١٧.، ص٢٦

٢ - إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص ٢١٧

(سيد مدينة). وقد ظهر على جدران مقبرته بالمعلا آله المدينة ويدعى (حمن) وهو يظهر في رسوم المقبرة على هيئة صقر وفي صورة اله ثائر منوط بمعاقبة كل من تسول له نفسه التعدي على حرمة المقبرة وهو الذي يتلقى من المذنبين التقدمات الخاصة بالتكفير عما اقترفت ايديهم من آثار في هذا الصدد، ويذكر النص الخاص دور الإله (حمن) وموقفه من منتهكي حرمة القبور "انه عندما يقوم أولئك المذنبون بتقديم التقدمات الخاصة بالإله حمن للتكفير عن ذنبهم فأنهم يفوزون بالمغفرة في حالة قبول الإله حمن لها اما اذا كان الجرم من العظم بإذ لا يقوم الإله حمن بتقبل تقدمات صاحبه"، أن الأولى بذلك هو أحد مناظر المقبرة الذي يخص طقسا أصيلاً وغريباً أو عبداً هاماً يتعلق بالإله (حمن)[1]

اعتقد المصريون أن أداءهم للعبادة وتقديم أنفسهم للإله إنما يزيد من وجوده وحضوره، ويبعد عنهم جانبه السلبي الخطر، وهذه الأعمال التعبدية لا تجبر الآلهة على إظهار جانبهم اللطيف أو الرؤوف، إنما تشجعهم عليه فعلاً - لأن الجانب المضاد لحب الإله للبشر هو مظهره القاسي الموجود دائما تحت السطح، ويجب تهدئته بوسائل الخدمات الدينية الملائمة، وفى أسطورة فناء البشرية يهدأ غضب الإلهة القاسية التي أطلقها إله الشمس ضد الإنسان العاصي، بشراب مسكر يحولها من لبؤة ثائرة إلى قطة وديعة، إذ يستعمل النبيذ في العبادة وطقوس تهدئة المعبودات، خاصة الآلهات اللواتي في شكل لبؤة، وهو يقضى على تأثير جانبها الخطر الذي يصعب التنبؤ به، والذي هو أيضا أحد وجوه التركيبة الإلهية للملك، والذي يقيم الدليل على المغزى اللاهوتي للسكر، وبذلك لا تكون العبادة مجرد استجابة من البشر للإله، بل ووقاية أيضا من الجانب التهديدي من جهته - وإن (مفهوم الجحيم)، في كتب العالم السفلى المصرية، وهو دليل رائع ومثير عن كيف تكون الآلهة مرعبة، ويجرى توجيه الغضب الكامل، والذى لا يمكن السيطرة عليه، الصادر من المعبود ضد المحكوم عليهم في محكمة الموتى، الذين يسقطون من عالم الوجود المنظم، وحينئذ يتم تدميرهم وتمزيقهم بكل طريقة يمكن تخيلها، ويلقى بهم إلى اللاوجود، وهم

١ - السعدي، حسن محمد محيى، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى، ص٢٧٤

محرومون من أعضاء الحواس، وعليهم أن يسيروا على روسهم، ويأكلوا غائطهم وهم يحترقون في أفران ومراجل، ويسبحون في دمائهم التي اعتصرها شسمو (شزمو (Shezmu) إله معصرة النبيذ [1].

وهناك علاقات مماثلة لتلك التي بين بعض الطبقات الأخرى من الشعب وبين آلهة لهم فإن لهذا ما يسوّغه، فمثلاً الجنود لم يلعبوا دوراً هاماً في مصر في العصور القديمة، وكما أن الفلاحين وهم السواد الأعظم من أفراد الشعب كانت لهم آلهتهم التي تحميهم وترعاهم، ولكنهم لم يتركوا لنا وراءهم عمارات مشيدة أو آثار حجرية، ولكن الحال تغير في الدولة الحديثة وبدأنا نلاحظ تغلغل أفراد هذه الطبقات في الحياة الدينية، ومما يبعث على الدهشة أن المصريين كثيراً ما تحدثوا فضلا عن آلهتهم المعينة عن إله عام ويحدث ذلك عادة في الأدب عندما يفكرون في تلك القوة التي تتحكم في مصائر الناس، فمثلاً يقولون ما يحدث هو أمر الإله، صائد الطيور يسعى ويكافح ولكن الله لا يجعل النجاح من نصيبه، ما تزرعه وما ينبت في الحقل هو عطية من عند الله من أحبه الله وجبت عليه الطاعة، الله يعرف أهل السوء، إذا جاءتكم السعادة حق عليكم شكر الله، وربما كان المقصود بالله في كل حالة من هذه الحالات على حدة هو (إله الشمس) مثلاً أو الملك، ولكن على العموم لا بد وأن ساورتهم تلك الفكرة الغامضة وقدرته وجبروته، وهناك فقرة وردت في كتاب قديم من كتب الحكمة تقول : (إن الله خفي ولذلك وجب على الناس تقديس صورته كبديل، هذا إذا كان المصريون قد قصدوا ما فهمنا نحن من هذه العبارة)[2].

١ ـ إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص١١١

٢ ـ ادولف اولمر صفحات من تاريخ مصر الفرعونية، ترجمة، عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكري، ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة الاف سنة، مكتبة مدبولي – مصر القاهرة، ج١٢، ط١، ١٩٩٥، ص٩٨

المـــبحث الـــرابـــع

استبداد الكهنة

فيما يخص استبداد الكهنة لم تنجح أمة من آفة اتحاد وخصام و تصارع الكهنة و السلطة السياسية علي امتلاك حياة وعقل الناس و تسخيرهم لخدمة أهدافهم ولم يتوقف أبدا توحش التميز الطبقي عن مسارات الأمم الذى يجعل الأغلبية عبيدا و أقنانا و منبوذين و يمنح الفخر و التمجيد و الأموال للجنود (المرتزقة) والكهنة (الأغنياء)الفارق أنه في مرحلة ما تكون هذه المثالب قوى دفع لحركة تقدم البشر (عندما تحولهم من قطيع متصارع مدمر إلي مجتمع متماسك)، وفي ظروف أخرى تصبح عوائق سالبة تؤدى إلي السكون و السقوط و قد نقول الاندثار، وفي بعض الأحيان يسيطر العسكر ويحاربون وينتصرون أو يهزمون، وهنا يخفت صوت الكهنة إلي مستوى الدعم و الدعاء ومزاولة طقوس (السحر أو التنجيم أو طلب نصرة الأرباب) ثم ادعاء أن ربهم هو الذى أحرز الانتصار وفي احيان أخرى يتفرغ العسكر للقيام بأنشطة داخلية تتصل بترويض الناس وتثبيت نظم الحكم أو احباط ثورة للشعب وتمييع طلبات التغيير فينضم الكهنة للجانب الرجعي محافظين علي بقاء الحال على ما هو علية واستمرار مكاسبهم مدعين أن الإلهة غير راضية عن مطالب الجماهير وأن عليهم تحمل جور واستبداد أبناء الآلهة الملهمين بالخير والفلاح وهم آملين في ثواب أكيد يوم الدين وفي حالات ضعف القبضة العسكرية يتحول الكهنة إلى وحوش تستخدم الناس للتخلص من العسكر وتسعي للاستحواذ على الحكم معلنين أن الآلهة تساند الثورة والتغيير و أن الحكام قد استبدوا إذ أغضبوا الآلهة فعاقبتهم بالإزاحة و التغيير[1].

ولقد كان حاكم كل اقليم يعمل رئيساً لمجمع الكهنة بإقليمه ويحمل دائما لقب المشرف على الكهنة وغيره من الألقاب الدينية التي يتوارثها الأبناء عن الآباء، ومن أوضح الأمثلة على ذلك خلفاء الكاهن الأكبر المتحور بإقليم القوصية نكا عنخ والذي كان يحمل لقب(الكاهن الأكبر لحتحور) فقد ظل هذا اللقب متوارثا، بين خلفائه من

١ - يونس، محمد حسين ، تأملات مصرية.. في قضايا مصيرية، الحوار المتمدن-العدد: ٦٨٩٣ - ٢٠٢١ / ٥ / ٩ - ٠٩:٣٣، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات.

بعده تلقب بـه حـاكم الإقليم الكـاهن شبسكاف عنخ ثم ابنـه لـي مـري ثم حفيده يتـاح باونفر، إذ ساعدهم مركزهم الديني إلـى جانـب مكاسبهم الماديـة علـى ترسيخ اقدامهم كأسـرة حاكمـة ووراثيـة بـالإقليم، والواقـع أنـه يمكننـا القـول أن معظـم حكـام الأقـاليم الوراثيين قد بدأوا حياتهم كهاناً بالإقليم سواءاً للعبادة الملكية أو لألـه الاقليم أو للاثنين معا، ثم دفعهم تدهور الملكيـة الإلهيـة الـى الحصـول علـى مكاسب شخصية بأقاليمهم كان من اهمها المكاسب الدينية التـي يضـمنون بهـا الحصـول علـى السـعادة فـي الحيـاة الأخرى وهي غاية ما يبتغيه المصري آنذاك[١].

مما يدل على تسلط طبقة الكهنـة كانـت اراضيهم معفيـة مـن الضـرائب ثم توزيـع الاراضي حسب الطبقات في المجتمع المصري القديم إذ (الاراضي المقدسة) استحوذ عليها الكهنة، كمـا ان الـذين يعملـون فـي اراضيهم ضـعف الـذين يعملـون فـي اراضـي الآخرين وان محصول الاراضي المقدسة يستحوذ عليه الكهنة اما الاراضي المتاخمـة للصحراء فكانت حصـة رجـال الجيش وذلـك لصـد الغـارات او التدريبات العسكرية، فكان لزاما عليهم خدمة اراضيهم لأنهم لا يحصلون على مؤنه لعبيد الارض[٢].

وأيا ما كان من أمر اهتمام حكام الأقاليم بإلهتهم المحلية، إذ اتخذ مـن الإلـه المحلـي نصيراً وحامياً (الإقليم الطيبي) في شكل الكبش آمون ذو القرنين الملفوفتين سيدا على البلاد، وابتني له المعابد ومنحه السلطة العليا على كافة الإلهة وجعله شكلا من أشكال الإلـه الحـامي لعين شمس (هليوبـوليس) تحـت اسـم (آمـون – رع) ومـن ذلـك الوقـت فصاعداً أخذت كل آلهة المدن والأقاليم تتحد بـرع الـه الشمس إذ اصـبح كل مـن الإلـه خنوم إله اليفانتين، والأمـر الـذي يؤكـد معـه ان الحيـاة الدينيـة كانـت مـن أهـم الجوانـب التي تأثرت بالحياة السياسية وأثرت فيها[٣].

ويظهـر أن بعـض تعيينـات الكهنـة فـي معابـد الشـمس جـاءت تعيينـات شـكلية كـي تؤهـل صـاحبها للحصـول علـى مكاسـب وامتيـازات متعـددة، وأهـم مـا تضـمنته تلـك

١ - السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى ، ص ٢٧١

٢ - سير و.م فلندرز بتري، حياة اجتماعية في مصر القديمة ، ص٤٧

٣ - السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى ، ص٢٨١

المكاسب، هو حق الانتفاع من إيجارات أراضي المعابد هذه الطريقة الماهرة التي اتبعت في معابد الشمس للاندماج في النظام الاقتصادي، ساهمت في تخفيف اعتماد كهنة رع على الهبات الملكية، ويتضح ذلك من قدرتهم على بناء مقابر لحسابهم الخاص، وفي عصر المملكة الوسطى استفاد الكهنة من ربع الأوقاف التي كانت تصرف للمعبد، وهذا الانتفاع أدى دوراً في احتلال الكهنة، وأولادهم مناصب كهنوتية منذ الصغر. وكان تحت إشرافهم أتباع موالين لهم في تنفيذ سلطتهم [١].

تساهم العبادة البهيجة في إظهار اهتمام الآلهة بالشؤون الأرضية فلا يمكن لأي مقابل من الناحية البشرية أن يعادل ما تقدمه الآلهه من هدايا مادية مثل الخبز والشراب واللحم والنبيذ بالحرية والحماية والملجأ والأمان من العوز، وترغب الآلهة المصرية في أن يستجيب البشر لحضورها وتصرفاتها، ولا يحتاجون إلى عبادة مادية أو تقديم قرابين بل يسعدون للآثار التي تنتج عن كلمتهم الخلاقة ويسعدون أيضاً بتسلمهم الهدايا المادية وغير المادية من البشر، سواء كانت ملموسة أم غير ملموسة، ويثبت ذلك تسلطهم على المجتمع البشري وأهمية الحوار في التواصل بشكل فعال: لكي تدخل، في حضرة إله هو أن تجري اتصالا مباشرا، والملك بصفته ممثل البشر، لا يرغب أن يأتي إلى حضرة الإله وهو خالي الوفاض ،فارغ اليدين، ولا يعد القربان الذي يحضره إتاوة مفروضة عليه، ولا ينشد مقابلاً له، لأنه هدية [٢].

ولقد اعتمد نبلاء الدولة القديمة ومنهم حكام الأقاليم - على عطف الملك للحصول على تلك السعادة وذلك باستخدام «نصوص الأهرام من ناحية والحصول على حق الدفن بأقاليمهم من ناحية أخرى ذلك أنه بالنسبة لنصوص الأهرام» والتي تضمن الألوهية بعد الموت فلم يكن لهم الحق في استخدامها بيد أن استقلالهم عن الملك في أخريات الدولة القديمة وعصر الانتقال الأول، جعلهم يحصلون على حق التمتع بالخلود في العالم الآخر، وهو الحق الذي كانت نصوص الأهرام تمثل أهم أُسسه بإذ بدأوا ينقشونها على توابيتهم، وبعدما كان الملوك وحدهم هم اصحاب الحق في

١ - جري ، كاتيا، بنية المجتمع المصري.، ص ١١٧

٢ - أريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد،(ت)، محمود ماهر طه، مصطفى ابة الخير، مكتبة مدبولي، مصر- القاهرة، ١٩٩٥، ص٢١٠

استخدامها في بادئ الأمر، لانهم كانوا آلهة في هذه الدنيا وسيصبحون آلهة اعظم قدراً في الحياة الأخرى وهذه صورة واضحة الاستبداد طبقة النبلاء دون غيرها[١].

إنّ الثورات لم تحدث تغيرا في أسس النظام وانما هزته فقط ،ولكنها لم تهزمه فأول ثورة في تاريخ مصر القديمة كانت ضد (بيبي الثاني) خامس ملوك الأسرة السادسة بسبب زيادة الضرائب وسجلها الحكيم إيبور في كتاباته، وفي الدولة المتوسطة لم تتوقف التمردات ضد الهكسوس وفي الحديثة (الأسرة 18) ضد رمسيس الثالث بسبب جور الكهنة و جامعي الضرائب وفي زمن البطالسة قامت حركة تمرد واسعة ضد بطليموس الرابع ومع الاحتلال الروماني لم تتوقف التمردات ولكن أكبرها التي كادت أن تنهي حكمهم بعد أن وصلت للإسكندرية يطلق عليها (حرب الزراع)، أنّ الدولة المصرية بقوانينها و تقاليدها و سيطرة الكهنة والجنود وأساليب عملها الكيميتية لم تتغير في أغلب العصور لقد تميزت بسبب ذلك في البداية وأن سر تميزها هذا انقلب إلى الأضرار بحياة الناس مع تطور البشر[٢].

ولقد كان معنى ذلك هو سعي حكام الأقاليم لأن يصبح الواحد منهم واحداً في عداد الإلهة وفي ذلك العام النائي لن يكون بينه وبين الملك أي فارق جوهري، وهو الأمر الذي يعكس بوضوح شعور المساواة الذي استشعره الحكام تجاه الملك الإله بعدما ضاقت الفجوة بين الملكية الإلهية وأولئك الحكام ساعدهم على ذلك امتيازاتهم العديدة التي نجحوا في الحصول عليها على حساب الملكية، ومنها حق الدفن في أقاليمهم، وأن حكام الأقاليم رأوا أن الحياة الأخرى على الطراز «الأوزيري» لا ترضيهم، ذلك أن كآبة الحياة بعد الموت تحت سطح الأرض، والتي انسلخ منها الفرعون بصعوده السماء لم تعد ذات صدى في تطلعات الأمراء وطموحاتهم الروحية والعقائدية إذ اصبح من المقبول أو المسلم به أن يشاركوا الفرعون أو يشتركوا معه في تحقيق الخلود، ومن ثم فقد افتخر حكام الأقاليم منذ عهد الأسرة السادسة في نقوشهم الجنائزية بأنهم يسافرون بسلام في طرق الغرب المهيبة إذ تسافر الشمس

١ ـ السعدي حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى ، ص ٢٧٢

٢ ـ يونس، محمد حسين، تأملات مصرية.. في قضايا مصيرية

المشرقة، ويصعدون للإله سيد السماء، وأن عبورهم السماء كان في قوارب رع والواقع ان هذه الشعيرة الملكية لم تنقش مفصلة على جدران مقابرهم، ولكنهم ربحوا بذكرها على الأقل الأساس أو البداية، الا وهي تفتح أبواب السماء لهم بعد وفاتهم شأنهم في ذلك شأن الملك[١].

ظهرت أفكار فرعون مصر الشاب الملك الإله (اخناتون) الذى تجرد من الملكوت الدنيوي والجاه - قد قام بتغيير اسمه من (أمنوحيتب) إلى (أخناتون) وغير اسمه الإله القوم المعبود من (أمون) إلى (آتون) الإله الواحد الأحد خالق كل الأشياء والضابط لكل المخلوقات، وأذاع (أخناتون) ذلك في قومه ليكون الإله المعبود الواحد وسرعان ما انضم إلى عبادة (أخناتون) الإله الواحد الأحد. معظم الكهنة الشبان من القائمين على أمور الهياكل المصرية فأصبحت المعابد والهياكل المصرية تتردد فيها الأناشيد الرائعة والترانيم الدينية التي تمجد في الإله وهم يترنمون بقولهم :

"ما أعظم أعمالك أيها الإله

إنها خافية عن جميع البشر..

أيها الإله الواحد .. الذي لا إله سواه"..[٢].

ظهر التوحيد بشكل علني وصارخ في ثورة أخناتون (التوحيد الافتراضي) عندما جعل الإله (آتون) الإله الوحيد لا شريك له، وآتون هو قرص الشمس وأحد أسمائها، وعن طريق ظهوره العلني، أصبح الواحد هو أفضل شكل من أشكال التوحيد في العالم القديم لقد التقط أخناتون جوهر التوحيد بحساسية دينية نادرة وأعلنه إلهًا(آتون) هو إله واحد و عن طريق ثورته التوحيدية فهو مثل النبي الذي يحاول نشر جاذبيته العالمية للعالم، مبتعداً عن النزعة الإقليمية لمصر، التي ظل دين مصر حبيسها. والحقيقة أن الكهنة التقليديين (كهنة آمون) رفضوا قبول تعاليم أخناتون وبسبب طبيعته التوحيدية فقد أبعد الإله آمون تماما عن الساحة الدينية، وعلى سبيل المثال، سمى أخناتون الإله الواحد آمون وحل محل جميع الآلهة ومن حوله، كما فعل

١ ـ السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى ، ص٢٧٢ـ٢٧٣

٢ ـ لطفي وحيد، اشهر الديانات في التاريخ، المكتب العربي للنشر والتوزيع والاعلان، مكتب معروف اخوان، مصر، الإسكندرية، ١٩٩٣، منتدى سور الازبكية، ص٣٨

مع آتون، سيكونون سببًا لمساندة الكهنة له بدلًا من مهاجمتهم له ولإيمانه. لكن يبدو في كتاباته أنه أطاح بنظام كامل من الكهنة والأديان لم يكن موجودًا الهدف هو استبدال إله بإله آخر. لقد كان ثوريًا راديكاليًا ولهذا فشل دينه الجديد[١].

رغم ما كان له من السيادة والأبهة، وأقام لنفسه حاضرة جديدة في بقعة تعرف في وقتنا بأسم (تل العمارنه) وسماها (أخيتاتون) وتعني (أفق آتون)، ومثلما تم اختزال العدد الوافر من الآلهة في اله واحد، تم بذات الطريقة الاستغناء عن جميع الوسطاء (مثل الحيوانات المقدسة، تماثيل المعابد، المؤهلين من البشر الموتى....) إلى وسيط وحيد هو (أخناتون)، الذي قال أن تعاليمه هي فيض من أبيه(آتون)، كما لو كانت رؤية الهية تجلت له كنبي حتى يمكن اختزال عقيدته الجديدة في الصيغة الاتية: (لا إله الا آتون، وأخناتون رسوله).

لهذا كانت خطوة (أخناتون) شيئاً جديداً وخطيراً لم يقدر عليه الا شخص ذو قوة قاهرة كالفرعون نفسه، لشدة تمسك المصريين بآلهتهم القديمة، واعتيادهم على تعدد الآلهة قروناً طويلة، ثم لقوة كهنة (آمون) وشدة سطوتهم، وتكشف لنا الاناشيد التي كتبها (أخناتون) في وصف إلهه الواحد الكثير عن ماهية هذه العقيدة وفلسفتها مثلما تكشف عن السمو الفكري والروحاني لإ فكارٍ رائدها (أخناتون)[٢].

وفي عصر المملكة الوسطى الممتدة ما بين (2000 -1787 ق.م)، إذ استفاد الكهنة من ريع الأوقاف التي كانت تصرف للمعبد، وهذا الانتفاع أدى دوراً في احتلال الكهنة، وأولادهم مناصب كهنوتية منذ الصغر، وكان تحت إشرافهم أتباع لخدمة المعبد تصرف نفقاتهم من موارد الإله على غرار ما حدث في المملكة القديمة. أما المعابد الصغرى فقد كانت ممتلكاتها محدودة، يشير إلى ذلك العدد القليل لكهنتها على سبيل المثال لم يكن يخدم في معبد أبيدوس على ما يبدو سوى خمسة كهنة من ثم بدأت المعابد تستفيد من أوجه الإغداق في زمن المملكة الحديثة، إذ أصبحت الآلهة وكهنتها يلتقون من الملوك الثمن المناسب للتعاون المنسجم بينهما، وذلك بحكم قيام

١ - الماجدي، خزعل، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١ ،١٩٩٩، ١٦٩
٢ - السعيدي، علي عطيه موسى، ثورة اخناتون واثرها في تجديد قواعد الفن المصري القديم، (بحث منشور)، مجلة العلوم الانسانية، العدد(١٢)، ج/١، ٢٠١٢، ص٣١١

الآلهة بضمان أعمال الملوك ونجاح مقاصدهم بخاصة العسكرية منها، ما جعل وضع الكهنة يختلف تماماً عن وضعهم السابق زمن المملكتين القديمة والوسطى. وأخذت المعابد في مصر كبيرها، وصغيرها تنعم برخاء ملحوظ، إلا أن الحصة الأكبر من الهبات كانت تذهب لصالح معبد الإله آمون الذي أوحى للملوك بالنصر على أعدائهم، فقدموا له القرابين والأسرى لخدمة كهنته[١].

أما (آمون) الذي كان إلاله الأعظم للدولة المصرية فلم يجد له موقعاً أو دوراً ، مما سبب في تفجير غضب كهنة (آمون) الذين قويت شوكتهم وتعاظم نفوذهم بشكل مريب قبل أن يبدأ (أخناتون) ثورته، والان وبعد أن توضحت نوايا (أخناتون) أمامهم ثارت ثائرتهم وبدأوا يحكون له المؤامرات والدسائس للقضاء عليه وعلى دينه الجديد، وكان الصدام بينه وبين كهنة الإله امون حرباً لا هوادة فيها على (آمون) وكهنته، ففي السنة السادسة من حكمه أعلن (آتون) الها جديداً وحيداً للدولة المصرية، إذ لم يعد بعد الآن من إله سوى (آتون) وليس ل(آتون) من أشكال مقدسة سوى جوهر سماوي يتجلى في قرص الشمس وأشعتها التي تنتهي بأيد بشرية تحمل علامة السعادة والحياة، لتبدأ ولأول مرة في التاريخ فعاليات أول مذهب توحيدي على أرض مصر، ومنذ ذاك بدأت فعاليات الملك الشاب في محو الآثار الدالة على (آمون) أينما وجدت، فغير أسمه من (أمنحوتب) التي تعني (آمون راض) الى (أخناتون) وتعني (آتون راض)، وكما غير أسم زوجته وبناته[٢].

شيد المصري القديم المعابد للآلهة، واختص الفراعنة تلك المعابد بالاهتمام والرعاية، إذ يتسنى لها القيام بدورها على الوجه الأمثل، وكان يقوم على إقامة الصلوات، ترتيل الأناشيد، مباركة الأضاحي، أداء الطقوس والواجبات اليومية جيش كثيف العدد من الكهنة خليقي الرؤوس، وممن يحرصون على ارتداء جلود الحيوانات...خاصة في المناسبات والاعياد الدينية، وكما كان يلحقِ بالخدمة في كل

١ - جري ، كاتيا صباح ، بنية المجتمع المصري ...، ص ١١٧
٢ - السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهائية الدولة الوسطى، ٣١٥

معبد عدد كبير من الموسيقيات والراقصات والمغنيات، يمثلن الحريم الإلهي الذي عادة ما كانت ترأسه احدى أميرات البيت الحاكم[١].

وقد ظلت مسألة الاهتمام بالآلهة المحلية عالقة بأذهان حكام الأقاليم في أوائل عهد الدولة الوسطى وخاصة في ال مدّة التي كانت فيها الملكية لاتزال في مرحلة استعادتها لسطوتها السياسية وصبغتها الإلهية لذا فقد ظل حكام الأقاليم محتفظين بألقابهم الدينية في الوقت الذي قام فيه ملوك الدولة الوسطى بتشجيع تقديس الهتهم المحلية وتوقيرها فلقد عرف ملوك الأسرة الحادية عشرة الإله (مين) صاحب فقط وآمنوا بسلطانه على الصحراء الغربية وما فيها من كنوز ثم عرفوا حتحور وسلطانها على جبائية طيبة، وكما عرفوا قدر خنوم وسلطانه على منابع النهر، وعرفوا أربابا أخرى قدست من حول عرش منتوحتب (الأول) وفي ساحة معبد، كذلك، فقد ظل ملوك الأسرة الثانية عشرة على اهتمامهم بعين شمس (هليوبوليس) ومركزها الديني كعاصمة دينية للدولة القديمة، اذ قام سنوسرت الأول في العام الثالث من حكمه بعقد اجتماع ديني نقل فيه لأعضاء مجلس مشورته ورجال بلاطه رغبته في أقامة لوحة للإله حور اختي والإله رع في شكل الصقر حور المشرق بالأفق الشرقي، ولقد حذا حكام الأقاليم في عهد الدولة الوسطى حذو ملوكهم في اجلال الإلهة المحلية الى جانب إله اقليمهم ومن منطلق وظيفتهم الكهنوتية التي تمسكوا بها بالدرجة التي وجدنا معها حاكم اسيوط حب جفا (حابي جناي) يخاطب فيها كهنة معبد بإقليمه قائلا" **أنا ابن كاهن شأني في ذلك شأن أي واحد منكم**" كي يظهر مرتبته الكهنوتية بشكل لا يقبل الجدل [٢].

ونجد في النصوص السحرية عدداً من الإشارات الضمنية إلى توقف عملية الخلق والعودة إلى العالم الهيولى الأولى، وفي محاولة أخيرة يهدد السحرة بالتسبب في نهاية العالم ، أملاً منهم بلا شك في أنهم لن يضطروا إلى تنفيذ تهديداتهم، ويقدمون في العملية تصويرا تشخيصيا للموت إذا فتح الواحد الذى في الماء (التمساح) ففمه، وإذا أهتز بذراعيه الاثنين سأجعل الأرض تغرق في الماء الأولى،

١ - الجبالي، هشام ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص٨١
٢ - السعدي، حسن محمد محيى الدين، المصدر السابق، ص٢٧٨

وسيصبح الجنوب هو الشمال وتنقلب الأرض بالكامل، ومن الممكن أن توجد مدّة آلهة، وليس فقط عند انتهاء العالم، ولكن أيضا في مدّة خلو العرش (لوفاة الملك)، وطبقا لما ترويه الملكة حتشبسوت، فإن الهكسوس البغيضين قد حكموا دون رع، لذلك فهم غير شرعيين، ورأى توت عنخ آمون الزمن قبل ارتقائه العرش كما لو أن الآلهة والإلهيات في مصر قد ظلوا متحفظين، لا يبدون اهتماما أو عطفاً، ولم يستجيبوا لأية صلاة، و حطموا كل ما كان مخلوقا، وهذا ماتحدثت لوحة (لمرنبتاح) عن كيف أن إله الشمس عاد إلى مصر بعد التغلب على فظائع الغزو الليبي، وهذا على أية حال حضور مؤقت للآلهة من هذا العالم الذي انتصر يتولى ملك جديد، ويمكن مقارنة ذلك فقط بأساليب التعبير المستعملة بفجر الآلهة، وفي نهاية كل عصر لقد أصبح واضحاً أن الآلهة المصرية في الحقيقة ليست غير مولودة ولأغير خالدة فهي تبدأ في موعد تولد أو تُخلق وتكون عرضة لتغير مستمر، تكبر، تموت، وفى النهاية تختفي ثانية في أعماق حالة التشوش الهيولى البدائية للعالم[1].

وهناك إشارات عن وجود مثل هكذا ممارسات (التضحية البشرية) لغرض التقرب من المعبود او لأغراض أخرى وكان غالبا عمر الضحية ما بين (20- 25) عام وأن هؤلاء الافراد كانوا من خادمي القصر الملكي دفنوا مع الملك لخدمته في العالم الاخر احياناً تكون برغبتهم لغرض الدفن مع ملكهم وقد فسر بعض الباحثين أن وجود مثل هكذا اضاحي بشرية قد اعتبرها المصري القديم هي أغراض طقسية ودينية وتحديدا وجود الجبانات حول الاهرامات في الجيزة وسقارة وأبو صير وغيرها كانت اجساد المقربين من الملك الذين يعيشون معه في العالم الاخر لكن فريق اخر من الباحثين اكد ان ما عثر عليه حول الاهرامات ماهي الا قبور العمال الذين كانوا يعملون في بناء الاهرامات، وقد وجدت عدة نقوش توضح عملية التضحية البشرية في مصر وهي على نوعين:-

١ ـ إريك هورننج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص١٦٧

الاول: طقوس القتل البشري والتي ترتبط بأحداث معينة كالتتويج أو انتصار ملك وكان المساجين المذنبون والمجرمون وأسرى الحرب هم الفئة التي تُقدم كأضاحي.
الثاني: الذي سبق ذكره لغرض خدمة الملك ومجاورته في العالم الاخر[١].

وفى مواجهة القسوة المرعبة للآلهة، والتي لم تهدد في النصوص الجنائزية القديمة الآثمين فقط، بل تعتبر خطرا عاما في الحياة الآخرة، يحمى الإنسان نفسه بالطقوس التي إذا ما أداها بشكل سليم يبطل أثر الوجه الخطر للمعبود وتضمن أن العالم سيستمر بطريقة منظمة صحيحة وملائمة، ومنذ نصوص الأهرام، أقدم مجموعة تعاويذ للحياة الآخرة، نجد أيضا دعوات واستغاثات من الميت إلى مختلف الآلهة أن تحميه من جميع أخطار وعوائق العالم الآخر، وأن توقف وتمنع الآلهة الأخرى أو الموتى من البشر أن تؤذيه، ومن الممكن أن يرتفع هذا النوع من التوسلات إلى مستوى التهديد الموجه للآلهة وهو شكل مختلف جديد ومدهش في العلاقة بين الإله والإنسان[٢].

يبدأ عصر الانكسار وتغييب الشعب قبل (الغزو الفارسي 525 ق .م) بقليل عندما طمع كهنة (أمون) في الحكم بعد الانتصارات الإمبراطورية (الأسرة الثامنة عشر و التاسعة عشر)كانوا كهنة الرب الذى منح الانتصارات ومع الملوك والعسكر الضعاف (الأسرة العشرين و الحادية و العشرين) ثم تنحيتهم بواسطة الكهان أمون واستخدام المرتزقة من أجل قهر الشعب فلم يصمدوا أمام جحافل جيوش الفرس و استقبلوا بترحاب من قاد كهنة (رع) المضادين لا مون و كهنته أدى هذا لهدم منشئات عبادة أمون و .عودة مدرسة هليوبوليس (أون) للحكم بجوار جنود حامية فارس نفس الموقف تكرر بعد قرنين مع غزو الإسكندر لمصر (331 ق.م) لقد رحب به كهنة أمون بهدف تقليص نفوذ كهنة رع و أوهموا القائد الغازى أنه إبن (لامون). [٣]

١ ـ رياض، زينب عبد التواب، العنف في مصر وبلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور المبكرة، (بحث منشور)، مجلة روافد للدراسات والابحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، مجلد (٢٠) ٢٠٢٠
٢ ـ إريك هورنونج، ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد ، ص٢١٢
٣ ـ يونس، محمد حسين، تأملات مصرية.. في قضايا مصيرية

الفصـــــــل الرابـــــــع: الاســتبـداد الســياســـي

المبحث الأول

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية القديمة

المبحث الثاني

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الوسطى

المبحث الثالث

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الحديثة

الاستـــبداد الســـياســـي

لموقع مصر الجغرافي تأثير في موقعها السياسي؛ لأنها عبارة عن اقليم ضيق ماعدا الوجه البحري، وبذلك تكون دائمة الاحتياج إلى الوسائل اللازمة لبسط نفوذها على الاقسام المتبقية فضلا عن أن هناك تبايناً كبيراً بين الشمال و الجنوب في الأفكار والعادات وحتى في الكلام، إذ لهجة سكان الوجه البحري تختلف عن لهجة الوجه القبلي النهر الواحد استطاع أنّ يوحد بين هذين الوجهين، وان يفرض سيادته عليهم ألا وهو نهر النيل (**العظيم**) فقد استطاع توطيد العلاقة بين سكان مصر وأصبح مصدر سعادتهم ورفاهيتهم، واعتمدوا عليه في تجارتهم وأيضا الثروة في مصر مرتبطة بالنيل والقوة الزراعية معتمدة على النيل وفيضانه السنوي [1].

وأما وصف الاستبداد بالسياسي (Political despotism) فنعني بـه الانفراد بإدارة شؤون المجتمع السياسي من قبل فرد أو مجموعة أفراد دون بقية المواطنين، الذين لهم حق المساهمة في السلطة والتداول عليها وإدارتها، فيصير الفعل هنا احتكار لحق جماعي يشترك فيه كل المواطنين المتمتعين بحقوقهم بالتساوي، فمن المفروض وجود علاقة بيـن طـرفيـن متساويين في الحقوق والواجبات العامة، ينفرد أحدهما بالحقوق المشتركة أي السلطة والحكم فيحتكرها لنفسه دون الطرف الآخر بغير وجه حق، وعـادة مـا يستند الاحتكار الشخصي للسلطة على أداة الدولة القمعية فيستمد المستبد شرعيته من واقع القوة التي يتفرد بهـا بـدل المصدر القانوني، مما يجعل الفرد العادي الذي يعيش في ظل الاستبداد السياسي فاقداً لفعاليته متحولاً إلى ذات بلا مواطنية متجرداً من حقوقه الإنسانية والمدنية عديم التأثير في القرارات المجتمعية الواسعة، هذا ويستعمل مصطلح الاستبدادية لوصف درجة تسلط الحاكم فإذا كان الحاكم لا يلتزم بقانون، وإنما قوله وفعلـه همـا بمثابـة القانـون فـهـو نـظـام

١ ـ برستد، جميس هنري، تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ، ص٤

حكم استبدادي، أما إذا كان هناك قانون يلتزم به الحاكم ولكنه يحتكر سلطة التعديل والتغيير في القانون فهو إذن حكم مطلق [١].

تعد المساهمة في إدارة الحكم عن طريق تسيير الشؤون العامة حق مشترك بين جميع المواطنين ولا بد أن يقوم وفق أسس من المساواة والعدالة، فلا يجوز الاستبداد به واحتكاره من قبل البعض دون البقية، وعليه فإن الاستبداد السياسي ظاهرة مرضية تصاب بها نظم الحكم، إن أوّل أسباب استدامة الحكم الاستبدادي هي قبل كل شيء القبول به وذلك عن طريق الوقوع في دائرة الخضوع والطموح فضلا عن عدم تجاوز مسألة أخلاقية الحكم وضرورة الطاعة، فقبول المجتمع بحكام مستبدين إنما يقف وراءه منظومة تربوية متكاملة تنشئ أفرادها على الطاعة بداية من الأسرة لتمتد في شبكة العلاقات السياسية، وفضلاً عن ممارسات النظم الاستبدادية من قمع وما يرتبط به من عنف كآلية لاستدامة حكمها فإن ذلك لا يغيب عن الواقع إذ قيامها بقمعها للمطالب الشرعية لشعوبها طويلاً لتتحجج فيما بعد بضرورة الاستمرار لمواجهة التوتر وغياب الاستقرار ومواجهة المخاطر، كما يسهم استشراء الفساد في هذه الاستدامة إذ إنّ العلاقة المباشرة بين الفساد والاستبداد تتمثل في أن الأول عندما يترسخ فإنه يعمل على حماية نفسه وذلك بإبقاء كل الهياكل التي أنتجته على حالها، فيدعم استدامة الاستبداد الذي تشكل في ظله فيستفيد هذا الأخير من حليف جديد[٢].

لقد كان الشعب المصري في جوف فرعون، ولقد أفسد الطغيان فطرته، وأذله الخوف والقهر، ومن ثم فقد مضى الشعب يأكل خبزه بالجبن، فاستخف فرعون بالشعب المصري، وطاعة الشعب له، وهما أمران يثيران العجب فاستخف بقومه فأطاعوه.

- **كيف يستخف حاكم شعب بشعبه ثم يطيعونه بعد ذلك؟**

١ ـ فوكه، سفيان ، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة ، ص٩
٢ ـ فوكه، سفيان، (المصدر السابق)، ص٥

إنّ الأصل المفروض أن يؤدي استخفاف الحاكم بالشعب إلى ثورة الشعب عليه وعصيانه أو على أقل تقدير إلى مقاومته سلبياً والامتناع عن طاعته.

هذا هو الأصل المفروض في أي وضع طبيعي، ولكن حكم فرعون لمصر لم يكن حكماً طبيعياً ولا لم يؤدي في مناخ طبيعي إذ كان الحكم استبدادياً قاهراً يتعامل بالسيف مع كل رأي معارض أو مخالف أو تفوح منه رائحة المعارضة أو إمكانياتها في الحكم[١].

ولم ينفرد المجتمع المصري القديم بظاهرة الارتباط بين الحكام وبين بعض القوى الإلهية، إذ إنّ كل المجتمعات القديمة قد أخذت بهذه العقيدة، ولعل عقيد الطوطمية (Totemism) كظاهرة اجتماعية في المجتمعات البدائية تعد دليلا على أنّ الانسان الأول قد فرض على نفسه عقيدة تربط بين الحاكم وبين قوى الطبيعة؛ فقد كانت مصر في عهودها الأولى تتكون من جماعات تربط بعضها عن طريق انتسابها لطوطم يُتخذ من النبات أو الحيوان، يعتقدون أنّه أصلهم ويتخذونه رمزا يدل عليهم، فالطوطمية في حقيقة مفهومها كانت تعنى عبادة الأسلاف من غير البشر والمجتمعات الأولية كان لها تفكير خاص يتصل بالآلهة والعبادات المرتكزة على قوى أو مظاهر مختلفة[٢].

وتتميز النظم التسلطية انطلاقا من عنصرين هما: الحكام القائمون على رأس السلطة لا يخضعون في الواقع سلطتهم لمصادفات المنافسة السياسية المفتوحة أثناء انتخابات تعددية ولا يسمح هؤلاء الحكام عادة بالتعبير العام عن الخلافات فيما بينهم، خلافا للنظم الشمولية، لا تطالب المواطنين بأن يشاطروا الحكام أيديولوجيتهم بشكل حميم أما حول خصائص الاستبداد الحديث الذي لا يسمح بالحرية الفردية ولا بالحركة المنطلقة للمجتمع، فيمكن رصد أهمها في التالي:

---

١ ـ أحمد بهجت، فرعون.والطغيان السياسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع حقوق الطبع محفوظة الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان،١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ ،ص١٠

٢ ـ عبد الحليم، نبيلة محمد، معالم التاريخ والسياسي والحضاري في مصر الفرعونية، منشأة المعارف بالإسكندرية،ص٤١

*كبرياء الحاكم وتعاليه والتي تجعل الحاكم لا يرى إلا نفسه ولا يبصر إلا مصلحته، ولا يقرب منه إلا من يتملكه ويرضاه أي أن الحاكم فوق الجميع وفوق القوانين ولا يحق لرعيته مواجهته.

*التبذير من قوت الرعية أي الإسراف من طرف الحاكم وحاشيته في المال العام من غير حسيب، إذ لا يبالي المستبد من أين يأخذ المال ولا أين يضعه وهو ما يعرف بالفساد النظمي.

*غياب النقد وهو من أبرز خصائص الأنظمة الاستبدادية، إذ إنهّ لا يترك أي مجال للمعارضة السياسية للتعبير عن مواقفها وتصوراتها إزاء النظام وإلا تعرضت قياداتها إلى الاعتقال والسجن أو الموت، فهي أنظمة لا يكاد ينبعث منها صوت المعارضة الإيجابية البناءة [1].

ولقد استلزم نجاح الانسان المصري القديم في هذا الاتجاه وضع بعض المبادئ اللازمة لتنظيم مجتمعه في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ ويصعب على المؤرخ التعرف على نوع التنظيم السياسي البدائي في المجتمعات الأولية في مرحلة العصر الحجري الحديث؛ لعدم وجود أدلة مكتوبه تبين تفاصيل هذا النوع من التنظيم، ولكنه يلاحظ أنّ بعض الآثار التي عثر عليها في موقع حلوان العمرى تلقى بعض الضوء التاريخي على المجال السياسي في ذلك العصر، فقد عثر على هيكل عظمى بجوار يده صولجان يرمز للحاكم مما يعبر بوضوح عن حقيقه وجود مظهر أولي للرئاسة، فوجود رئيس يستلزم بالتالي وجود مرؤوسين، وربما كانت هذه أولى الخطوات نحو قدسية الزعامة، ولكنها لم تبلغ مرحلة التأليه في تلك المرحلة المبكرة في عصر ما قبل الأسرات، إذ وصل إلى مرحلة تواجد الكيانات الصغيرة المتعددة المستقلة بحدودها وعواصمها وحكامها وآلهتها ورموزها الخاصة بها، وكان يقوم على رأس تلك الكيانات حكام ترتبط زعامتهم بمظاهر الطبيعة، فإذا مرض الحاكم أو تقدم به السن، فسوف يؤثر ذلك في مظاهر الطبيعة، فيقل المطر وتضعف الماشية

١ ـ أحمد بهجت، فرعون، والطغيان السياسي، ص١١

ويقل المحصول، وإذا ما تغير هذا الزعيم فإنّ صفات الحاكم الجديد وهو عادة يكون شاب مليء بالنشاط والفاعلية، فيعم الخير في هذه الحالة[١].

إنّ من ملامح الاستبداد السياسي في مصر القديمة ان من يعمل بصفة قاض يطلق عليه لقب (sr) وهذا ما وجد في الكتابات على جدران الاهرامات، إذ يرمز الى أنّ من يحمله يكون عضو محكمة أمّا في عصر الدولة الحديثة فقد أصبح هذا اللقب شرفيا، إذ اطلق على الوزير وموظفيه من إصحاب المناصب العليا إذ اصبح يطلق عليهم (srw) وأيضا لابد من الاشارة أنّ في مصر الفرعونية كان الفرعون هو صاحب السلطة القضائية، وصاحب السلطة التنفيذية، كما ان القضاة والسلطة القضائية اقتصرت على الرجال فقط فرغم ان المرأة في مصر القديمة كانت تتمتع بأهلية كاملة وشخصية مستقلة لها وزنها إلا ان جلوسها في المحكمة كقاض امرُ مستبعدا ويحتاج الى اسناد[٢]، وفقا للعقيدة المصرية يعد الفرعون ابن الاله وكان من واجبه الأمر بالمعروف والنهي عن الباطل؛ لذلك كان من اهم واجبات الملك العدل في جميع التشريعات والقرارات التي يتخذها الملك وان يفرض العدل على جميع التابعين له، فسياسية امور الرعية كانت من اهم واجباته، وكان من اهم الطقوس الدينية ان يقدم قرباناً الى الإلهة (ماعت) تعبيرا قيامة بالعدل في وظيفته[٣].

١ ـ عبد الحليم، نبيلة محمد، معالم التاريخ والسياسي والحضاري في مصر الفرعونية، ص٤١
٢ -محمود، منال محمود محمد، الجريمة والعقاب في مصر القديمة، مطابع المجلس الاعلى للأثار، ٢٠٠٣، ص٣٨
٣ - زناتي، محمود سلام، حقوق الانسان في مصر الفرعونية ، ص١٤١

المبـــحث الأول

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية القديمة ما بين (2850-2052 ق.م)

ان الوضع السياسي للملك الذي يتمثل بكونه خليفة حكام الدويلات العديدة التي ازدهرت في عصر ما قبل الأسرات، إذ كان لكل منها نظامها الخاص وحقوقها التي كانت شديدة التمسك بها وبذلك كانت حقوقه والتزاماته التي آلت إليه من مختلف النظم التي كانت سائدة في تلك الدويلات فقد كان الملك يعد الوارث لعرش مملكة (هيراكونبوليس)، وكان بهذه الصفة يتخذ الصقر رمزا له، فإذا مات الملك عبر المصريون بقولهم: **"طار الصقر الى السماء"**[١].

يرجح تحميل أول وحدة في مصر كلها عام (4242 ق.م) اتخذت من (اون) او هليوبوليس القديمة مكان عين الشمس الحتالية عاصمة دينية وربما سياسية لكن لم يدم هذا الاتحاد طويلا فانقسمت البلاد الى دولتين الوجه القبلي وعاصمتها (نخب) وتعد عاصمة سياسية والعاصمة الدينية هي (نخن) وكانت لها معبودة بهيئة انثى النسر واتخذت شعار زهرة اللوتس، ويلبس ملكها على رأسه تاج ابيض، أما الوجه البحري فله عاصمتان هما (دب) و(بي) والتي يسمها الاغريق (بوتو) وكانت معبودتها بهيئة افعى وشعارها زهرة البردي ويلبس ملكها تاج احمر، مرت المملكتان بحروب ونزاعات حتى مجيء الملك مينا ووحد المملكتين في (3200ق.م) وقتها اتحد الشعب في ظل حكومة قوية ومركزية وثابتة ولبس الملك مينا التاج المزدوج واتخذ عاصمة متوسطة المملكتين وهي (منف) ومن مظاهر الاستبداد في المملكتين أبان التوحيد من قبل (مينا) احتفظت عاصمة مصر العليا (نخن) بأهميتها كعاصمة جنوبية للبلاد يحكمها موظف كبير ملكي ويحمل لقب أمير أو نائب الملك ويمارس سلطته بأسم الفرعون [٢].

قام مينا وخلفاؤه، ملوك الأسرتين الأولى والثانية، بمعاركهم العديدة مع النوبيين في الجنوب، والليبيين فى الغرب، وأهم من هؤلاء جميعاً ، بدو شبه جزيرة سيناء إذ

١ ـ سير و ـ م فلندرز بتري ، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة ، ص ٨٤
٢ ـ الانصاري، ناصر، المجمل في تاريخ القانون المصري ، ص٣١

كان المصريون فى ذلك العصر قد بدأوا فعلاً في استغلال مستودعات النحاس الكامنة هناك [١].

بدأ ملوك مصر حروب الفتح والتوسع لنهب ثروات الشعوب، مثلما كانوا يسلبون شعبهم عن طريق فرض الأتاوات والضرائب، وتشكلت المملكة المصرية منذ العهد الطيني، واستمرت حروب التوسع في عهد الدولتين المتوسطة والحديثة، احتل ملوك الأسرتين الأولى والثانية شبه جزيرة سيناء، وشرعوا في استثمار النحاس والدهنج والفيروز ، كما احتلوا بلاد النوبة، لاحتكار ذهبها وللحصول على العبيد ولأنها كانت المنفذ الوحيد إلى بلاد السودان تاستي، إذ العاج والأبنوس وجلود الحيوانات، وفي عهد المملكة القديمة، واصل فراعنة الاسرتين الثالثة والرابعة (بناة الأهرام) سياسة الفتح بعد توطد السلطة الملكية داخل البلاد. فقد قاد زوسر (من ملوك الأسرة الثالثة) حملة إلى سيناء وخلد ذكرى انتصاراته على بـدو المنطقة فوق صخور وادي مغارة ، وتوسع في بلاد النوبة، وأصدر مرسوماً يمنح فيه معبد خنوم [٢]الاراضي الواقعة على جانبي النيل من سهيل الى جزيرة تاكومبو قرب دكة النوبة وبعبارة اخرى مرحلة طولها بين ٨٠ـ٩٠ ميلا على جابني النهر [٣].

ولقد بلغت الدولة القديمة في عهد الاسرتين الثالثة والرابعة أقصى ما قدر لها من نفوذ حكومة متحدة فمنها ملك مؤله يحكم بشكل وهو نموذج لنمط المركزية المطلقة، فالملك كان يركز على كل السلطات في يده والانسان المصري القديم يعده مثله الأعلى في كافة شؤون الحياة بسبب كافة نجاحه وقدرته على تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع المصري القديم وقد تأكد لنا في ان أدارة الدولة والحكومة فيها كانت ثابتة الاركان لأُن الذي يقف على رأسها الملك الاله كنقطة مركزية أساسية يرتكز عليها المجتمع في كل نشاطاته ومجالاته وكان لتقدم الدولة وتزايد الأعباء الملقاة على الملك خلال مدّة تأسيس الدولة القديمة قد أملى عليها ضرورة هيكليتها

١ ـ ج .شتندورف، ك. سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ت محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، ط١، ١٩٩٠، ص٢٦

٢ ـ (*) الإ له خنوم واحد من الآلهة المصرية الخالقة يرسل مياه النيل من معبده في الفانتين

٣ ـ دلو، برهان الدين، (حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي)، ص ٦٠

عن طريق استخدام مجموعة من الموظفين ينفذون أوامر الملك وتعليماته ويلاحظ انه خلال القسم الأول من تاريخ الدولة القديمة ان ملوكها وإيغالاً في تطبيق مركزية الحكم المطلقة صلوا على تعيين أولادهم او اقاربهم في أدارة البلاد ووضعهم في المراكز الحساسة إذ وجدنا ان الملك (سنغره) مثالاً التسلط في نهاية الأسرة الرابع يقلد أبنه (نفر - ماعت منصب حامل الاختام وقاضي القضاة ويقلد نجله (رع جبت) منصب الكاهن الاكبر للإله (رع) وقد عمل الملك خوفو الأمر نفسه [١].

إنّ موقف الحكماء المصريين القدامى من فكرتي الاستبداد والحرية عن طريق فكرة التنظيم الإداري في مصر القديمة بدء التنظيم الإداري في مصر القديمة مع بداية عصر الأسرات، وكان على رأس الدولة في مصر قديما الفرعون، وتحته الوزير الذى يعاونه موظفون سواء داخل البلاط أو خارجه غالبيتهم من الكتبة، ويتبع الوزير حكام الأقاليم، وهذا التدرج في السلطة كان قائما على مركزية القرار، فكانت الإدارة في مصر إدارة مركزية يسيطر الملك فيها على كل البلاد. كانت سلطة الملك مطلقة فكان يُعد قمة الهرم السياسي والديني، والاجتماعي، إذ تتركز في يده كل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فكان الملك بكل المقاييس هو الدولة حتى أنه وصف في أحد النصوص بأن قوته أمضى من الموت، لقد أمن الملوك الفراعنة بأن ارتقاء العرش والهيمنة على السلطة لابد من تأييده بسند من الدين، وبتدعيم من الكهنة والخواص، وقد نجح الكهنة في إقناع العامة بألوهية الفرعون، وضرورة عبادته وتقديم القرابين له، ورأى الملوك أن من حقهم الحكم بناءً على الطبيعة الإلهية المميزة عن البشر والتي كانت تنتقل مع الدم الملكي من ملك إلى آخر بموجب أمر إلهى يفصح عنه كهنة بيت الحياة فكان الملك معبود مقدس [٢].

من صور التسلط لا يحق لأي شخص مصري تولي العرش ألا أنّ يكون من أصول ملكية، وعلى هذا الاساس ان المصريين القدماء لم يكونوا يتقبلون جلوس المرأة على العرش قبولا حسنا، وبالرغم من ذلك فقد ارتقت المرأة المصرية القديمة

[١] ـ الخفاجي ، مزهر محسن ،مصر القديمة بين نظام الحكم اللا مركزي ،ص٣١٤

٢ ـ سعد الدين ،جيهان السيد ، الاستبداد والحرية لدى حكماء مصر القدامى وفلاسفة اليونان، جامعة عين الشمس، حوليات اداب عين الشمس، المجلد ٤٥، (عدد يناير، مارس ٢٠١٧)، ص٣٩٤

العرش في بعض الحالات مثل الملكة (خنت كاوس) اخر ملوك الأسرة الرابعة ، وكذلك الملكة (سبوك نفرو) وغيرهن من الملكات اللواتي تمكن من الوصول الى العرش والجلوس عليه مدة من الزمن، فضلا عن أنّ المرأة في مصر القديمة كانت هي المورثة والتي يعود اليها نسب الأولاد بدلا من الأب، وعلى هذا الأساس فأنّ شرعية الحكم وتولي العرش كان حقاً محصوراً على من يكون أبواه من نسل ملكي، والذي كان أبوه ملكاً وأمه زوجة ثانوية أو محضيه او غير ذلك لم يكن كامل الاهلية في استحقاق تولي العرش بعد أبيه، بعكس المولود من أم ملكية وهي الزوجة الرئيسة للملك يكون قد حمل الدم الملكي وكان له الحق في تولى العرش[١].

في عهد الاسرة الخامسة والفرعون ساحورع (2560-2420 ق.م) هذا الفرعون قام بحملة تجارية إلى بلد البخور بونت وهذا يقصد مناطق الأسواق التجارية التي يباع فيما البخور عبر البحر الأحمر و عن طريق هذه الحملة ربما اعترضته بعض القبائل الساكنة في هذه المناطق واستطاع أنّ يأسر مجموعة منهم وينسبهم إلى بلاد بونت، وهذا يوضح مدى تسلط الفرعون في انّ يستبد في نسب الأسرى وأيضا حادثة في نفس ال مدّة تروي أن القائد (بيبي نخت) اشار الى قيامه بأحد الرحلات إلى ارض العامو لإحضار جثة أحد الضباط المصريين (عنخ خت)[٢] الذين قتلهم العامو كما في النص التالي

" أرسلني جلالة سيدي لتهدئة الأحوال في هذه الممالك

واحضرت معي رئيس هاتين المملكتين سالمين إلى

البلاط ومعهما ثيران وماعز وكذلك أحضرت

أطفالهما والضباط المحاربين معهما وذبحت منهم خلقا

كثيرا أنا والجنود الذين معي"

١ ـ يونس، وسناء حسون ، أهمية الدم الملكي في انتقال العرش في مصر القديمة، المجلد ٨ / العدد ٣٠/ السنة الثامنة ـ تموز ٢٠١٢ ، ص٢٣١

٢ ـ ان ذكر الرحلة الى بلاد بونت في عهد الفرعــون بيبي الثاني من الاسرة السادسة (٢٣٥٠ ـ ٢١٩٠ ق . م) وكان يراس هذه البعثة الضابط (عنخ خت) الى سواحل البحر الاحمر وكان يريد بناء سفينة والسفر بها الـــى بلاد بونت التي كان يعتقد المصريون إنها مقدسة وان أصلهم منها وبينما كان منهمكا في العمل في السفينة انقض عليه وعلى رجاله قوة من قبائل العامو او من قبائل
الحريوشع وقضوا عليهم لعدم تكرار مثل هذا العمل، ينظر الخطاوي، ماجد مشير، ص ٩٨

ومما يلاحظ إسراع الفرعون بإرسال نجدة لإحضار جثمان القائد المصري ومحاسبة الفاعلين وأسر زعماء القبيلتين مع أعوانهم ونسائهم وأطفالهم وذلك لعدم تكرار مثل هذا العمل مرة اخرى وتأديبهم [١].

ومن الجدير بالذكر أنّ الاساطير المصرية القديمة تذكر انّ ثلاثة ملوك من الأسرة الخامسة كانوا ابناءاً مباشرين للإله (رع)، كما تسجل نقوش معبد الدير البحري مولد الملكة حتشبسوت من الإله امون بعد زيارته لامها ، كذلك زعم أمنحتب الثالث نفس المزاعم بالنسبة لامه موت ام (ويا) واتصال الاله امون بها ليدفع أي تردد أو شك في نسبه الالهي ومن ثم في حقه بالعرش، الان أنّ هذا الأمر لم يكن ليمنع انتقال العرش في فترات الى من ليس لهم شرعية واضحة فيه ورغم ذلك فقد استطاعوا أنّ يجلسوا على العرش، والسبب في ذلك يعود الى ان قاعدة توريث العرش في مصر القديمة كانت تنطبق فقط على الابن الملكي الأكبر أو الابنة الملكية الكبرى من الدم الملكي للملك الاله والزوجة الملكية الرئيسة [٢].

إنّ اتخاذ الملوك لأكثر من زوجة ملكية واحدة أدى إلى ظهور الصراع على وراثة العرش وهذا بدوره نوع من الاستبداد في الحكم ومحاولة فرض السلطة لشخص معين، إذ كانت كل ملكة تطمح في أن يتوج ابنها كملك على البلاد، لكن سرعان ما يبدأ صراع مرير بعد أنّ تحس إحدى الزوجات بأن الملك قد اختار ابن زوجة أخرى كوريث للعرش، فتلجئ بذلك إلى تدبير المؤامرات حتى يتسنى لابنها أن يرث عرش مصر بعد أبيه، على الرغم من أن المصرين القدماء تعمدوا عدم تسجيل كل ما يمس بالملكية المقدسة إلا أنه يمكننا عن طريق ماورد في بعض السجلات التاريخية و النصوص الأدبية أن نستشف الدور الذي كانت تلعبه بعض ملكات مصر في تدبير تلك المؤامرات، إذ أشار "وني" في سيرته الذاتية التي سجلها

١ ـ الخطاوي ، ماجد مشير حسين، اثر الحضارة المصرية القديمة في حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة ، اطروحة ، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٧،ص٨٥

٢ ـ يونس، وسناء حسون ، أهمية الدم الملكي في انتقال العرش في مصر القديمة، ص٣٢٣

على جدران مقبرته بأنه قام بالتحقيق مع الملكة "إمتس" التي اتهمها الملك "بيبي الأول "بتدبير مؤامرة ضده، الغرض منها محاولة السيطرة على مقاليد الحكم [1].

فالأوضاع السياسة الخارجية في عهد فراعنة الدولة القديمة لم تكن تهدف إلى احتلال أراضي واسعة خارج مصر واستعمارها بصورة دائمة، ولكن المصريين قاموا ببعض الغارات المؤقتة على البلاد المجاورة مثل ليبيا والنوبة وفلسطين بقصد الحصول على الغنائم فمثلا مؤسس السلالة الرابعة الفرعون سنفرو ساق من بلاد التوبة 7000 أسيراً. و 200000 رأساً من المواشي، وكما قامت بعض الحملات على فينيقيا بقصد الحصول على خشب البناء من أشجار الصنوبر([2]).

[1] ـ بن حدحوم احمد مريقي بوبكر، مؤامرات الحريم على حياة ملوك مصر القديمة ، بحث منشور ، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية ،جامعة زيان عاشور ، الجزائر،ص١٦٢٨

[2] ـ فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق، موجز الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الثقافي)، ص٦٧

المــبحث الثــاني

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الوسطى (2100-1788 ق.م)

إنّ حكم فرعون لمصر لم يكن حكماً طبيعيا ولا كان يؤدي إلى مناخ طبيعي كان الحكم استبدادياً قاهراً يتعامل بالسيف مع كل رأي معارض أو مخالف أو تفوح منه رائحة المعارضة أو إمكانيتها وفي الحكم [١].

يتخذ مفهوم الاستبداد السياسي شكلاً عاماً ينطبق على جميع البلاد التي تعاني تعسفاً في نظم الحكم، ويتخذ أوجها متعددة منها التسلطية والديكتاتورية والشمولية هذه المفاهيم قد تختلف في تفاصيلها لكنها تشترك بصورة عامة في تعبيرها عن الاستبداد السياسي الدال على الاستئثار بالحكم، إذ تتقدم مصلحة الحاكم وبطانته على المصلحة العامة عن طريق التحكم في رقاب الناس، والاستئثار بخيرات مجتمعهم، والإسراف في استخدام القوة في إدارة السلطة من دون الخضوع مهما كإنو شكلية للمحاسبة والمساءلة من قبل المحكومين، وبما أن نظام الاستبداد هو كل نظام مهما كان شكله يعتمد في تسيير شؤون الدولة والمجتمع على إخضاع الأغلبية لإرادة الشخص والمصالح الخاصة عبر آليات المراقبة والتأطير والقمع [٢].

إنّ المصريين القدامى والبشرية جمعاء، كانوا مدفوعين؛ لترسيخ مفهوم جديد لهذا العالم وأنّ التعرف. على بعض أنواع القوى العليا كان أول خطوة في محاولة التفريق بين الشخص والعالم الذي نعيش فيه ومثلما كانت من الوجهة النظرية عند المصريين من أنّ الآلهة تضطلع بأعباء كل البشر وليس من شك فإنه على هؤلاء البشر أو الملوك أن يضطلعوا بنفس المهام، ويجب أنّ نعرف ايضاً من ان الالهة والبشر ظلا يتلقى كلاهما من الآخر اقصى حد من المساندة والتأييد بغية تحقيق المراد منها للبشر خاصة بعد أن كانت الملكية تمثل المكانة التي كان تخصصها الآلهة للقيام بالمهام الاخلاقية والبشرية، وكانت الملكية كسلطة تمثل كلاً من المؤسسة المركزية والبؤرة الرئيسة للقوة والنفوذ في المجتمع المصري. ان الملك او الملكية كنظام يمثلان

[١] ـ قاسم خضر، قاسم توفيق، شخصية فرعون في القران، ص١٣٧
[٢] ـ فوكه، سفيان ، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة، ص١٢

السلطة على الأرض ومقر او مركز النظام والاستقرار الكوني مقابل الفوضى والنظام هنا هو الاساس الديني والاجتماعي والمثالي لمبادئ ماعت هدفه تحقيق (العدل) وهي تقابل مبادئ ازفت المرتبطة ذهنياً بالعالم خارج مظلة الاخلاق والإنسانية[1].

في أدبيات الفكر السياسي نجد إشارات واضحة لأن شرعية الدولة تقوم على السلطة وشرعية السلطة، فسلطة السيد على العبد هي لمصلحة العبد وسلطة الوالد على الأسرة غايتها مصلحة الخاضعين لها أو أنها مصلحة مشتركة ونجد أنّ كلمة المستبد في أصلها اليوناني بدأت من الحقل الأسري ثم خرجت من هذا النطاق إلى عالم السياسية لكي تطلق على نمط من أنماط الحكم الملكي المطلق الذي تكون فيه سلطة الملك على رعاياه ممثلة لسلطة الأب على أبنائه أو السيد على عبيده، هذا الخلط بين وظيفة الأب في الأسرة التي هي مفهوم أخلاقي، وظيفة الملك التي هي مركز سياسي يؤدي في الحال إلى الاستبداد، وهو من مسوغات الاستبداد في الشرق إذ أنّ الحاكم أب للجميع أو هو كبير العائلة، وهذا يعني في الحال أن من حقه أن يحكم حكما استبدادياً، لأن الأب لا يجوز اخلاقيا معارضته ولا الاعتراض على أمره، فقراره مطاع واحترامه واجب مفروض على الجميع .... وينتقل هذا التصور الأخلاقي إلى مجال السياسة ويتحول إلى كبت للمعارضة أيا كان نوعها وتصبح الانتقادات التي يمكن أن توجه إليه عيبا، فنحن ننتقل من الأخلاق إلى السياسة، ونعود مرة أخرى من السياسة إلى الأخلاق وذلك كله محاولة لتبرير الحكم الاستبدادي [2].

كان الفرعون يومئذ ينوب عن مصر كلها، ويقوم مقامها، وهذا هو الاستبداد في صورته القصوى، ولقد سار فرعون مصر في طريق الاستبداد إلى نهايته، وتجاوز هذه النهاية وأعلن ذات يوم أنه هو الرب الأعلى، لا أحد يدري أي أفكار سوداء عبرت رأس فرعون وقادته يوماً إلى أنّ يقف ويأمر بحشر الناس واجتماعهم ليعلن عليهم آخر أخباره الجديدة في عبارة مختصرة وقاسية تقول أنا ربكم الأعلى، وهكذا

[1] ـ الخفاجي، مزهر محسن ،مصر القديمة بين نظام الحكم اللا مركزي ،ص٣١٢
٢ ـ فوكه، سفيان ، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة ، ص٥

قفز فرعون قفزته الأخيرة في الظلام، وأفصح في النهاية عن نيته وقصده، وكان ما فعله يتسق كل الاتساق مع منطقه في الاستبداد والطغيان[١].

انّ ما يسمى بالزواج الإلهي أي بين أله ومرأه بشرية قد اختارها إلاله للمملكة وقد دعمها في ذلك كهنة آمون رع، وهكذا كان الزواج الإلهي إذ يعد بمثابة الحل السياسي الأمثل الذي يحل مشكلة أي ملك تنقصه المؤهلات للارتقاء على العرش، هكذا كان الأمر النهائي بالصفة الإلهية للملك كانت تكتسب لا بحق الأب بل عن طريق اختيار آمون رع، وهكذا اكتسب الملوك شرعية الارتقاء على العرش عن طريق مبدأ الزواج الإلهي أكتسب الملوك من ورائها حق الارتقاء على العرش بمساعدة الكهنة لامون رع[٢].

وكثيراً ما تتسع ممتلكات أمراء هذه المقاطعات فتقوى شوكتهم ويشمل سلطانهم مناطق اوسع تضاف الى مقاطعته الصغيرة فيصبح شخصية مهمة في تاريخ البلاد وذلك منذ قيام هؤلاء الإمراء بمساعدة امير ما من بينهم أو العائلة المالكة، لبسط نفوذه على بلاد وادي النيل وتوحيدها تحت عرش واحد فاذ اخذ يكافئ هؤلاء الأمراء الاقطاعيين الذين ساندوه بمنحهم مقاطعات جديدة من تلك التي سلبها من الاعداء فمن ذلك ما حدث لأمراء مقاطعة طيبة الذين أسسوا الدولة المتوسطة فقد وعدوا عدداً من الامراء الذين تحالفوا معهم لمحاربة امراء مدينة هيراكليوپوليس مقاطعات جديدة ووفوا بعهدهم وكذلك فعل مؤسسو السلالة الثانية عشرة عندما توفقوا في تقويض السلالة الملكية الحادية عشرة وتشير التماثيل العديدة لأمراء هذا الدور ومقابرهم وابنيتهم ومعابدهم الى ان اعظم مدّة ازدهار لقيتها هذه الأمارات في تاريخ وادي النيل كانت في زمن السلالة الثانية عشرة كذلك تقوى سلطانهم لدرجة أنهم أصبحوا خطرا مهدداً لكيان هذه السلالة التي كانت تسعى الى تأسيس ملكية مستقلة في جميع البلاد. وكان لابد من القضاء عليهم او الحد من سلطانهم[٣].

عندما تولى كامس ابن سننقرع الحكم أستعد لمواجهة الهكسوس بقوله" **إنني**

١ ـ أحمد بهجت، فرعون والطغيان السياسي ، ص٩

٢ ـ أبو السعد، رشا عبد الرؤوف، الأسطورة السياسية في مصر القديمة، ص ١٣٧

٣ ـ عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر، ص ٢٩٩

مصمم على قتال الآسيويين، النجاح سوف يأتى .. والأرض كلها .. سوف يتحدثون عنى فى طيبة باعتبارى كامس حامى مصر".

هكذا تقدم كامس » إلى الحرب، وتستمر القصة بكلماته : **" أبحرت أسفل النهر بقوة لأطرد الآسيويين طبقاً لمشيئة آمون صادق النصيحة، وكان جيشي الشجاع يتقدم أمامى كالشعلة الملتهبة"** وفى نفروسى، وهي مدية في مصر الوسطى، وقعت معركة مع كتيبة هكسوسية .. قائلا **" ومنعته من الهرب وطردت الآسيويين.. وقضيت الليل في سفينتي وقلبي مبتهج ، وعند انبثاق الفجرانقضضت عليه كالصقر، وما أن حلت ساعة الافطار حتى كنت قد طردته ،وحطمت أسواره وذبحت شعبه وأرسلت زوجته (كأسيرة) إلى ضفة النهر،وكان جنودى مثل الأسود الذين يهاجمون ضحاياهم، ويستولون على عبيدهم ومواشيهم وزيوتهم وعسلهم، ويقتسمون ممتلكاتهم بقلوب فرحة "**

يذكرأن «كامس» نجح فى إجبار العدو على الانسحاب من المدن التابعة لمصر العليا وأنه استولى على صف، وأجبر الهكسوس على الانسحاب إلى شرق الدلتا إذ دعموا أنفسهم فى عاصمتهم الحصينة (أواريس)، وهناك دارت المعركة الحاسمة التي من المحتمل أن «كامس» لم يعش ليراها ، فقد اختطفه أيضاً الموت المبكر[1].

أما بشأن سياسة مصر الخارجية تجاه بلاد الشام فنجد أنها كانت سياسة قائمة على مبدأ استخدام القوة وفرض الهيمنة السياسية عليها بشكل مباشر منذ بداية عهد الامبراطورية المصرية الحديثة، ويعود السبب في اللجوء الى هذا الأسلوب الى الاخطار التي كانت تهدد كيان الفراعنة السياسي وأنّ الخطر الاساسي ضدهم يتركز في الشرق عن طريق تحالف ممالك بلاد الشام مع مراكز القوى في آسيا الصغرى والمملكة الميتانية علماً ان اعتقادهم هذا كان اعتقاداً صائباً وأكدته الوقائع التاريخية، فأول غزو اجنبي تعرضت له بلاد وادي النيل كان من جهة بلاد الشام والذي تمثل بغزو الهكسوس للبلاد. كما أن طرد الهكسوس وملاحقتهم الى بلاد الشام فتح المجال أمامهم لبناء سياستهم الجديدة على اساس الغزو وفرض الهيمنة بشكل مباشر كانت

١ ـ ج .شتندورف، ك. سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ص٤٧

بداية السياسة الخارجية المصرية مع بلاد الشام تعود في تاريخها الى مدّة حكم تحتمس الاول (1525-1504 ق.م)[1].

كان كثيراً ما يحدث في وقت تغيير الحكام، اضطرابات فقد نشبت ثورة في النوبة وهرب السكان المصريون من البلاد بقطعانهم للاحتماء خلف جدران التحصينات التي بناها تحتمس الأول لصد هجمات الأجانب العنيدين، وإذ اتم اخباره بالثورة غضب جلالته كالنمر عندما سمعها، ثم قال جلالته.

"طالما أناحى، وطالما أنا أحب رع، وطالما أنا امتدح أبى سيد الأرباب آمون إله الكرنك ،لن أسمح لذكر واحد منهم أن يظل على قيد الحياة"

ثم بعث جلالته جيشاً كبيراً إلى النوبة .. ليطيح بهؤلاء الذين ثاروا ضده وضد إله الأرضين، ووصل الجيش إلى أرض كوش البائسة وقوة جلالته ترشده والرعب منه يمهد للجيش الطريق، وبعد ذلك تمكن جيش جلالته من سحق البرابرة، ولم يسمح لأحد من ذكورهم بأن يبقى على قيد الحياة، تماماً كما شاء جلالته، باستثناء أحد أبناء أمير كوش حمل أسيراً مع بعض رعاياهم إلى المكان الذى كان فيه جلالته وركع تحت قدمي الإله الطيب الملك. ظهر تحتمس في شرفة القصر وأمر باستعراض الأسرى أمام جلالته، وهكذا عادت النوبة مرة أخرى من ممتلكات جلالته كما كانت من قبل[2].

إن القوة العسكرية ركيزة مهمة أعتمدها فرعون في تثبيت منهجه وطريقة حكمه فلابد لأي نظام من قوة تحميه، وتعمل على تنفيذه في حياة الناس ، وتشتد الحاجة إلى القوة إذا كان هذا النظام جائرا وظالما لأنه عند ذلك يزرع بظلمه وطغيانه بذرة التمرد والثورة، وبسبب القوة العسكرية يستطيع قمع أي تمرد أو ثورة فحشد القوة والتأهب بالسلاح دليل على خوفه من أن تتمرد الجماهير المظلومة والمقهورة عليه، فهو يعلم أنه ظالم معتد أثيم، وظهرت أهمية هذه القوة عن طريق عمليات القتل والذبح والتعذيب في السجون وغيرها التي كان يُراد منها تركيع الجماهير

١ ـ الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي في الشرق الادنى بين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد ، ص ٢٨٨

٢ ـ ج .شتندورف، ك. سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ص٥٩

وإخضاعهم لإرادة فرعون، إذ لولا تلك القوة لما استطاع فرعون تسخير الأغلبية من الجماهير في الأعمال الشاقة والمتعبة في مقابل لقمة العيش والبقاء على قيد الحياة، كما أن القوة هي الأداة التي أرهبت النّاس وأجبرتهم على قبول ربوبيته المزعومة وألوهيته الكاذبة[١].

إنّ أبرز ما يميز عصر المملكة الوسطى سياسياً قيام تغيرات سياسية في نظام الحكم فقد أعيدت وحدة البلاد ورافقها تغيرات في الأوضاع السياسية، وتحديداً في فلسفة نظام الحكم المركزي سلطة الملك وسلطة عائلته، ولمنع فكرة التناحر داخل البلاط ومن أجل تدعيم نفوذ سلطة الملوك في هذه الدولة والحفاظ على عروشهم الموروثة أجزاء أي تمرد من قبل حكام الاقاليم فقد عملوا على اشراك ابناءهم معهم في الحكم، إذ تشير المعلومات التاريخية على اشراك الملك امنحات الأول لابنه (سنوسرت (الاول) في الحكم ما بين (2000-1787 ق.م)، ولقد سار على منهجه بعد ذلك فراعنة هذا العصر ولتثبيت ملوك الدولة الوسطى مركزية حكمهم، عملوا على ضرب النظام الاقطاعي والحد من سلطة حكام الاقاليم، والذين اضعفوا من سلطة قرار ملوك الدولة وهددوا وحدتها، ولتنظيم مفاصل الدولة وربط مقدراتها بالسلطة المركزية فقد شرع ملوك الأسرة الوسطى قد عملوا الى تحديد صلاحيات الملك، وصلاحيات الوزير، الذي عدّ بمثابة ممثلاً للسلطة التنفيذية ومسؤولاً امام رئيس الدولة ورئيس سلطتها التشريعية الممثلة للملك، وبرغم أهمية منصب الوزير السياسية والادارية والمتمثلة في تنظيم شؤون الادارة العامة والاشراف على حكام الأقاليم، والاشراف على الاراضي الزراعية[٢].

ولابد من التطرق إلى رصد حالات اللجوء السياسي أن نستعرض حالة سنوهي كلاجئ سياسي خرج من مصر فاراً بنفسه من بطش السلطة، ومع أن سنوهي لم يكن حاكماً أو من البيت الحاكم، إذ ترتبط هذه القصة مدّة الاسرة الثانية عشر (2000-1778 ق.م) في حكم كل من الملك أمنمحات الأول وسنوسرت الأول ويبدو

١ ـ سعد الدين ،جيهان السيد ، الاستبداد والحرية لدى حكماء مصر القدامى، ص٣٩٦
٢ ـ الخفاجي ، مزهر محسن ،مصر القديمة بين نظام الحكم اللا مركزي، ص٣٢٠

أن مدّة أواخر حكم الملك أمنمحات الأول، قد شهدت نوعاً من الصراع السياسي داخل أروقة القصر الملكي، فدُبرت مؤامرة لاغتيال الملك وبينما كان الأمير سنوسرت في طريق العودة من حملته، إذ برسل من القصر الملكي ينقلون اليه نبأ وفاة الملك قرر سنوهي الهرب لانه كان ذا مكانه في القصر الملكي وحظوة ومنزله كبيرة لدى الملك والملكة نتيجة الخوف من السلطة الحاكمة، وهنا تتوفر الظروف السياسية التي دفعته للهرب كلاجئ سياسي، كما أنه قد اختار منفاه بنفسه ووفقاً لرواية سنوهي لم يدفعه أحد لذلك، ولكنها مشيئة الإله، إذ وصف سنوهي خطة هروبه بدقة متتبعاً انتقاله من مكان لآخر، وثم أن سنوهي آثر الفرار إلى جهة الشرق مما يدل على أنه كان يعد جيداً ما يقوم به إذ كان على علم بتلك الجهات في بلاد الآسيويين مما يؤكد صلته بهذه الجهة، وكان سنوهي بمثابة مستشاراً سياسياً لهذا الشيخ مما يدل على أن الشيخ قد وفر لسنوهي كل ما يحتاج إليه كلاجئ سياسي من دعم مادي ومعنوي[١].

وكان حكام الأقاليم والموظفون الآخرون يحاكمون أولئك الذين يخرقون إرادة الفرعون، ويعاقبون المذنبين بالجلد أو الزج بهم في غياهب السجون، فتقطع آذانهم وتجدع أنوفهم، وتذكر النصوص أنّ أحد الموظفين كان يتباهى وهو يتحدث عن قسوته قائلاً: كنت أنشر الارهاب بين الناس، وأقمع السجين وأرغم المتمرد على الاعتراف بأخطائه [٢].

١ ـ بدار، وفاء احمد السيد، موقف مصر من مسالة اللجوء السياسي في الشرق الادنى القديم، بحث منشور) في مجلة بحوث كلية الآداب، جامعة المنوفية، البحث رقم (٧)، العدد (٥٣)، سنة ٢٠٠٣، ص٢٥٢

٢ ـ دلو، برهان الدين، (حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي)،ص٧٩

المبــحث الثــالــث

الاستبداد السياسي في عصر المملكة المصرية الحديثة (1573-1085 ق.م)

وكان يخلف الملك بعد وفاته ابنه الأكبر، ولكن أحياناً كان يستولي على العرش مغتصبون، فهو يسيطر على القمر والنجوم، فتجيء الأشهر والأيام والساعات في إيقاع منتظم، والمسيطر على النيل وجاء هذا المعنى في أحد النصوص وبوصفه المتحكم في مياه مصر يعد الملك من أحيا أهل مصر وأزال آلامهم والملك ليس المسيطر فحسب على الماء، بل إنه أيضا صانع الأمطار للأقطار الأجنبية، والملك هو الإله الوحيد الذى تحتم عليه أن يحيا وحيدا رغم كونه محاطا بالبشر فهو لا يختلط بهم حتى لا يألفوه، وقدرته على كل شيء، إن الملك بوصفه إلها مقدسا كان أقدس من أن يخاطبه أحد مباشرة، فمن كان بشرًا لا يستطيع أن يتكلم مع الملك، وإنما من الممكن أن يتحدث في حضرة الملك، ولم يقتصر ذلك بل إن كل جزء من الملك، كظله مثلا، كان مقدساً، وكان عرشه أقدس ما أشرقت عليه الشمس في الكون، وكان المصريون يقيمون عيدا في وقت معين يعيدون فيه مراسم التتويج الملكي بقصد تجديد قوة الملك التي كانوا يخشون أن تقل كلما تعاقبت عليها السنون والفرعون بوصفه إلها لا يموت كما يموت الناس، وإنما حين يعجز جسمه المادي عن النشاط العملي تخرج منه الروح المقدسة لتحل في جسم ابنه الشاب الممتلئ قوة فكل هذا التقديس للملك يجعل منه سيدا مطلقا يمارس سطوته على الشعب كيفما يشاء [1].

هناك من شارك وساند الفرعون في طغيانه أي حاكم في الكون لا يعدو أن يكون فرداً لوحده أول الأمر، وسواء أكان هذا الحاكم عادلاً أو ظالماً فهو بحاجة ماسة إلى معونة المجتمع الذي يحكمه، فإن كان من أهل الإيمان والحق فلمن يقف بجانبه ويعينه أجر عظيم وأنّ كان غير ذلك فإن له وعليهم وزراً عظيما؛ لأنه لولا هذه المعاونة لما استطاع ان يُخضع الناس لحكمه وتسلطه وجبروته، فهم أنصار للباطل وشركاء في الإثم ان شخصية فرعون شخصية فردية كما هو معلوم والفرد لا

[1] ـ سعد، جيهان السيد، الاستبداد والحرية لدى حكماء مصر القدامى وفلاسفة اليونان، جامعة عين الشمس، ص٣٩٥

يستطيع إن يفرض نظامه بمفرده، فكان لابد من أعوان وأوتاد تسانده وتشاركه، وهم بلا شك أساس وسبب ظهور وطغيان هذه الشخصية المنحرفة، فلولا هم لما طغى وتجبر وعاث في الأرض فساداً، وبالمقابل لابد من وجود جمهور يتقبل هذا الذل ولن تخضع هذه الجماهير لهذا الذل، إلا إذا كان الفسق سائداً ومستشرياً فيها، لهذا فإن المجتمع الذي تسود فيه هذه الشخصية يكون بسبب مساعدة الفاسدين والمنتفعين منها، وضعف الجماهير، ومن هذه الأسباب التي ساهمت في إبراز شخصيته وإظهارها وطغيانها[١].

فاجتمع لفرعون قوم يحبون المال، والثروة بين يديه إذ كان فرعون صاحب ثروة ومال، فاستغل قوته المالية والاقتصادية في تدعيم شخصيته وتمرير مخططاته. ارتبطت السيطرة الاقتصادية مع السيطرة العسكرية إذ ساعد فرعون في ازدياد سيطرته الاقتصادية ازدياد سيطرته العسكرية المتمثلة بالجيش الجنود والمخابرات والشرطة التي كانت تشرف على السجون، وغير ذلك مما يشكل في مجمله القوة العسكرية، فالقوة تلزم فرعون في حماية الممتلكات الواقعة في قبضته وفي عمليات السلب والنهب، لما تبقى من أملاك وثروات لدى الجماهير إن بقي منها شيء. ومن هنا نفهم الترابط الجدلي بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية، فالزيادة هنا تعني الزيادة هناك، والعكس صحيح تماما، وهي المعادلة الموجودة في كل مرة يحكم بها الطاغوت، فالحكم حينئذ لحق القوة لا لقوة الحق [٢].

ومن المحيطيين بالفرعون الوزير وكما هو الحال لبقية الوظائف ونتيجة الاستبداد والتسلط في الحكم تحولت وظيفة الوزير إلى وظيفة وراثية وكان يعتقد أنّ هذه الوظيفة لا تعهد إلا لشخص واحد إلا انّه بعد العثور على نقش في الكرنك ذكر هذا النقش انه كان يوجد وزيران أحدهما وزير للدلتا واخر للوادي .وهذا يعني انه في بعض عصور مصر الفرعونية أصبح هناك وزيران واحد في منفس واخر في (طيبة) وفي هذه الثنائية تذكير بالمملكتين الموحدتين معا في شخص الفرعون وقد

١ ـ بشير، حميد عبد، حميد، الطغيان في القران، ص٦٢٩
٢ ـ قاسم خضر، قاسم توفيق، شخصية فرعون في القران، ص١٤٧

ظل الوزير يحتفظ بلقب قاضي القضاة حتى زوال الملكية .وكان الوزير يشرف على إدارتين مهمتين هما الخزينة، والأعمال الزراعية ويعاونه رؤساء المأموريات الملقبون بحملة خاتم الإله (ملك الوجه القبلي)، وحملة خاتم الوجه البحري وكان من مهام أصحاب اللقب الاول هو تنظيم وقيادة البعثات لاستثمار المناجم او البعثات الخارجية وكان هؤلاء ونعني (رؤساء المأموريات) يقومون بالإشراف على ما يقام من مبان وبالتالي يكون تحت يد الوزير موظفون يحملون لقب رؤساء الأعمال يتولون أعمال البناء، ومما تقدم يتضح انّ الوزير كان رئيساً لكل دائرة حكومية، وكان رسله يتجولون في البلاد لينقلوا أوامره إلى المديرين المحليين وليرفعوا له التقارير عن الأحوال التي يشاهدونها وكانت كل معاملة تتعلق بالأرض تسجل في مكتب الوزير[١].

في عهد الأسرة الثامنة عشر قائد مصري قوي يدعى حور محب، كان قائدا في الجيش استعمل قوته وشدته فوطد النظام وارجع الامن للبلاد واسس الاسرة التاسعة عشر التي اسست الحكم من عام (1350- 1205 ق.م) ، واخذت المملكة المصرية تسترجع قوتها ومعظم املاكها الاسيوية ثم ظهور الهند اوربيون لأول مرة في تاريخ مصر القديم فانزلوا جنودهم على الساحل الغربي الدلتا واتحدوا مع الليبيين على اقتحام الوجه البحري فصدهم الجيش وابعدهم الى بلادهم الاصلية، ثم اضطربت احوال القطر المصري بعد ذلك دبت فيه الفوضى وفشا بين اهله الانقسام فسقطت الاسرة (19) حوالي عام (1205 ق.م) [٢].

ففي زمن رعمسيس الحادي عشر(1107-1078 ق.م) استفحل أمر الكهنة وبالأخص كهنة الاله أمون، إذ وضع رئيس كهنتها فرسي هور على رأس التاج واسس اول حكومة دينية في تاريخ الحضارة المصرية وبذلك انتصر الكهنة على الملكية، ولكن تأسيس حكومة دينية ادى في الواقع الى القضاء على الاستقلال السياسي للبلاد ففي الوقت الذي كان فيه الكاهن الاعلى برأس حكومة الاله في طيبة

١ ـ الزنكي، انتصار ناجي عبد، الاوضاع السياسية والادارية في مصر في عصر الاهرام، رسالة ماجستير (غير منشور)، جامعة بغداد، كلية الآداب، ص ٩٩-١٠٠

٢ ـ برستد ، جميس هنري ، تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي ، ص ٩

قامت في الدلتا حكومات عديدة بحكمها الامراء ويشركون كهنة الاله آمون وذلك منذ عهد حارم حيب معهم، ولم يقتصر نفوذ الكهنة في طيبة وتدخلهم في الشؤون السياسية الداخلية على الحكومات الوطنية فحسب بل تعدى ذلك الى حكومات الاستعمار[١].

في عهد الاسرة العشرين (1182-1151 ق. م) ابدى الملك رمسيس الثالث اهتماماً كبيراً بالجيش وأضاف إليه فرقة من المرتزقة وقسمه الى طبقات حسب اللياقة للخدمة وقام بزيارات تفتيشية الى الجيش والتي وثقها عن طريق نقش مشاهدها على جدران معبده الجنائزي وبعد ان فرغ من اصلاح أوضاع البلاد توجه لمعالجة في طيبة وان الاخطار الداخلية التي كانت تهدد كيان الإمبراطورية السياسي واستخدم القوة في القضاء على هذه الاخطار، إذ كانت السنوات الأولى من حكمه مليئة بالحملات العسكرية الداخلية والتي كان من بينها حملته على بلاد النوبة ودحره جيوش بلاد كوش وجسد انتصاراته هذه في لوحات فنية نقشت على جدران المعابد إذ يشاهد في هذه المنحوتات الفرعون رمسيس الثالث وجنوده يقودون صفوف الأسرى في السنة الخامسة من حكمه تصدى لهجوم القبائل الليبية وبعض المجموعات البشرية التي كانت تقطن سواحل البحر المتوسط وتمكن من
تحطيم قوتهم وجلب عدداً منهم كأسرى[٢].

تعدّ مؤامرة الحريم على حياة الملك رمسيس الثالث، أشهر مؤامرة في تأريخ مصر، هي محاولة الاستبداد بالحكم نظرا للدور الذي لعبته الملكة "تي" في هذه المؤامرة وتجمع الدراسات بأنه بعد أن علمت هذه الملكة برغبة الملك في اختيار ابن الملكة "إيزيس" كولي للعهد، التي أعمى الحقد بصيرتها فقامت بتدبير مؤامرة ضد الملك "رمسيس الثالث"، شارك في تنفيذها عدد من موظفي و حريم القصر الملكي، وعلى الرغم من التخطيط المحكم لهذه المؤامرة إلا أنها فشلت في تحقيق أهدافها، إذ استطاع حراس القصر الموالين للملك "رمسيس الثالث" من إلقاء القبض على

١ ـ عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم، ص٢٩٧
٢ ـ الشمري ، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي في الشرق الادنى ، ص٢٨٠

المتآمرين وتم تقديمهم للمحاكمة، وانّ تلك المؤامرات قد تم تدبيرها من قبل زوجات ثانويات، إذ حاولت تلك الملكات التمرد على تقاليد اعتلاء العرش التي كانت تكفل حق وراثة العرش لمن كان من نسل ملكي خالص لم يكن هنالك مجال أمام أبناء تلك الملكات في وراثة العرش، وهذا ما دفع بتلك الملكات الطموحات والغيورات إلى تدبير المؤامرات، وقد كان يساعدها في ذلك أنصارها من حريم القصر وموظفيه حتى تضمن لابنها وراثة عرش أبيه [١].

القاعدة الثابتة فيمن يعتلي عرش مصر أن تسرى في عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية، أما إذا ابناً لزوجة ثانوية في حالة عدم وجود وريث شرعي من الزوجة الرئيسية - فأنه من الواجب عليه أن يلجأ إلى الزواج من أميرة من الفرع الملكي الخالص وتكون أكبر الأم يرات الباقيات على قيد الحياة من بنات البيت المالك، وإذا لم توجد تقوم مقامها أرملة الملك وبذلك تكون أهلا لتولى العرش وفى هذه الحالة لا تقوم أسرة ويقوى مركزه ويصبح جديدة، وتبعا للتقاليد المصرية فأن الأبناء ثمرة هذا الزواج، هم أصحاب الحق الشرعي في العرش، كذلك في حالة وفاة هذه الوريثة فأن حقه ينتهى وايضا أن تكون الملكة أو الزوجة الشرعية للملك يجب أن تكون من أصل ملكي عادة مما دفع بعض ملوك الدولة الحديثة إلى الزواج من أخواتهم حفاظاً على الدم الملكي، وكانت الملكة تقوم بالوصاية على ابنها إذا تولى العرش وهو طفل فتمارس السلطة الملكية حتى يكبر أو تستأثر بالسلطة لنفسها أحياناً[٢].

ويعد الفرعون توحتمس الثالث الذي جاء إلى الحكم (1448-1422 ق.م) من بعده ولم يكن عند توحتمس الأول من زوجته الملكة سوى ابنة اسمها (حت شبسوت) التي تعتبر من الوجهة الشرعية الوريث الشرعي للحكم ولكنها من الناحية العملية لا تستطيع ان تحمل لقب ملك وتتفرغ لأعباء المسؤولية وكان باستطاعتها عن طريق الزواج أنْ تخلع لقب الملوكية على زوجها، ومن ناحية اخرى فقد كان للملك

١ - بن حدحوم احمد مريقي بوبكر، مؤامرات الحريم على حياة ملوك مصر القديمة، ص ١٦٢٨
٢ - سعد الله، محمد على ، مختار، محمد جمال الدين ، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة.

توحتمس الأول ولد من زوجة اخرى كانت ذات مركز ثانوي بالنسبة للزوجة الملكية ولأجل. انْ يحفظ الملك العرش لابنه هذا فقد زوجه من (حت شبسوت) وهي اخته من أبيه، وقد لقب الابن بلقب توحتمس الثاني(1490-1436 ق.م)، وحكم توحتمس الثاني مع زوجته ولكن في الواقع كانت السلطة الفعلية بيدها حتى أنها استمرت في الحكم ما يقارب ثماني عشرة سنة وقد لقيت بلقب الملك وظهرت في احدى المنحوتات وهي ببدلة الملوكية وترتدي التاج المزدوج لمصر السفلي والعليا وآثارها في المعبد الخاص بها القائم حالياً في الدير البحري بالقرب من طيبة ويعد من المعابد الفريدة والشهيرة في مصر فهو بناء جميل مشيد بالحجر الجيري الابيض إسفل سفح الجبل وبني المعبد بهيئة مستند على أعمدة ويوجد داخل الجبل مقبرة الملكة [1].

أصبح توسيع الحدود هو الهدف اللازم للسياسة فالملك تحوتمس الأول قد توغل في حروبه التحررية التي أصبحت بعدها حروبا توسعية وقد قام تحوتمس الثالث بسياسة ضم وإدماج المناطق التي استولى عليها إلى مصر، وبعدها تبعت سياسة الغزو سياسة التسلط والاحتلال وتكوين الوحدات العسكرية هناك ومن ثم جلب القواد والمدراء والمقطعين لتثبيت دفع الجزية كما أدت هذه السياسة إلى القيام في كل عام بغزوات لإظهار سلطتها وتخويف المقطعين ولضم

وتوسيع الأراضي المحتلة لتوسيع الحدود، إلا أن سياسة الحروب والخضوع لم تبق الوسيلة الوحيدة للسياسة الخارجية فقد[2]. اعتمد فرعون على المخبر السري نتيجة طبيعة النظام الحاكم إذ لا يمكن للظلم أن يدوم لولا هذا القهر والإرهاب، فهي وسيلة الطغاة في تثبيت حكمهم الذي يفرز تلك الشخصيات المعفرة بدماء الشعوب المستضعفة كما تشمل قوة فرعون العسكرية جهاز الشرطة والذي يقوم بمهام السجون، أو ما نسميه اليوم شرطة مصلحة السجون أي ممن عرفت حالهم في سجون ، فإنّه كان يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا فالسجن من سياسات فرعون

١ ـ عامر سليمان واحمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم، ص٢٨٠ـ ٢٨١

٢ ـ يان اسمان، مصر القديمة تاريخ الفراعنة على ضوء علم الدلالة الحديث ، ت حسام عباس الحيدري، منشورات الجمل،٢٠٠٥، ص٢٣٢

المعهودة والمعروفة بين الناس، وبالتالي يلزم تلك السجون شرطة تقوم على تعذيب المساجين وقمعهم وحراستهم حتى لا يفروا من جحيم الطاغوت، اذ إن الفرعون فرد لا يستطيع مهما أوتي من مهارات وقدرات فردية من إخضاع النّاس وسحقهم، فهو يقوم بما يقوم به بمن شايعه وناصره، ولا شك في أنّ جنود النظام الآثم مثله ظلام ، لأنّهم يقومون بتثبت الظلم والعدوان [١].

عاد ملوك الأسرة التاسعة عشر سيتي الأول ورمسيس الثاني ما بين (1292-1189ق.م) إلى سياسة الإصرار على العدوان والخضوع التي كان يتبعها الملك تحوتمس الثالث وصار أعدائهم الجدد هذه المرة الإذيون، لذلك بدأت حروب جديدة مثل حرب الملك منفتاح ضد الليبيين والحروب الدفاعية لرمسيس الثالث ضد الشعوب البحرية، ومن معالم هذه السياسة الرئيسية صورة المذابح التي تصور الملك المصري على عربات القتال وهو يستولى على قلعة آسيوية، وقد صور تحوتمس الرابع نفسه لأول مرة على عربة القتال، وهناك صورة مشابهة جاءت في النقوش القبرية للملك توت عنخ أمون، وأخيرا أصبحت هذه الصور ابتداء من الأسرة التاسعة عشرة نموذجا لتصوير أعمال الملوك على حيطان المعابد دليل على بطش وجبروت الفراعنة في الغزوات، ويعد تصوير مذبحة قادش أثناء حكم رمسيس الثاني هي ذروة هذا التسلط والطغيان. فهي تصور الملك على عربة القتال في خارطة تمثل أرض القتال من القتلى المقطعين والاسرى المقيدين [٢].

أن بسمتيك في عهد الأسرة الثانية والعشرين (950-730ق.م) عندما استولى على زمام الأمور في البلاد، بدأ يفكر في القضاء على هذه الفئة التي كان في قبضتها زمام الحكم ،فعلا، فبدأ أولا بوضع (المشوش) في حاميات بعيدة على الحدود، ثم هجرهم مدة في تلك البقاع النائية عن البلاد، وفي خلالها أخذ يعد جيشه من الإغريق

١ ـ قاسم خضر، قاسم توفيق، شخصية فرعون في القران، ص١٣٦
٢ ـ يان اسمان، مصر القديمة ، ص ٢٣٣

والكاريين؛ ليقضي على جنود المشوش القضاء المبرم، ونتيجة الفتك بهم جملة بدأوا بالفرار ألى بلاد اثوبيا [١].

ومن مظاهر الطغيان والاستبداد تجاه الاقوام المهزومة حادثة الإستيلاء على جوبا JOPPA (يافا) كان تحوت THOTH أو تحوتى (THOT) أحد الضباط المشهورين المعروفين في

جيش مؤسس الإمبراطورية تحتمس الثالث (حوالي 1490 - 1436 ق.م) ، وقد ترك لنا برهانا على مهمته التي كلف بها من أجل غزو وإدارة البلاد الأجنبية واستمرت شهرته لأجيال عدة إذ يظهر كبطل في القصة التالية في مخطوط من الأسرة التاسعة عشرة (أرخ بحوالي عام 1300 ق.م)

"ويرغب العدو من يافا رؤية الصولجان العظيم للملك من .

له الحياة والفلاح والصحة ! - وجاءوا وأخبروا (هذا) إلى تحوت : «أريد

رؤية الصولجان العظيم للملك ... وهكذا فعل وأحضره الصولجان العظيم للملك من.

وأمسك بعباءته ووقف منتصبا ، وقال : أنظر إلى ، ياعدو يافا ! انظر، الحياة والفلاح والصحة ! الأسد الرهيب ، بن الملك من منحة امون (نصرها [و] رفع يده وضرب عدو يافا على جبهته) وصار (منبطحا أمامه ، وكبله في أغلال] الجلد. وهو ... اجزاء معدنية، التي كان صنعها ليعاقب عدو يافا هذا ، ووضع في قدميه ثقل معدن (يزن) اربع نمست

وأحضر المائتي سلة التي سبق أن صنعها ، ووضع بداخلها مائتى جندى وزودت اذرعهم بقيود

وأغلال، وختمت بأختام ، وأعطيت لهم صنادلهم ،وقام بحملهم أقوى الجنود ، وكان عددهم

خمسمائة وأبلغوا حينما تدخلون المدينة ، عليكم تخليص زملائكم والقبض على كل الناس الموجودين في المدينة ووضعهم في القيود في الحال"[٢]

---

١ - سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، ج ١٢ /مؤسسة الهندواي ،٢٠١٧، ص ٤٥

٢ - جميس، بريتشاد، نصوص الشرق الادنى القديمة ، ص ٩٤

ولابد من ذكر ظلامة بتيسي ومدى تسلط واستبداد رجال السياسة والكهنة في ذلك العهد الفارسي، ولكن على الرغم من ذلك فإن معظم حوادثها يرجع إلى العهد الساوي، وبخاصة في عهد الملك بسمتيك الأول وكبار رجال حكومته، وملخص هذه الظلامة كتبت على بردية ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه البردية كانت ضمن عدة أوراق عثر عليها في الحيبة[١]، ويجب ان يشار الى أنّ هذه القصة كغيرها من القصص تحتوي على أشياء جاءت من نسج خيال كاتبها، وهي ظلامة كتبت على بردية، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن هذه البردية كانت ضمن عدة أوراق عثر عليها في الحيبة، ولكنها تعد أهمها ويبلغ طولـها أربعة أمتار وربع المتر، وقد كتبت بخط صغير، مفادها ان الظروف التي قاساها بتيسي، صاحب القصة وسجنه، وما يتبع ذلك من هجوم غادر قام بـه الكهنة، ثم تظلمه مما حدث له للحاكم أو الشرطة وقتئذ وطلبه إليه حمايته، وتكلم عن حرق بيته انتقاما منه، وثم ينتهي الأمر بعودته إلى بلدته توزوي الحيبة الحالية وذلك بعد أن غاب عنها أكثر من عام، ولكن على شرط تعهد أولي الأمر له بسلامته وحمايته، غير أنهم اشترطوا عليه ألا تعوض له الخسائر التي حاقت به، كما أنه لن يلتفت إلى أي حق من الحقوق التي ادعى أنه ورثها عن أجداده في معبد توزوي[٢].

سجل التاريخ المصري والأدب المصري معركة قادش في نص ادبي يسمى (القصيدة) والمعركة التي دارت بين رمسيس الثاني في حكمه الخامس وبين الحثيين . فكان النص التاريخي

" وهنا رآهم جلالته و وقف بعد ذلك مسرعاً،

---

١ ـ بلدة توزوي (الحيبة) حاليا كانت مسكونة بوجه عام بكهنة في عهد الأسرة ٢٦ ، وتقع على جزيرة في النيل قبالة الخرائب والمعبد الذي كان في هذه المدينة وهو المحور الذي تدور حوله قصة بتيسي. غير أن القصة ترجع في غالبها للملكين سيتي الأول و أوسركون الأول، والظاهر أن سيتي الأول كان قد أهدى المعبد للإله آمون بعد انتصاراته في حروبه في فلسطين ويلحظ في هذه البردية أن أهم شخص اتصل به بتيسى هو الحاكم، ومن المحتمل أنه كان الشطربة نفسه، وعلى أية حال فإنه لا يمكن أن يكون واحدًا من الرؤساء أتباعه. هذا ويلحظ أنه في فقرة من فقرات الورقة قد ذكر الحاكم وسيد مصر معا، ومن المحتمل أن الأخير هو الشطربة، ولكن الأرجح أنه هو الملك العظيم هذا هو هيكل الظلامة التي قصها علينا بتيسي، وسنشاهد في المتن الذي بين أيدينا صفحة من تاريخ أمة كانت سائرة نحو الأفول: يسبب ما كان يجري فيها من فساد ورشوة وانحطاط أخلاق وبخاصة ما وصل إليه رجال الدين من التكالب على حب المال مما جعلهم يدنسون المعابد. ينظر سليم حسن ، موسوعة مصر القديمة ، ج١٢ ، ص ٨٨

٢ ـ حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة ، جزء ١٢ ،ص ٨٨

غاضبا عليهم مثل أبوه مونت .
فاستلم أسلحة القتال وتسلّح بالدروع،
فقد كان مثل سيت في لحظات سلطته .
وقد اعتلى أيضا النصر في طيبة عربته الكبيرة
وهرع مسرعا إلى الأمام، وقد كان وحيدا .
فلم يقف أحد أمامه من قبل
وقد اشتعلت النيران حوله
وقد أحرق وهج جمراته جميع البلدان الأجنبية.
و عندما رأهم أصبحت نظراته وحشية
وسلطته كانت جامحة مثل اللهيب ضدهم.
فلم يأبه بملايين الشعوب الأجنبية.
فقد اعتبرهم كالقش عندما أسرع
إلى وسط مجموعة الأعداء من حاتي
والشعوب الأجنبية المتعددة التي كانت عنده
فقد كان جلالته مثل سيت كبير وقوي
ومثل زخمت ساعة غضبها
عندما قضى جلالته على كل المجموعة من الأمراء التعساء من حاني
وأمرائها الكبار وجميع اخوتهم،
وكذلك على كل الأمراء في جميع البلدان، الذين جاءوا معه،
فقد سقط جيشهم وتحطمت معداتهم واحدة بعد الأخرى
وقد أفناهم جلالته أينما كانوا،
وذلك بسقوطهم أفواجاً تحت خيوله
بينما كان جلالته لوحده، وليس أحد عنده.
وبعدها عمل جلالته على تساقط مجموعات الأعداء في حاتي على وجوههم
الواحد بعد الآخر،

كما تسقط التماسيح في نهر العاصي
عندما كنتُ خلفهم كالطير .
وقد أجبرت كل البلدان الأجنبية، أنا وحدي" [١].

دوافع إيديولوجية وغير عقلانية لحروب رعمسيس الثاني في سوريا بعد معركة قادش في سلسلة من حملتين على الأقل وربما أكثر لاحقا بعد العام الخامس من حكمه، اتبع رعمسيس الثاني وبإصرار سياسة عدوانية تجاه شمال سوريا ، تجاوز منطقة قادش وبلاد أمورو، متجها شمالا فضرب دابور(Dapur)، وتونيب Turnip) وقودي (Qode) ومواقع أخرى في سورية واتبع الفراعنة المصريون سياسة عسكرية في سوريا لكنها كانت غير سليمة وقد وجدت لوحات النصر الفرعونية ونقوش الحرب وغيرها من المصادر الأثرية مليئة بالأدلة على عقلية أثبتت أنها مقاومة للغاية لاحتمال أي فشل في ساحة المعركة، وكان الواجب الرسمي لـ للملك في المملكة الحديثة هو توسيع حدود مصر، (التفوق على إنجازات الأسلاف، وأداء البطولات التي لم يتم القيام بها منذ العصور القديمة افضل مثل في حسن البلاغة وجدت منقوشة على لوحة حدودية تعود للفرعون سنوسرت الثالث(Senwosret) من عهد المملكة الوسطى توضح العقيدة الملكية المصرية:

"أنا الملك أتكلم وأتصرف بما يعتقده عقلي وأنجزه بواسطة يدي، أنا الشخص القوي من أجل الاستيلاء والسيطرة، والسريع في تحقيق النجاح، والخطة لا تنام في قلبي (أنا) الشخص الذي لا يرحم العدو الذي
يهاجمني فالصمت بعد الهجوم يقوي قلب العدو، الشجاعة كفاح، والبؤس هو التحول) والتراجع" [٢].

وتستخدم النظم التسلطية العنف كوسيلة ولإدامة سلطانها وتستغل في ذلك مختلف الوسائل القمعية الممكنة، والغرض هو تصفية المعارضين أو الحد من نشاطهم

١ ـ يان اسمان، مصر القديمة ، ص٢٩٠
٢ ـ بتري، ممفيس: الضرورات الأيديولوجية: العوامل غير العقلانية في العلاقات المصرية الإذية في عهد رمسيس الثاني التنقل عبر الحدود والعلاقات الخارجية والدين والثقافة. ت صلاح رشيد الصالحي، باريس،٢٠٠٧،ص. ١٥ـ٣٣

بتجريدهم من كل فاعلية ومن حرية العمل وهذا يفترض وجود شرطة سرية أو استخدام القمع القانوني، أو القمع الجنائي بفعل تشابك السلطات ما يدفع القضاء لإبداء ليونة زائدة وخضوع، ما قد يسمح إلى جانب ذلك باللجوء للقضاء الخاص ما يجعلنا أمام القمع السياسي الحقيقي الذي لا يعتمد قوانين محددة، وهو يسمح بتصفية المعارضة أو بلجمها عن طريق إلقاء القبض على المعارضين بأعداد كبيرة وبالتعذيب والسجن في مخيمات الاعتقال والإعدامات، كما يمكن الحديث عن عنصر لا يقل أهمية عن العناصر السابقة وهو استعمال الآلة القمعية، فالنظرية الدستورية تقر بأن العناصر الأساسية لآلة القمع تتواجد أيضاً في النظم الديمقراطية، فكل دولة تستند إلى عناصر الإكراه، فهو دون أدنى شك ما يعرف بالاحتكار الشرعي للعنف من استناد إلى شرطة وقضاء وجيش يعمل على تأمين رد الأخطار من الخارج وحفظ النظام الداخلي [1].

١ ـ فوكه، سفيان ، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة ، ص٢٤

الإستـــــنتاجـات

الإستنتاجات

في ختام البحث لابد من ان نسجل أهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة الموسومة بـ (الاستبداد في مصر القديمة) وفق المعطيات والنتائج التي افضت أيها الدراسة وهي كالاتي:

١ـ شهد التاريخ المصري استبداد من قبل الفراعنة في المجالات السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وإنّ مصر كان لها تاريخ طويل مع تجبر الحكام واستبدادهم، والمصريون لهم تعريف جامع لمعاني ومفاهيم متعددة، إذ تتباين مفاهيم الطغيان والاستبداد والدكتاتورية ، وإن اشتركت في بعض السمات، واتحدت في بعض الخصائص.

٢ـ اثبتت الدراسة أنّ الهرم في دولة الفراعنة ليس مجرد مقبرة تخلد الفرعون الإله بل هو من تجليات الدكتاتورية والاستبداد، من ناحية استغلال جهود الطبقة العامة وفي ناحية من نواحي معانيه يعبر عن هذه التراتبية المستقرة، تبدأ بقمة عالية لا يمكن الوصول إليها إلا بالقوة، تمثل الفرعون على قمة القمة، إذ تحيط به طبقة ضيقة من الكهنة، يحيط بهم طبقة من العسكر المحاربين، تتلوهم طبقة موسعة من البيروقراطية التي تقوم على الشؤون اليومية للعامة من الشعب في أسفل الهرم، يمثلون قاعدته الأوسع.

٣ـ إنّ مشكلة مصر على مر التاريخ هي استبداد الحكام ، إذ أنّ الخروج من كهوف التسلط يمر عبر طريق طويل لإخراج مصر من جعبة الحاكم المستبد، يبدأ بأن يعود الحاكم إلى صفوف البشر، لا أن يبقى في مصاف الآلهة، أن يكون واحداً يأتي بالانتخاب الحر المباشر، وليس هبة من السماء أرسلتها العناية الإلهية لمهمة إنقاذ البشر، فيتولى أمر الرعية من لا يغير ثوابت الجغرافيا وحقائق التاريخ، ولابد من ذكر ان مصر عانت طويلًا من الحكام الذين يشيخون فوق مقاعدهم، أولئك الذين يسدون الطرق إلى التغيير، ولا يعملون إلا لبقائهم مدى الحياة فوق كل الرؤوس.

٤ـ اكدت الدراسة أنّ مصر اكتفت من الحاكم المؤبد في كرسي الحكم، وظلت تتطلع إلى حاكم المدد المحددة، لا المدد المؤبدة التي بلا نهاية، اذ شبع المجتمع المصري من الرئاسات الأبدية، وسئم الشعب من تواجد الحاكم في المسؤولية حتى آخر نفس يتردد، وآخر نبض يتجدد إذ كانت هذه الانظمة تمتلك سلطة مطلقة، او شبه مطلقة، مركزية فردية شخصية مقدسة.

٥ـ اشارت الدراسة إلى أنّ الإرادة السياسية والممارسة السلطوية في مصر تتركز بشكل مادي ومباشر وشخصي، في الفرد الحاكم (العاهل المقدس) بما يؤهله للقيام بوظائف مركبة، جمع فيها بين الوظيفة السياسية ووظيفتين أخريين، إحداهما دينية والأخرى اقتصادية، فباجتماع هذه الوظائف والسلطة اللازمة لممارستها في شخص (الفرعون) بوصفه مركز السلطة وتجسيدها ومحتكرها في مجتمعات الحضارات الشرقية القديمة، فقد اكتسبت سلطته خصائص أو سمات (الفردية، المركزية، المطلقية ،الاستبدادية، الشخصانية، القدسية الدينية).

٦ـ لم يكن الاستبداد حكرا على الفراعنة فقط في الحضارة المصرية وانما اثبتت الدراسة هناك استبداد الاب على افراد العائلة واستبداد الذكور على الاناث وايضا الاستبداد القوي على الضعيف ولعل ابرزمثال على ذلك قصة الفلاح الفصيح.

٧ـ اوضحت الدراسة هناك استبداد واضح من قبل رجال الدين (الكهنة) في الحضارة المصرية وتأثيرهم على المجتمع المصري القديم من خلال تعزيز الافكار التي تعيين سيطرة الفرعون على الضعفاء .

المصادر والمراجع

اولاً: الكتب

١- أ.موريـه دفي، نشأة النظام الاجتماعي وتطوره من العشائر الى الامبراطوريات، القاهرة، دار الكرنك،١٩٦١.

٢- ابن منظور، لسان العرب، دار احياء تراث العرب، بيروت، ج٣

٣- أبو العنين، سمير عبد المنعم عبد الخالق، مفهوم الشخصية القانونية في نظم قوانين العصور القديمة، بدون ناشر، ١٩٩٣.

٤- ابو داود، السيد، الامة في مواجهة الاستبداد، ط ١، ٢٠١١، مكتبة جزيرة الورد للنشر.

٥- أبو طالب، صوفي حسن، (مبادئ تاريخ القانون)، دار النهضة العربية، ١٩٦٣.

٦- ابو طالب، صوفي حسن، تاريخ النظم القانونية، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦

٧- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين (الصحاح تاج اللغة وصحاح) – بيروت/ ج٢.

٨- احمد، سيد عاشور، سيناء التنمية والبيئة،٢٠١٤.

٩- أحمد بهجت، فرعون والطغيان السياسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع حقوق الطبع محفوظة الطبعة الأولى، العصر الحديث للنشر والتوزيع،، بيروت - لبنان،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨.

١٠-أحمد صادق سعد، تاريخ مصر الاجتماعي –الاقتصادي في ضوء النمط الاسيوي للانتاج، دار ابن خلدون، بيروت، ط١.

١١- ادولف ارمان هرمان واركنه، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم ابو بكر ومحرم كمال، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٣٧.

١٢-أديب، سمير، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، (٢٠٠٠).

١٣-ارونولد هاوزر، الفن والمجتمع عبر التاريخ: (ت) فؤاد زكريا، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٢.

١٤-اريك هورنونج: ديانة مصر الفرعونية الوحدانية والتعدد، ترجمة: د. محمود ماهر طه، مصطفي ابة الخير، مكتبة مدبولي، مصر- القاهرة، ١٩٩٥.
١٥- الانصاري، ناصر، المجمل في تاريخ القانون المصري، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨.
١٦- انيس، إبراهيم واخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ج١، ٢٠٠٥.
١٧-بتري، ممفيس: الضرورات الأيديولوجية: العوامل غير العقلانية في العلاقات المصرية الإذية في عهد رمسيس الثاني التنقل عبر الحدود والعلاقات الخارجية والدين والثقافة. ت صلاح رشيد الصالحي، باريس،٢٠٠٧.
١٨-برستد ، جميس هنري ، تاريخ مصر من اقدم العصور الى الفتح الفارسي.
١٩-بريتشاد،جميس، نصوص الشرق الادنى القديمة في العهد القديم، ت عبد الحميد زايد، وزارة الثقافة هيئة الاثار المصرية ، .١٩٦٩
٢٠- ت. ج جيميز، الحياة ايام الفراعنة (مشاهد من الحياة في مصر القديمة)،(ت) احمد زهير امين، الهيأة المصرية العامة للكتب ، ١٩٩٩.
٢١-الترمانيني، عبد العزيز، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافة شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة، الكويت صدرت عام ١٩٧٨ اشراف احمد العدواني، ١٩٩٠، صدرت الكتاب في ١٩٧٩.
٢٢-ج .شتندورف، ك. سيل، عندما حكمت مصر الشرق، ت محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي ، ط١، ١٩٩٠.
٢٣- الجامع لأحكام القران، محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، دار احياء التراث العربي ١٣٧٦ هـ ، ج١٤.
٢٤-الجبالي، هشام، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، دار الهدى للنشر والتوزيع،٢٠١٧.
٢٥- الجبوري، مصلح خضر، جذور الاستبداد والربيع العربي، الاكاديميون للنشر والتوزيع، عمان-الاردن،ط١ ،٢٠١٤.
٢٦- جعفر، نشأت لقران والثالوث والاستبداد، الصفصافة النشر،٢٠١٥.
٢٧-جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب القديمة، (ت) امام عبد الفتاح، عالم المعرفة،١٩٩٣.

٢٨- جون بينيز واخرون ،الديانة في مصر، ت محمود ماهر طه، سلسلة مصريات، القاهرة ،الهيئة المصرية للكتاب ،٢٠١١.
٢٩-جى راشيه، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم: د. محمود ماهر طه،٢٠٠٦.
٣٠-حاطوم، نور الدين وزملاؤه ، موجز تاريخ الحضارة، الجزء الاول، مطبعة الجامعة، دمشق، ١٩٦٤.
٣١- الحافظ، منير، عصاب الحرية، دار الخليج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٢٢.
٣٢-حداد،عبد الحق وعدنان خمس، الحركات الفلاحية عبر التاريخ ، الناشر، مؤسسة العلاقات الاقتصادية، ب. ت.
٣٣- حسن، سليم ، موسوعة مصر القديمة، ج ١، مؤسسة الهنداوي للنشر، ١٩١٩.
٣٤-حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، الإسكندر الأكبر وبداية عهد البطالمة في مصر، ج١٤، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩.
٣٥- حسن، سليم، موسوعة مصر القديمة، ج٢، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر- القاهرة، ٢٠١٢
٣٦-حسن، علي ابراهيم، الحضارة المصرية والحضارات الشرقية في العصور القديمة، دار الكتب المصري، النشر وكالة الصحافة العربية،٢٠١٩.
٣٧- خضر، شيراز محمد، علم نفس التعصبي والتحيز، ط١، ٢٠٢٢
٣٨- الخليلي، الشيخ العلامة احمد بن حمد، الاستبداد مظاهره ومواجهته، ط ١، ٢٠١٣.
٣٩-الدربي، عبد العال، الالتزامات الناشئة عن المواثيق العالمية : حقوق الانسان / دراسة مقارنة ، ط ١ ، ٢٠١١، المركز القومي للإصدارات القانونية.
٤٠- دلو، برهان الدين،(حضارة مصر والعراق التاريخ الاقتصادي - الاجتماعي - الثقافي - السياسي)، الفارابي للنشر والتوزيع،٢٠٠٨.
٤١- ديورانت، ول وايريل، قصة الحضارة، ت،محمد بدران، ج٢ ،مجلد الخامس، دار الجيل ، بيروت.
٤٢- رزقاته، ابراهيم احمد واخرون، حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة،١٩٥٨.

٤٣-رندل كلارك ، الرمز والاسطورة في مصر ، (ت): احمد جوبلي، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٧.
٤٤- الزحلاوي، نجلاء حبيب، تطور الفكر الانساني، مصر، مكتبة مدبولي ، ٢٠١٤.
٤٥- زكريا، أنطوان ، النيل في عهد الفراعنة والعرب، مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٨.
٤٦- زناتي، محمود سلام ، حقوق الانسان في مصر الفرعونية، ط ٥ ،٢٠٠٨.
٤٧-سعد الله، محمد على ، مختار، محمد جمال الدين، الدور السياسي للملكات في مصر القديمة، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع – اسكندرية،
٤٨- سعد الله، محمد علي، تطور المثل العليا في مصر القديمة الناشر مؤسسة شبا الجامعة، (الاسكندرية١٩٨٩).
٤٩-سعد، أحمد صادق، تاريخ مصر الاجتماعي– الاقتصادي في ضوء النمط الآسيوي للإنتاج، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٩
٥٠-السعدي، حسن محمد محيى الدين، حكام الأقاليم في مصر الفرعونية، دراسة في تاريخ الأقاليم حتى نهاية الدولة الوسطى ، دار المعرفة الجامعية، ٤٠ شارع سوتر، الأزريطة – الاسكندرية.١٩٩٩
٥١-سليم حسن، موسوعة مصر القديمة ، ج ١٢ / مؤسسة الهندواي ،٢٠١٧.
٥٢-سليم، احمد امين، تاريخ الشرق الادنى القديم، مصر وسورية، دار النهضة العربية بيروت – لبنان، ١٩٨٩.
٥٣-سير و- م فلندرز بتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، ت حسن محمد جوهر وعبد المنعم عبد الحليم.
٥٤- سيرج سيبزون، كهان مصر، (ت)، زينب الكردي، الهيئة المصرية للكتاب القاهرة - ١٩٧٥.
٥٥- سيريل الدريد، الحضارة المصرية، ترجمة مختار السويفي، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة- ١٩٩٦).

٥٦-الشمري، طالب منعم حبيب، الوضع السياسي في الشرق الادنى القديم بين القرنين السادس عشروالحادي عشر قبل الميلاد،ط١، دار ومكتبة كلكامش للطباعة والنشر، بغداد ٢٠٢٠
٥٧-صالح، عبد العزيز، الاسرة المصرية في عصورها القديمة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،.١٩٨٨
٥٨- طه باقر، مقدمة في حضارات وادي النيل، ط٢، بغداد، ج٢، ١٩٥٦
٥٩-عامر سليمان ،احمد مالك الفتيان، محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وبلاد اليونان والرومان القديم)، وازرة التعليم العالي والبحث العلمي ١٩٧٨.
٦٠-عبد الحليم، نبيلة محمد، معالم التاريخ والسياسي والحضاري في مصر الفرعونية.
٦١-عطا، زبيدة محمد، الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، (القاهرة: دار الأمين للنشر والتوزيع ١٩٩٤.
٦٢- علي، رمضان عبده، تاريخ مصر القديم، (القاهرة: دار نهضة الشرق ،٢٠٠١)، ج١.
٦٣-عوف، احمد محمد، عبقرية الحضارة المصرية القديمة ،مكتبة الاسرة، الهيأة العامة المصرية للكتاب ،١٩٩٩.
٦٤- غانم، ابراهيم بيومي، ميراث الاستبداد، القاهرة نيو بوك للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٨.
٦٥-فالبيل، دومنيك، الناس والحياة في مصر القديمة، ترجمة: ماهر جويجاتي، مراجعة زكية طبوزادة ، ط ٢ ، (القاهرة: الفكر للتوزيع والنشر،٢٠٠١.
٦٦- الفتلاوي، صباح عبيد، تاريخ القانون، مكتبة الثقافة للنشر والتوزيع ،١٩٩٨.
٦٧- فخر الدين،صقر ابو، الدين والدهماء والدم واستعصاء الحداثة، فكر ودراسات ، المؤسسة العربية للنشر ، الاردن، ٢٠٠٧.
٦٨-فخري، أحمد، مصر الفرعونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مكتبة الاسرة،٢٠١٢
٦٩- فرات محمود ميران، حقوق الإنسان في الحضارات القديمة الاخرى، مفردات المحاضرة الثالثة، مادة حقوق انسان.

٧٠-فرح، نعيم، موجز تاريخ الشرق الادنى القديم (السياسي، الاجتماعي ،الاقتصادي، الثقافي) ، دار الفكر للنشر.
٧١-فليب، ما ندنبرغ، لعنة الفراعنة، ترجمة خالد اسعد عيسى، احمد غسان، ط١، دار قتيبة للطباعة والنشر دمشق، (د، ت).
٧٢-القمني، سيد ، رب الثورة (اوزريس وعقيدة الخلود في مصر القديمة) مؤسسة الهنداوي،٢٠١٧.
٧٣-كلير لالويت، الفراعنة في مملكة مصر زمن ملوك الآلهة ، ت ماهر جويجاتي ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠.
الكواكبي، عبد الرحمن، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٠
٧٤- الكيالي،عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ب ت.
٧٥-لطفي وحيد، اشهر الديانات في التاريخ، المكتب العربي للنشر والتوزيع والاعلان ، مكتب معروف اخوان، مصر، الإسكندرية، ١٩٩٣، منتدى سور الازبكية.
٧٦-الماجدي، خزعل، الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١ ،١٩٩٩، ١٩٦٩
٧٧- محمد ،محمد كذلك ، السحر في مصر القديمة ، ٢٠٢٢.
٧٨- محمد، وليد سالم، النظم السياسية العربية (اشكاليات السياسات والحكم)، شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ٢٠٢١.
٧٩- محمود السماسيري، فلسفات الاعلام المعاصر (قراءة في ضوء المنظور الاسلامي)، ط١، ٢٠٠٨، امريكا المعهد العالمي للفكر الاسلامي.
٨٠-محمود، منال محمود محمد، الجريمة والعقاب في مصر القديمة، مطابع المجلس الاعلى للأثار، ٢٠٠٣.
٨١- مختار، محمد جمال الدين، لمحة في تاريخ مصر السياسي والحضاري، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية، مجلد(١)،٢٠١٣.
٨٢- مكاوي، عبد الغفار، تجارب فلسفية، مؤسسة الهنداوي للنشر، ٢٠٠٨.

٨٣-مهران، محمد بيومى، دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم. ج ١مصر. دار المعرفة الجامعية (٢٠١٥).
٨٤-موسى، أحمد رشاد، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي، المجلس الاعلى للثقافة، ١٩٩٨.
٨٥- مونتيه بيير، الحياة اليومية في مصر، (ت)، عزيز مرقس منصور ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧.
٨٦-مؤنس، حسين، الحضارة: دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، ١٩٧٨، سلسلة عالم المعرفة.
٨٧- ميلود، ولد الصديق، الاغتراب السياسي في الوسط الطلابي، مكتب الكتاب الأكاديمي، ٢٠١٥
٨٨-نحاس، يوسف، الفلاح، مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
٨٩-نظير، وليم، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠.
٩٠- نعمة، اديب، الدولة الغانمية والربيع العربي، دار الفارابي للنشر، بيروت/ لبنان، ٢٠١٤.
٩١-نقولا جريمال، تاريخ مصر القديمة ، (ت) ماهر جويجاتي، مراجعة د. زكيا طبوزادة، ط٢، دار الفكر والدراسات التوزيع.١٩٩٣.
٩٢- نوال السعداوي ،قضايا المرأة والفكر السياسي ،مؤسسة الهنداوي للنشر والتوزيع.
٩٣- الهنداوي، حسين، استبداد شرقي ام استبداد في الشرق، ط١، المدى للنشر، ٢٠١٦.
٩٤- هيكل، محمد حسين، تراجم مصرية وعربية، الهنداوي للنشر والتوزيع ،٢٠١٢.
٩٥-يان اسمان، مصر القديمة تاريخ الفراعنة على ضوء علم الدلالة الحديث ، ت حسام عباس الحيدري، منشورات الجمل،٢٠٠٥.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

١- أبو السعد ،رشا عبد الرؤوف على أبو السعد، " الأسطورة السياسية في مصر القديمة ووظائفها، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآثار المصرية، جامعة القاهرة، كلية الآثار قسم الآثار المصرية، كلية آثار الفيوم، ٢٠٠٤.

٢- جري، كاتيا صباح، تطورات بنية المجتمع المصري منذ بداية عصر الاسرات حتى نهاية عصر المملكة الحديثة (٣١٠٠-١١٠٠ق. م) رسالة ماجستير(غير منشورة) كلية الآداب / قسم التاريخ / جامعة تشرين/ سوريا،٢٠١٩.

٣- الخطاوي، ماجد مشير حسين، اثر الحضارة المصرية القديمة في حضارة جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة، اطروحة دكتوراه ، مجلس معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، ٢٠٠٧.

٤- الدلفي، نجم عبيد مرعيد، الرمز في ادبي العراق ومصر القديمين،رسالة ماجستير(غير منشورة) ، جامعة واسط ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، ٢٠٢٢.

٥- الزنكي، انتصار ناجي عبد، الاوضاع السياسية والادارية في مصر في عصر الاهرام، رسالة ماجستير (غير منشور)، جامعة بغداد، كلية الآداب.

٦- الشاهري، سعد جابر طه، رموز أهم الالهة في مصر القديمة دراسة دلالية تاريخية، رسالة ماجستير(غير منشورة) جامعة الموصل، كلية الاثار، قسم الحضارة ٢٠٢٣.

٧- شرقي، صالح الدين، الاستبداد بالحكم واليات مواجهته دراسة مقارنة بين الفكر السياسي الاسلامي وانظمة الحكم العربية المعاصرة، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الحاج الخضر باتنة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية،

٨- الطلى، خالد محمد، الحرب الاهلية خلال عصر الاسرة الاولى والثانية مظاهرها ودوافعها السياسية والاقتصادية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (١١).

٩- العبادي، محمود انعيمه خليفة، الاستبداد في الفكر العراقي القديم، رسالة ماجستير(غيرة منشور)، جامعة واسط ، كلية التربية،٢٠٢٠.

١٠-قاسم خضر، قاسم توفيق ، شخصية فرعون في القرأن ، رسالة ماجستير(غير منشورة) جامعة النجاح فلسطين،٢٠٠٣

١١- مبارك، زهير فريد، اصول الاستبداد العربي، رسالة ماجستير/ كلية الآداب/ برنامج الماجستير في الدراسات العربية المعاصرة / جامعة بيروت، ٢٠٠٧.
١٢-محمد، مصطفى عطا الله، أسماء المراكب واستخداماتها عن طريق النصوص والمناظر المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٨٧.
١٣-موسى، سهاد علي عبد الحسين، الصراع في الاساطير المصرية والسورية القديمة ، كلية التربية للعلوم الانسانية ، قسم التاريخ، جامعة واسط ، ٢٠٢٠.

ثالثاً: البحوث المنشورة

١- احمد عبد، نسرين، عبد الرحمن، يونس، عقوبة الحرق بالنار في قوانين بلدان الشرق الادنى القديم، (بحث منشور)، مجلة دراسات في التاريخ والاثار، العدد ٨٠ لشهر كانون الاول ـ ٢٠٢١.
٢- أنور، احمد، الاستبداد: جدلية الخضوع والثورة عند المصريين، دراسة سوسيو-تاريخية، (بحث منشور) مجلة حوليات عين الشمس، مجلد ٤٤،يناير/ مارس، ص ٢٢.
٣- بدار، وفاء احمد السيد، موقف مصر من مسألة اللجوء السياسي في الشرق الأدنى القديم ، بحث منشور في مجلة بحوث كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، البحث رقم ٧، العدد٥٣، سنة ٢٠٠٣
٤- بشير، حميد عبد، حميد، الطغيان في القران ـ فرعون انموذجا، (بحث منشور)، مؤتمر العلمي الثاني لكلية العلوم الاسلامية ـ الرمادي، ٢٠١٢.
٥- بن حدحوم احمد مريقي بوبكر، مؤمرات الحريم على حياة ملوك مصر القديمة، (بحث منشور)، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية ،جامعة زيان عاشور، الجزائر
٦- حافظ، حنان محمد، اشكال الاحتجاج في مصر بين الثبات والتغير دراسة تحليلية للاحتجاج العمالية والطلابية، (بحث منشور)، مجلة البحث العلمي في الآداب، المجلد (١٧)، ج١، العدد ١٧.
٧- حماد، سمر فهيم، الحبل كرمز للعبودية في مصر القديمة، (بحث منشور) المجلة العلمية كلية الآداب، العدد٤٥، ٢٠٢١.

٨- الخفاجي، علي مزهر، مصر القديمة بين نظام الحكم المركزي ونظام الحكم اللامركزي، (بحث منشور)، مجلة الآداب، العدد ١١٩ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٦.
٩- دراسات شرق اوسطية، مجلة فصلية محكمة، مركز دراسات الشرق الاوسط بالتعاون مع المؤسسة الاردنية للبحوث والمعلومات، العدد (٧٥)، العام،٢٠٢٠
١٠- رياض، زينب عبد التواب، العنف في مصر وبلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ والعصور المبكرة(بحث منشور)، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مجلد (٢٠)، ٢٠٢٠.
١١- سعد الدين، جيهان السيد، الاستبداد والحرية لدى حكماء الفكر مصر القدامى وفلاسفة اليونان، (بحث منشور) حوليات أدأب عين شمس، المجلد ٤٥، عدد يناير- مارس.٢٠١٧
١٢- سعد، جيهان السيد، الاستبداد والحرية لدى حكماء مصر القدامى وفلاسفة اليونان، جامعة عين الشمس، حوليات ادأب عين الشمس، المجلد(٤٥)، مارس، ٢٠١٧
١٣- السعيدي، علي عطيه موسى، ثورة اخناتون واثرها في تجديد قواعد الفن المصري القديم (بحث منشور)، مجلة العلوم الإنسانية، العدد(١٢)ج/١، ٢٠١٢
١٤- سمار، سعد عبود، عبد الحسين، سهاد، صراع الالهة مع البشر في المعتقدات المصرية القديمة، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، العدد (٤٤)،ج٢، ٢٠٢٠.
١٥- صفائي، وليد محمد، أبو ردهات، عبد العزيز محمد، مظاهر الكراهية في العالم الآخر في ضوء النصوص المصرية القديمة، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد (٢٦)، (٢٠٢٣).
١٦- الطلى، خالد محمد، الحرب الاهلية خلال عصر الاسرة الاولى والثانية مظاهرها ودوافعها السياسية والاقتصادية، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب (١١).
١٧- عبد الوهاب، ايمان، انعكاس الوضع الحالي على العلاقات الاسرية (العنف ضد الزوجة)، (بحث منشور)، مجلة دراسات موصلية ـ٢٠٠٧ - العدد ١٧.
١٨- علي، عبد الرضا، الاستبداد السياسي والديني وحدة في الاهداف والاساليب، (بحث منشور)، مجلة النبأ، العدد٣٦، السنة الخامسة.

١٩- فؤاد، وسام، تفكيك نظريات الاستبداد الشرقي: الحالة المصرية، بحث منشور، مجلة المعهد المصري، العدد(١٣)، يناير، ٢٠١٩.
٢٠- محمد، جيهان رشدي، ظاهرة العنف في مصر القديمة من الدولة القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة، دراسات في آثار الوطن العربي، المجلد ١٥، ٢٠١٢.
٢١- يونس، وسناء حسون، أهمية الدم الملكي في انتقال العرش في مصر القديمة، المجلد (٨) العدد(٣٠)، السنة الثامنة- تموز- ٢٠١٢.

رابعاً: المقالات منشورة:

١- يونس، محمد حسين، تأملات مصرية في قضايا مصيرية، الحوار المتمدن- العدد: ٦٨٩٣ - ٢٠٢١ / ٥ / ٩ - ٠٩:٣٣، المحور: دراسات وابحاث في التاريخ والتراث واللغات.
٢- وائـل جمـال، مصر القديمة: حياة العمال وحقوقهم في مصر القديمة: حياة العمال وحقوقهم في زمن الفراعنة بي بي سي١ مايو/ أيار ٢٠١٨.
٣- عبد الفتاح، سيف الدين، مقالة، تفكيك مقولة الاستبداد شرقي، صفحة العربي الجديد،١/ ابريل/ ٢٠٢٢.
٤- عبد الفتاح، سيف الدين، هوامش على الظاهرة الاستبدادية، مقالة، موقع الهربي الجديد، ٢٤/ مايو/.
٥- خميس، هدى رجب ، حجاج النزعات الإلحادية في مصر القديمة وعلاقتها بمفهوم الـ ازفت ،dr.hodahagag@alexu.edu.eg
٦- الكفري، مصطفى العبد الله (استاذ الاقتصاد السياسي بكلية الاقتصاد - جامعة دمشق)، الأفكار الاقتصادية والنشاط الاقتصادي لدى الفراعنة، الحوار المتمدن-العدد: ١٠١٣ - ٢٠٠٤ / ١١ / ١٠، المحور: الادارة والاقتصاد.
٧- لبيب، سامي، استبداد الحكام العرب هو منتج طبيعي لتراث وتربة دينية خالقة وحاضنة ومعتنيه، مقالة، قناة الحوار المتمدن، ٢٠١١\٢\٢٢
٨- فوكه، سفيان، الاستبداد السياسي واشكاله المعاصرة، مقالة، مركز المجدد للبحوث والدراسات
٩- ذو الفقار، علي، اول ثورة في التاريخ، مقالة، منشور في الموقع قربة: أغسطس :٢٠١٩.

١٠- طليمات، جليل، عن الاستبداد والمستبد، مقاله، جريدة المغرس العلمية ٢٠١١/٧/١٣،

خامسا: المصادر الأجنبية:

[1] - Black, A. (2016). *A World History of Ancient Political Thought: Its Significance and Consequences*. Oxford University Press.

[2]- Beck, K. A., & Joshi, P. V. (2010). On Tyranny. *New England Journal of Political Science*, *5*(1), 3.

3-Yoyotte, J. (1981). Pharaonic Egypt: Society, economy and culture. *General history of Africa*, *2*, 112-134.

4-Watterson, B. (2011). *Women in ancient Egypt*. Amberley Publishing Limited.

5-Frood, E. (2010). Social structure and daily life: Pharaonic. *A companion to ancient Egypt*, *1*, 469-490.

6- Youngkin, M. (2016). Bound by an English Eye: Ancient Cultures, Imperialist Contexts, and Literary Representations of Ancient Egyptian Women. In *British Women Writers and the Reception of Ancient Egypt, 1840–1910: Imperialist Representations of Egyptian Women* (pp. 1-33). New York: Palgrave Macmillan US.

7 -Romney, N. (2021). *Dynasties of Egypt: Decoding the Origins of the Greatest Pharaohs and their Legacy of Monuments*. DTTV PUBLICATIONS.

8- Strouhal, Eugen, et al. "Identification of royal skeletal remains from Egyptian pyramids." *Anthropologie (1962-)* 39.1 (2001): 15-24.

9- Schoch, Robert M., and Robert Aquinas McNally. *Pyramid quest: Secrets of the Great Pyramid and the dawn of civilization*. Penguin, 2005.

10- -Ansari, H. (1986). *Egypt: The stalled society*. State University of New York Press.

11- Fisher, L. R. (2015). *The Eloquent Peasant*. Wipf and Stock Publishers.

12- Allen, J. P. (2016). The World of Ancient Egyptian Thought. *The Adventure of the Human Intellect: Self, Society, and the Divine in Ancient World Cultures*, 73-88.

13- Weber, M. (2013). *The agrarian sociology of ancient civilizations*. Verso Books.

14- Van Seters, J. (2010). *The Hyksos: a new investigation*. Wipf and Stock Publishers.

15- Trigger, B. G., Kemp, B. J., O'Connor, D., & Lloyd, A. B. (1983). *Ancient Egypt: a social history*. Cambridge University Press.
16- García, Juan Carlos Moreno. "Changes and limits of royal taxation in pharaonic Egypt (2300–2000 bce)." *Ancient taxation: The mechanics of extraction in comparative perspective* 11 (2021): 290.

Abstrac

Egypt is known for a distinctive geographical location of great importance, and the Egyptian regions consist of four geographical units, each of which differs from the other by its natural phenomena. Under the natural framework of the country, organization became a prerequisite for life, and Egyptian society was divided into pharaohs and peasants, as much as the power, cruelty and wealth of the Pharaoh defined the authoritarian regime of history.

The concept of tyranny knew its clear significance in pharaonic thought, especially when it was placed in the legal context, where the autocratic ruler became the one who rules without adherence to the law, and without taking into account the principle of accountability or accountability, and we find in many writings referring to the patterns of governance systems, as the authoritarian regime forms the framework that makes power in its various manifestations in the hands of a ruler who rules without law or rule, and issues his judgments by his own will and whims in its various fluctuations.

The concept of autocracy was associated with the political sphere, and possessed specific connotations that gave it specific features, as it designates a type of government system in which a person or group is independent of power, and does not refer, in what is issued by it, to laws, rules or charters arranged for the rules of power. The autocrat may be a king, as the Pharaohs were in ancient Egypt, and he may be a tyrant who reached the head of the government by a coup, and the keys to power became in his hand by brute force.

From this point of view, the topic of our tagged message (tyranny in ancient Egypt) came to simulate the reality of tyranny in ancient Egypt, which is considered an explicit model of this concept, and this was manifested through the nature of the rule characterized by the rulers of Pharaonic Egypt, and highlighting the nature of tyranny and its types through four chapters, we talk in the first chapter and deal with social tyranny, and in three discussions, the first is tribal and family tyranny, the second is the tyranny of social classes and the third is the tyranny of the ruling classes against the ruling classes.

(B)

The first is the authoritarian nature of ancient Egyptian economic thought and the second is the forms and manifestations of economic tyranny, exploitation of the working classes, taxes, forced labor).

The first chapter: the tyranny of Gods against gods, the second chapter: the tyranny of Gods against humans, the third chapter: the tyranny of humans against gods, the fourth chapter: the tyranny of humans against humans, and the fifth chapter: the tyranny of priests.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

Wasit Of University - College of Education For Humanities

History Department

Despotism in Ancient Egypt

Submitted by thesis M.A

Sahar Khalif Sakhi al-Aboudi

To the Council of the Gollege of Education for Humanities / Wasit of University

As a partial Fulfillment to the Requirement to the Master Degree in the of Ancient History

Supervised by

Professor Dr

Saadoon Abdu hadi Barghish AI-Ameer

A.D 2024 **A.H 1445**